الدكتور سيار الجميل

حصار الموصل

الصراع الاقليمي واندحار نادر شاه

صفحة لامعة في تكوين العراق الحديث

بيت الموصل

• د. سيّار الجميل: حصار الموصل: الصراع الاقليمي واندحار نادرشاه
(صفحة مشرقة في تكوين العراق الحديث)

• الطبعة الاولى - الموصل ١٩٩٠



شركة لتجارة المستلزمات المدرسية المحدودة

ص. ب. ٤٨١
شارع الثقافة/ الموصل - العراق
هاتف ٨١٦٩٥٣، تلكس ٨٠٢٢ الموصل - العراق

حصار الموصل

الصراع الاقليمي واندحار نادرشاه

(صفحة لامعة في تكوين العراق الحديث)

الدكتور سيار كوكب علي الجميل

الاهــداء

إلى أمّــي

تذكير وعرفان

مضى على كتابتي لهذا الكتاب اكثر من عشر سنوات، عندما كنت اعيش في خارج العراق، فبقى طوال هذه المدة حبيس بعض المكتبات العامة والخاصة في نسخ قليلة منه مطبوعة على الرونيو، ولم يكن ابداً جزءا من متطلبات أية درجة علمية. وقد وجدت من المفيد اليوم، وبعد عودتي الى وطني الحبيب، ان اقدمه لابناء العربية كي يسدي خدمة متواضعة لثقافتنا التاريخية في وطننا الحبيب، وليشارك في بنائه وتقدم اجياله.

ولابد لي ان اقدم كلمة شكر وتقدير لبعض الاساتذة العلماء والزملاء القدماء الذين اسهموا بشكل أو آخر بمعلوماتهم وآرائهم في هذا العمل، وأخص بالذكر كل من المستشرق البروفيسور ر.ب سارجنت رئيس معهد الدراسات الشرقية بجامعة كيمبرج البريطانية سابقاً، والاستاذ الدكتور صالح احمد العلي رئيس المجمع العلمي العراقي لقراءته الكتاب قبل عدة سنوات ثم الاستاذ الدكتور محمود الجليلي عضو المجمع العلمي العراقي لتقديمه بعض الآراء والمعلومات التاريخية.. ولا أنسى ايضاً المواقف العلمية التي خصني بها كل من الاستاذ الدكتور عبدالجليل التميمي عميد مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات في تونس، والاستاذ الدكتور خليل ساحلي اوغلو في كلية الاقتصاد بجامعة اسطنبول. وثنائي الى زملائي القدماء: الآنسة غبرييلا نوردو والدكتور مايك جيمس والدكتور ياسر سليمان اعضاء قسم الدراسات الالسنية بجامعة سانت اندروس البريطانية، على جهودهم في ترجمة الوثيقة الدولية الايطالية الى اللغة الانكليزية (الملحق رقم ١)..

اليهم جميعاً والى جميع العاملين الذين ساعدوني في اروقة المكتبات العامة التي استخدمتها في الخارج كل الثناء.. واشكر ايضاً مطبعة جريدة الحدباء بالموصل، وأخص بالذكر الآنسة رائدة حميد على دقتها وصبرها في تنضيد الكتاب وهوامشه. واخيراً عليَّ ان اذكر تقديري لمؤسسة بيت الموصل في سبيل نشر هذا الكتاب.

د. سيار الجميل
قسم التاريخ/ كلية الآداب
جامعة الموصل

١٩٩٠/١/٢١

كان يوماً تاريخياً حاسماً من عمر العراق، ولم تبخل الشمس بأشعتها الساطعة على اسوار الموصل التي تحطمت عليها جماجم الاعداء، وعلى ارض المعركة التي شربها الدم، وصبغها الاحرار. كان الموصليون جميعاً في حلبة الصراع الهائل قائمين، وقد شاركوا فيه بمختلف فئاتهم دون كلل أو تعب أو ارق بعد اسبوعين كاملين من القصف المدفعي الشديد وآثاره الفتاكة، وكانت المعنويات عالية، وقتالهم ضروس وكانوا ينشدون اغاني الكلبند الصوفية التي تمتزج فيها التكبيرات الدينية والتهاليل القدسية.. كانت هذه الموسيقى وانغامها تنبعث ضاجة تارة ورخيصة اخرى من جنبات المدينة واسوارها فتحيل الاعداء رغم قوتهم واعدادهم الى ضعف وخور اما ما يسمعونه، بمشاركة طبول الحرب وعزفها الذي تشاركه اصوات المنائر واجراس الكنائس، واستمرت اغاني الكلبند والتهاليل تقض مضاجع الاعداء حتى طلب نادرشاه نفسه ان يتوقف عنها اصحاب وذلك قبيل رحيله فأبوا ذلك. وقد سجلت في هذه المعركة جهود وبطولات عدت من المفاخر الحربية اللامعة.

«المؤلف»

عن (الفصل الثالث من الكتاب).

المحتويات

ملحق رقم (٤): جواب حكومة الموصل على الأنذار الايراني الاول

- نص الوثيقة
- مصادر الوثيقة
- الخرائط

- المصادر والمراجع:
  - الوثائق
  - المخطوطات
  - المصادر الموسوعية
    ١- الأنسكلوبيديات
    ٢ - الموسوعات التاريخية
    ٣ - التقارير والمذكرات الرسمية
    ٤ - المعاجم والفهارس
  - المصادر العربية والمعربة
  - المصادر التركية
  - المصادر الايرانية
  - المصادر الغربية
  - الدوريات
  - المراجع المساعدة

لَنْ يُكتَبَ لأعْدائِنا إلّا الهَزيمة

الرئيس القائد صدام حسين
(حفظه الله)

المقدمـــة

يعتبر حصار نادرشاه الرهيب للموصل سنة ١٧٤٣ م/١١٥٦ هـ، من أهم وابرز الاحداث التاريخية في حياة عراق العصر الحديث، كما وتعدّ وقائعه ونتائجه، ذات دلالات بارزة على حد سواء في مجريات تاريخ الامبراطورية العثمانية خلال القرن الثامن عشر. . وهو يشكل بين هـذا وذاك، احدى الحلقـات التاريخيـة الخطيرة والواسعة في سلسلة الصراع العثماني ـ الايراني الذي بدأ منذ اوائل القرن السادس عشر. وتنطوي ـ ايضاً ـ الاهمية الاستراتيجية للحدث في نتائجه، فلقد كان لانتصار الموصل المدهش على الشاه الايراني الشرس وجيوشه الجراره اثر بالغ في ترتيب اوضاع المنطقة سياسياً واجتماعياً. ويعتبر ذلك مبعث للتأمل والتفكير التاريخي، اذ جابهت الموصل مصيرها لوحدها، وصدت بشجاعة وبأس كبيرين خطر الامبراطورية الايرانية الفعال، والمتمثل بقوات نادرشاه الغازية التي قادها بنفسـه، والتي بلغ عددهـا اكثر من ربـع مليون مقـاتل، تمثّـل زهرة جيـوش امبراطوريته الشاسعة، حين اكتسحت ارض العراق من جنوبه حتى شمالـه، وانتشرت على امتداد ساحته الجغرافية الواسعة، وعبر مداخلهِ الشرقية، ونقاطه الحدودية الهامة ومسالكه البرية، وخطوطه النهرية.

لقد توّج هذا الحصار ذلك الاحتدام المضرم لحركة وامتداد وفعل المجريات التاريخية للصراع المذكور اعلاه، وتركيبة العلاقات السياسية للشرق الادنى عصر ذاك، والخروج بوضع جديد، اذ كان لفشل الحصار، وانتصار الموصل مدعاة لكسـر جبـروت النفـوذ الايـراني عـلى العـراق ابـان عهـد نـادرشـاه (١٧٣٦ ـ ١٧٤٧ م). . وانه سجّل في حلقة الصراع المزمن، أكبر حملة ايرانية مدمّرة عرفها تاريخه المرير، اضافة الى عددها وعدتها، وقيادتها الامبراطوريـة، وأعمالها المخزية في السلب والنهب وفناء الابرياء. . ثم اهدافها الشريـرة التي كادت من خلال حصار الموصل، ان تودي بحياة العراق ومستقبله وشعبه. . وأن تهدد الامبراطورية العثمانية في عقر دارها بسيطرتها عـلى استراتيجيـة العراق، ومسالكه الطبيعية، وقواه البشرية.

لقد كان موضوع حصار الموصل سنة ١٧٤٣ م/١١٥٦ هـ وتفصيلاته، سبباً في دراستي لتاريخ تطور العلاقات السياسية في نشوء العراق الحديث. وان أقدّم بعض الجوانب في العلاقات الاقتصادية التي حكمت تطورات الاحداث، وأن أبحث جوانب هامة في جغرافية العراق التاريخية، مركزاً بشكل واضح على استراتيجية المنطقة التي جرت عليها الاحداث، هادفاً من خلال معالجتي اياها الى تحقيق العوامل غير المباشرة التي انضجت الصراع المزمن بين كل من القوى الامبراطورية الايرانية والقوى الاقليمية العراقية التي مثلت صيغة اللامركزية في حكم العثمانيين ارض العراق. هكذا سنعلم بأن حصار الموصل وانتصارها على نادرشاه، هو خاتمة لذلك الصراع المرير ولفترات طويلة ارتاح فيها العراق من الآلام والمآسي التي سببتها له ايران.

يتألف هذا الكتاب من اربعة فصول واربعة ملاحق، ويضم بعض المقدمات والخرائط.. يبحث الفصل الاول في جغرافية العراق التاريخية خلال القرن السادس عشر الذي توالدت خلال عقوده الاولى، حلقات الصراع العثماني - الايراني. وقد كان هذا الفصل قد نُشِر نصه مقالاً تحت عنوان: «استراتيجية العراق وأثرها في نشوء الصراع العثماني - الايراني» في مجلة «آفاق عربية» الصادرة ببغداد، العدد (٨) سنة ١٩٨١. اما ملاحظاتي وتعليقاتي عليه، فلم تنشر هناك، وقد ضممتهاطي هذا الكتاب

ويبحث الفصل الثاني في الاسبقيات التأريخية للصراع المرير، وتوضيح طبيعة العلاقات الاقتصادية التي حكمت العراق إبان القرن السابع عشر، وشرح طبوغرافية الموصل والسمات الجغرافية لشمال العراق، كونها البقعة التي جرت عليها وقائع الحملة الايرانية الكبرى، وأحداث حصار الموصل؛ وما قادت اليه مؤثراتها الى نتائج تاريخية. وقدمت أيضاً ملخصاً عن نادرشاه، ومجملاً في تطور اعماله الكبرى، كي أوضح للقارئ فترات احداث العراق خلال العهد النادري منها الى غيرها من احداث منطقة الشرق الادنى. ثم تكلمت عن سلسلة التهاب الصراع، وتطور تاريخ العراق في ظل احداثه، ورجاله البارزين، منتهياً بشروط نادرشاه التعجيزية، دينية كانت ام سياسية؛ والتي وضعها امام العثمانيين بعد انتصاراته المتوالية عليهم، ليقود بعد ذلك حملته الكبرى على العراق قاصداً احتلاله واختراقه نحو العاصمة العثمانية اسطنبول، بعد السيطرة على كلٍ من المشرق العربي والاناضول.

ويبحث الفصل الثالث في تفاصيل الحملة الايرانية الكبرى، ومواقف الاطراف المعنية بها، واستعدادات الموصل... ثم اكتساح نادرشاه للعراق، وتطويقه للموصل ثم حصاره لها، ذلك الحصار الذي دام اكثر من اربعين يوماً، سجلته في تاريخها البطولي بكل ما رافقه من معارك وهجومات، ثم قصفها بآلاف القنابل، ثم دفاعها العظيم في معارك ضارية مع الايرانيين. قاد استبسالها، وصمود اهاليها الى فشل نادرشاه في اقتحامه لها، وفتكه بسكانها،كما توعّدهم في انذاراته لهم لتسجل عليه انتصارها المبين.

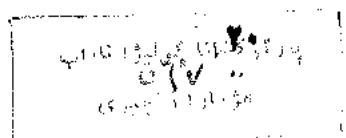
ويبحث الفصل الرابع في نتائج الحصار، وآثاره التي تعتبر دروسا تاريخية لا يمكن تجاهلها. وقد توقفت في هذا الفصل، في ابرز ما لقيه انتصار الموصل من الاصداء الخارجية سواء في العاصمة اسطنبول. او في دوائر الدبلوماسيين الاجانب كاهتمام بريطانيا ووزارة خارجيتها به، من خلال نائب سفيرها في اسطنبول استانهوب اسبينول S. Aspinwell. ولقد خرجت من بحث «الحصار» بنتائج عديدة منها ما يختص بمدينة الموصل ذاتها، ومنها ما يختص بالعراق والمشرق العربي، ومنها ما يختص بمصالح كل من العثمانيين والايرانيين على حد سواء. ان النتائج التاريخية هي دروس قيمة افرزتها هذه التجربة الحية الخالدة التي عاشها العراق قبل قرنين ونصف القرن من الزمن.

لقد ضمّ الكتاب، مدخلاً منهجياً، ونقداً للمصادر والمراجع في مستهله، وخاتمة للبحث في نهايته، مرفقاً به اربعة ملاحق، عنيَ الملحق الاول بتحقيق وترجمة وثيقة دولية نادرة عن حصار الموصل باللغة الايطالية، وهي الوثيقة المرفقة مع رسائل نائب السفير البريطاني اسبينول في العاصمة اسطنبول، اما الملحق الثاني، فيوضح مسالك الموصل الاستراتيجية، وخطوط اتصالاتها مع العالم، وهي المسالك الجغرافية التي عرفتها منذ القدم، كحلقة وصل بين الشرق والغرب حتى سنة ١٨٦٩ م حين افتتحت قناة السويس، فانهارت أهميتها الدولية من الناحية الاقتصادية. كما ألحقت في نهاية الكتاب، وثيقة الانذار الايراني لحكومة الموصل؛ والوثيقة الجوابية عليه في الملحقين الاضافيين الثالث والرابع.. ناهيك عما سيجده القارئ المختص للعديد من الملاحظات والتعليقات والنقدات التي افردتها في نهاية كل فصل من فصول البحث.

لقد كتبتْ نثراً، ونظمت شعراً، ونشرت عن هذا الحصار الشهير *، أو مالم ينشر الى حد اليوم، العديد من الاعمال الادبية، والوثائق السياسية، والكتابات التاريخية المعاصرة لاحداثه او البعيدة والمتأخرة عنه. وعلى كلا الجانبين من العالم شرقاً وغرباً، وبلغات عديدة.. وقد أولته بعض الدراسات الاكاديمية الحديثة عناية خاصة بشكل مفصل أو مقتضب، نظراً لما قادت اليه اهمية الحدث الاستراتيجية من الناحية السياسية في التاريخ الحديث للشرق الادنى، ثم ماتركه كل من الحصار والانتصار.. هكذا! معاً، من آثار سوسيولوجية وسايكولوجية بدت واضحة جميعها في قلوب واعمال الادباء والمؤرخين الذين حفظوا من خلال ذلك متفرقات الحدث ومجرياته المسهبة والموجزة.. وتكاد تغطي المصادر المحلية، معظم تفاصيله اليومية، تلك الكتابات التي تركها لنا السلف الراحل من الادباء والمؤرخين المواصلة، ويقف في مقدمتهم كل من الاخوين العمريين الخطيبين: ياسين ومحمد امين. ثم هناك محمد القادري في ارجوزته **«ملحمة الموصل»**، والشاعر يونس الموصلي في قصيدته عن «الحصار» بالتركية وغيرهم. ولا يمكننا ان ننسى الكتابات الرسمية للولاية وقيادتها معاً، وقد ابرزتها بالتركية **«صالنامة الموصل»**، ووثيقة مخطوطة عن «الحصار» بالتركية تحتفظ بها مكتبة المتحف البريطاني.. هناك ايضاً كتب الرحالة من الغربيين، كمدونات اساسية في المعلومات التاريخية والجغرافية، واشهر الرحلات، هي التي سجّلها كل من: كرستيان نيبور، وجاكسون، ولنزا، وايفز، واوتيه.. وكان الاخير قد زار الموصل قبل حصارها بأيام. وشاهد استعدادات أهاليها في حفر الخنادق وترميم الاسوار، فوضح بشكل ملفت للنظر اسباب الحرب وعللها ومقدمات الحصار.

---

* ان اول مقالة تاريخية نشرت عن موضوع «الحصار» كانت بقلم الاديب الموصلي رشيد الخطيب تحت عنوان: «الواقعة المشهورة ببلدنا الموصل بواقعة طهماسب»، وقد نشرها في جريدة «الموصل»/ ١ نيسان ١٩١٩؛ (أي أثناء الاحتلال البريطاني).



هناك ايضاً تسجيلات القناصل كرسائل تحريرية او عن طريق الشفرة المرسلة من اماكن مختلفة الى الدوائر السياسية الاوربية، وخصوصاً انكلترا وفرنسا وايطاليا.. من خلال سفارات هذه الدول في العاصمة اسطنبول، او بطريق مباشر. وتعتبر رسائل استانهوب الدوبلوماسية، من اهم الوثائق في هذا الميدان، اضافة الى ذلك، فان الكتابات والدراسات التاريخية الحديثة، قد كشفت عن المزيد من الجوانب والروابط والتحليلات لهذا الحدث التاريخي الكبير.. ويقف في مقدمة هذه الدراسات: كتاب المؤرخ روبرت اولسن R. Olson عن «حصار الموصل سنة ١٧٤٣ م»، واطروحة الزميل برسي كيمب P. Kemp عن: «الموصل والمؤرخون المواصلة في العهد الجليلي».. الخ وستكشف صفحات هذا الكتاب عن المزيد من الكتابات التاريخية العربية والاجنبية التي تفيد في بناء دراسات اخرى عن تاريخ العراق الحديث.

إنني اذ اقدم هذا العمل، والذي جاء رغم ضيق وقتي مترافقاً مع تدريسي وأعمالي الاكاديمية في بحوث ودراسات اخرى، أود ان اوضح بأن موضوع هذا الكتاب لم يكن جزءا من متطلبات أية درجة علمية، وأن الذي دفعني لكتابته حقاً هو شعوري ان أقدم خدمة متواضعة لوطني العزيز وانا بعيد عنه، نظراً لما يتطلبه حاضره وحاجة ابنائه في فهم تاريخ وطنهم العريق على درجة من اللقانة والاهتمام. آملاً أن يسد هذا البحث مجالاً يتطلبه وطني.. وسواء أصبت ام أخطأت في عرض المادة أو في ملاحظاتي او استنتاجاتي، فأنني سأكون مسروراً لو نبّهت الى اشياء غفلت عنها، او جوانب اخطأت فيها، سدّد الله الخطى لما فيه ازدهار العراق ونصرة امتنا العربية وتقدمها وارتقائها وبناء مستقبلها المنشود.

سيار الجميل
كلية سانت سلفيتر المتحدة/ جامعة سانت اندروس
بريطانيا ٢١/ ١/ ١٩٨٢

مدخل منهجي

ان اصعب مهمة تواجه المؤرخ الجاد في دراسته لتاريخ العراق الحديث، هي فهمه لطبيعة هذا التاريخ، ووعيه بتركيبه وعناصره، وسيطرته المعرفية على مصادره ومراجعه قبيل التوغل في كتابة وتحرير أي نص عنه، أو إبداء أي استنتاج فيه. فلقد تفردت مراحله بميزات خاصة، ومتغايرات متشابكة، وظواهر فارقة قلما ظفر بها تاريخ أي منطقة في الشرق الادنى عبر العصور الحديثة.

تبدأ الصفحات الاولى لتاريخ العراق الحديث مع ولادة العقود الاولى للقرن السادس عشر الميلادي، لتنتهي ببدايات القرن العشرين التي بدأ منها ـ كما اصطلح على تسميته ـ بتاريخ العراق المعاصر، وخصوصاً بعد ان توحد العراق سياسياً في ظل كيان دولي واحد ضم ولاياته القديمة ولواحقها من التخوم والدساكر والبوادي، رغم فقدانه للعديد من اطرافه الجغرافية شمالاً وشرقاً. . .

ان طبيعة تاريخ العراق الحديث غنية بالاحداث الجسام التي وقعت على مسرح العراق واطرافه الجغرافية خلال حقبات مختلفة من عصوره الحديثة، وتميزت تركيبة تلك الاحداث التاريخية بالتراكمية، في حين كانت صفاتها تتغير أو تتلون من حين الى آخر، نظراً لتشابك العوامل المختلفة التي ساعدت على خلقها من النواحي الاقتصادية والجغرافية والسكانية والدينية. . كما أثرت في بنية هذا التاريخ سياسياً، وعلى نحو خطير، نوازع الصراع بين كل من الامبراطوريتين العثمانية والايرانية، وما قادت اليه احداث ذلك الصراع المرير من نتائج على العراق بشكل خاص، وعلى المشرق العربي عموماً.

تميزت طبيعة تاريخ العراق الحديث بمقومات اصيلة واساسية مضادة، حفظت هذا البلد الكلاسيكي العريق ورقعته الجغرافية الاستراتيجية العظمى بمدنها وانهارها ومسالكها وجبالها وبراريها. . من عوامل القهر أو الدمار والموت، فبقي العراق حياً رغم كل ما عصف في حياته عبر القرون المتأخرة من متغيرات تاريخية قاهرة، وتيارات غريبة، ونكبات طبيعية، أو هزات اقتصادية مريرة من مجاعات وفيضانات واوبئة. . ثم ما ناله من استعداءات خارجية ايرانية، أو من قسوة الولاة والحكام الاتراك، وما جرى في بنيته الاجتماعية من انشطارات سكانية، ونزاعات محلية، وقلاقل قبلية. . . بفعل السياسات الاجنبية الغريبة

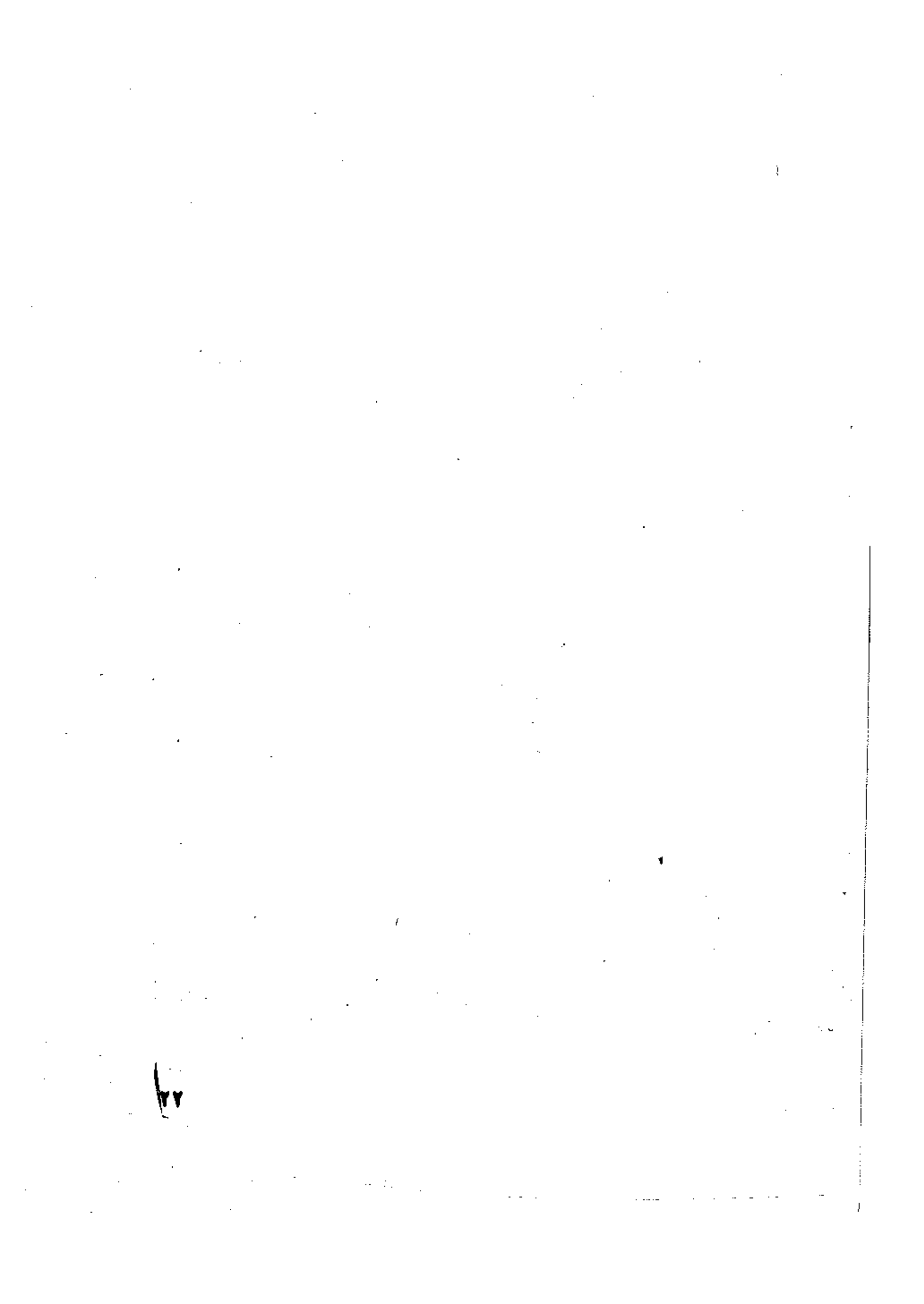
وعوامل السيطرة، ولكن رغم كل ذلك، فقد بقي العراق ملتئماً في اقتصاده، ومحافظاً على كيانه الجغرافي الابوي الموحد، وثقافته العربية الاصيلة.

اما من ناحية تركيبه التاريخي الحديث، فان القرن الثامن عشر يشكل فجوة زمنية متوقدة في حياته، شهدت أخطر الاحداث، وأبرز الرجال ساعدوه فيها سياسياً وعسكرياً بفعل كفاح الشعب العراقي في درئهم امتدادات ايران واطماعها في العراق، وخصوصاً خلال عهد نادرشاه.. كما وشهدت تلك الفجوة الزمنية زهواً مشهوداً في الثقافة العربية والتجارة، والصناعات مقارنة بأحوال اقاليم اخرى في المشرق العربي والاناضول، كانت تعيش جميعها في سبات عميق وسكونية بائسة.

ان دراسة أية حقبة زمنية في تاريخ العراق الحديث، يجب الا تقتصر على توضيح الجوانب السياسية، أو علاقاتها المؤثرة في الادارة والحرب، ويجب الا تكتفي أيضاً بالمرور على الاحداث التاريخية وسردها، أو الاعمال وذكرها ثم تجريدها جميعاً عن واقعها وأرضيتها، وعن المسببات والعلل والنتائج، بل يستوجب البحث في العوامل الاقتصادية التي رافقت وساعدت في خلق الاحداث.. التي أثرت كثيراً في تركيب البنية السوسيولوجية للعراق؛ ناهيك عن دور المؤثرات الجغرافية التي تفاعلت في صنع تلك الاحداث وإكسابها طبيعتها وألوانها...

وماذا ايضاً؟

هناك الوضع السكاني والبنية الاجتماعية، وتراكيبها الطبقية، ومقومات حياتها، تلك البنية التي تعتبر قاعدة للواقع الانثربولوجي العراقي المعاصر. هكذا، فأن اهم ما يحتاجه عراق اليوم هو دراسة جغرافيته التاريخية وترسيخها بنيوياً وسوسيولوجياً على نحو رصين، وتوثيق ارض العراق بماضيها عبر العصور، لأكتساب نتائج هامة ومفيدة، اهمها ربط الحاضر بالارض عبر الماضي وتحليلاته.. وهذا ما تتصف به دراسات معاصرة عديدة متقدمة لتواريخ امم وشعوب واحداث وحروب ومجتمعات وثقافات.. الامر الذي يوظف التاريخ توظيفاً تاريخانياً وعقلانياً لخدمة الحاضر وبناء المستقبل.



في خضم كهذا، فأن دراسات تاريخية جادة وأصيلة، ستفيدنا حتماً في تشكيل هذا النهج المعرفي، أو رسم خطوات وابعاد غاية في الاهمية كبدايات على الطريق.. دراسات كتلك التي كتبها وليم ماركيز ومكسيم رودنسون وألن ولسترنج وروبرت مانتران وخليل اناجليك وستانفورد شو ومحمد شفيق غربال وأسد رستم وعبدالله العروي وروبرت اولسن وكارل باربير وغيرهم وقبل ان نسأل: كيف ذلك؟ دعونا نفصح عن المزيد من المقاربات..

ليس هذا الكتاب محاولة على الطريق، بقدر ما يتوجس رؤ ية جديدة في كتابة تاريخ العراق الحديث، والوقوف ملياً عند اهم حدث تاريخي بارز في الحياة العربية خلال القرن الثامن عشر. تكمن هذه الرؤ ية، باعادة مؤلفه لطرح المزيد من التساؤلات، ومحاولته ايجاد اجوبة شافية عليها من خلال الاستنتاجات التاريخية التي يريد الوصول اليها. انه يتجاوز صيغة تركيب الاحداث والوقائع في دراسة التاريخ، بغرض ترتيب العلاقة الجدلية بين الماضي والحاضر وذلك من خلال منهج يقوم ويستند في مبعثه الاساسي على عاملين اثنين:

١ - ندرة الدراسة التاريخية الجادة والدقيقة عن الفترات التاريخية التي عاشها العرب في ظل السيطرة العثمانية، وبالاخص تلك الدراسة «العربية» عن تاريخ العراق الحديث، رغم ما تبدى الى حد هذا اليوم من «كتابات» تبدو قبل كل شيء انها مغرقة في الفذلكة والتراتبية والخمول. دون الوصول الى ما يمكن تسميته بـ «النتاجات المعرفية» سواء تلك التي تقوم على «التركيب»، فكيف نسمو ببناء دراسات معرفية متقدمة تقوم اساساً اليوم على «التفكيك»؟ اي - بأختصار - اعادة النظر في الرؤ ية والمنهج!

٢ - ضرورة اعادة النظر في الموضوعات التاريخية المتنوعة في تاريخنا العربي الحديث، اقول اعادة النظر، واختيار تصورات جديدة كجزء من فلسفة اعادة تفسير التاريخ، لأن مراحل مختلفة من تاريخنا العربي - وخصوصاً الفترات الحديثة - لم تجد الى حد هذا اليوم من يستلهم منها، تلك التجارب الخلاقة التي تسعى في معالجة الحاضر وبناء المستقبل.. إن العرب ما زالوا يمثلون ادوارهم من خلال معايشتهم لكل رواسب التاريخ وتوجهاتهم الماضوية. لقد بنيت آراء ومواقف ونظريات وافكار.. على عموميات خاطئة

في تاريخنا، نظراً لجهل المثقفين العرب بهذا التاريخ، وبسبب ضمور بعض احداثه، أو غيابها، أو سردها بلا معالجة أو معاينة أو تشخيص أو معايشة معرفية. . ناهيك عن ركام المناهج المضطربة ذات الخلل الفاضح في الكتابة الخاطئة، واحتجاب الرؤ ية والحقيقة التاريخية في زحمة هذا الاضطراب الذي تمثله إشكاليات لا حصر لها. .

دعونا نفصح عن اشكالية «المنهج» بالتوقف عند موضوعنا التاريخي، لنكتشف المزيد من ضوابط الاشكلة في فضائه المعرفي. .

يمكنني أن افصح منهجياً عن بعض المعاينات النقدية الاساسية التي اجدها اليوم من الاهمية بمكان أن تطرح لآثاره النشاط الذهني، وذلك للكشف عن اهمية الاحداث التاريخية الكبرى في تاريخنا الحديث، وهو التاريخ الذي ولدت في رحمه تكويناتنا الوطنية والقومية في آن واحد. دعونا نبين هذه المسألة على جانب من التفكيك، فنحن ندعو الى معرفة تاريخنا من اجل بناء نقدي لحاضرنا ومستقبلنا، فان ذلك لا يتأكد بالصورة المثلى، الا من خلال المعاناة به، ومعاينته بواسطة الوعي والعقل. . وعدا ذلك فاننا نكون قد سجلنا صفحات من الممارسات السطحية التي لا تتفق والمنطق السليم والنتاج المفيد.

ان النزوع العروبي في دراسة التاريخ ومعاناته لا يتجلى في نتائجه، الا عندما تزدوج «الاشكلة المعرفية» بجوانب من «الادلجة القومية» لكي يعبر عن موقف تكثر حوله وعنه المزيد من التساؤلات المتنوعة. وهكذا، فان موضوعاً كالذي يتدارسه هذا الكتاب (حصار نادرشاه للموصل عام ١٧٤٣ م/ ١١٥٦ هـ)، هو من المواضيع التي لابد ان تقف الاجيال العربية القادمة عندها، موقف المتأمل والدارس معاً، وعليهم ـ دوماً ـ ان يطرحوها على انفسهم لكي يكتشفوا قيمة النتائج التاريخية التي خرج بها ذلك الحدث الدراماتيكي الرهيب.

لقد رغبت في تقديم موضوع «الحصار» كجزء من فاعلية علمية تحتاجها هذه المرحلة العربية، وان أسعى في الوقت نفسه الى تبني موقف إعادة فهم التاريخ وتفسيره ضمن اختيار التفكير النقدي في صفحاته المتنوعة، ومزاوجة التاريخ

بالجغرافية، وذلك في البحث عن اسباب لا مفكر فيها، بحيث نؤشكل الاسباب التقليدية التي درج عليها اغلب المؤلفين والمؤرخين في فهم طبيعة العلاقات التاريخية بين العراق وايران من طرف، وبين العرب وجيرانهم من ذوي الشراكة التاريخية كالفرس والاتراك من طرف آخر. وليس ذلك بأمر عارض، بل انه امر يتفق مع المطالبة باعادة فهم الذات، وفهم المجتمع بكل ما حفل به من ركامات وترسبات تاريخية يعيش ازمتها وثقلها واشكاليتها ابناء الحاضر.. هكذا، تفتح «الدراسة» الطريق للافضاء الى بناء فهم معرفي من نوع جديد، يفسح المجال امام بناء نظم وافكار واخلاق وممارسات ومؤسسات... تشكل بينها وبين ما هو مألوف ومتواتر من سلبيات وخطايا في بنية المجتمع التقليدي، قطيعة تاريخية من اجل حالة انطلاق جديد.

ومن البديهي ان هذا النوع من الاعتبارات المنهجية يسعى دوماً، لكي يفسر الدوافع التي من اجلها تثار الحماسة عن احداث تاريخية بطولية ناصعة في جبين الامة.. بعد ان حافظت الثقافة القديمة على ما هو مألوف بالتكتمات والتغطيات عليها بحجة «ظلامية» الفترة التاريخية وشللها، ذلك الشلل الذي يعبر عنه بالموت. وتثبت الدراسة ان المجتمع العربي قد اتصف بالتخلف والسكونية ابان العصور العثمانية.. اننا عندما نسأل عن طبيعة انفجار النزوع العروبي والوطني بوجه نادرشاه خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر، فأن ذلك هو الدليل الكافي، والدافع الذي يؤكد حيوية ذلك النزوع بعد الاحداث التاريخية التي تعاقبت على المجتمع بعد ذلك.. والنتاجات والمعطيات التي كرسها ضد الغزاة الاشرار بجانب النضال ضدهم.

اننا نعتقد بأن الاوان قد آن لكي يُكتب تاريخنا العربي الحديث من خلال فهم جديد، ومسح وثائقي شامل.. لا تخفى جوانبه المضيئة ومساحاته الحقيقية على حساب الفكرة المسيطرة والقائلة بـ «الظلامية» أو «العصور المظلمة» Dark Ages كمصطلح استخدمته الثقافة الاوربية نتيجة لما عانت منه اوربا في احقاب العصور الوسيطة. هكذا اذاً، نقول بمصطلح «سكونية» العصور العثمانية، ولا نقول بـ «ظلاميتها».. ان ذلك يمنحنا الثقة بأجراء حوار ممكن مع حوادث ذلك التاريخ السكوني، أو حسبما عبّر عنه المؤرخ البروفيسور مجيد خدوري بـ «الفترات المسكونية»، فهو التاريخ الذي لم يعدم من وقائع لامعة عاشت في

خصمه. ان ذلك يمنحنا - أيضاً - قدرة البحث عن شرعية التلاحم السوسيولوجي والانثربولوجي - العربي في ظل الاحكام المركزية أو اللامركزية العثمانية على امتداد التاريخ الحديث.

ان التجارب العلمية الخلاقة والجادة، هي التي تدحض الافكار المسيطرة على الذهنية العربية، سواء تلك التي تمجّد «التاريخ العثماني» تحت شعار «اسلاميته» أو تلك التي تقتص منه بسبب «ظلاميته»! ان تلك التجارب المعرفية القائمة منهجياً على التركيب أو التفكيك، سوف لن تنجح الا من خلال اعادة النظر في ترسيخ «اشكلة التاريخ»، ونقد «أدلجة الحاضر».

ان السياق الذي يجمع مختلف النقائض من الكتابة التاريخية - العربية المعاصرة، يتلاقى دوماً مع الاخفاقات التي يحياها المجتمع العربي - الحديث، والذي يجمع كل التناقضات بمعزل عن الارهاصات التي كان قد بدأها المفكرون العرب خلال فترة ما بين الحربين العظميين في التحديث، ونضوج الفكر القومي - العربي. هكذا، سيكون الخطاب التاريخي العربي - المعاصر، بلا شك، هو المعبر الاول عن ذلك الواقع الاجتماعي بجملة تلك التناقضات المكينة فيه. والتي لم تتعر الى حد هذا اليوم، بالرغم من الاحتجاجات الصارخة التي طالبت بكشف ما هو منظور وواضح، دونما البحث عما هو مخفي ومستور في اللا وعي الذاتي، أو ما وراء الواقع الاجتماعي.. لقد بقي اذن، كل من المخفي والمنظور يشكلان حراجة تاريخية قاتلة في مشروعات النهضوية العربية الحديثة. ان مفاهيم الفلاسفة والنقاد المعاصرين كميشال فوكو والتوسير وباشلار وغرامشي ودريدا.. وغيرهم كفيلة بالقاء المزيد من الطروحات الفكرية والمنهجية في هذا الصدد، لاغناء الفكر العربي المعاصر ايبستمولوجياً.

ان التساؤلات النقدية التي يمكنني طرحها في هذا المجال، قد لا تؤخذ بجدية تماماً لصعوبة ممارستها كونها متجاوزة للزمن، ولكنها على الاقل، لها اهميتها في الميدان المعرفي الذي لا شك بأنه الوحيد القادر على خلق حالة التجاوز كبداية لعملية انتاج المعرفة الاجتماعية اولاً. وان العملية بحد ذاتها، هي حالة افصاح لما يكمن في الحاضر المألوف من جذور قديمة راسخة يستقدمها كل جيل عمن سبقه، وهذا امر يرتبط بالارث التاريخي كجزء من الطبيعة الانسانية بكل ما حفلت به من

سوسيولوجيات واركيولوجيات وفولكلوريات.. تشكل جميعها في كل من الوعي واللا وعي الانساني والاجتماعي حلقة من حلقات الواقع العربي الحديث.

لا يشكّل هذا الكتاب (حصار نادرشاه للموصل سنة ١٧٤٣ م/ ١١٥٦ هـ)، تجربة معرفية مجردة تتبنى الافكار المنهجية التي يؤطرها هذا «المدخل» الابيستمولوجي، وهو المدخل الذي يطرح اساساً المنهج التفكيكي، الذي تؤلفه - عندي - خطوات بحث رؤيوية ومفاهيمية، وقد افصحت عنها في مقدمة كتابي الآخر في قسمه الاول *، في حين يمثل هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ تجربة في التركيب، تتوقف عند اعظم حدث تاريخي بارز في حياة العراق الحديث. وهو ايضاً، معالجة في التحليل التاريخي لأستنباط بضعة نتائج فاعلة في الحياة العربية المعاصرة، وبالتالي اغناء لتاريخ العرب الحديث من خلال منهجية التاريخ المحلي The Local History للموصل، ومساهمة فيه بصورة مطولة. ومن نافل القول، التوضيح هنا، ان هذه المساهمة، لا تعني على الاطلاق التأكيد على الاقليمية والتعصب لها، بقدر ما تعني ابراز لتلك الحقائق التاريخية التي لم تزل الى حد هذا اليوم لم تتحدث عن نفسها على يد المؤرخ العربي المعاصر، كونها كامنة بين طيات المخطوطات والاراجيز الشعرية والآثار والقصائد والوثائق والرسائل الاجنبية وكتب الرحلات القديمة.. «وان المؤرخين المرموقين... يحاولون ربط بعضها ببعض ووضع كل حادثة في اطار عام يستطيع القارئ بمقتضاه ان يميز بين الحدث السابق والحدث اللاحق بين السبب والنتيجة، بين العام والخاص، اذا اقتنع القارئ بما يقرأ وتتابعت لديه الاحداث بكيفية منتظمة مرضية قال عنها المؤلف: هذا مؤرخ حق نقدي الاخبار وتوصل الى ابراز المنطق المتضمن فيها» - على حد تعبير المؤرخ المغربي عبدالله العروي -.

ثم ماذا ايضاً؟

من خلال هذا الاقتراب لصياغة اشكاليات متنوعة يحتويها هذا «المدخل» بصورة مختزلة، نوضح على وجه التحديد بعض الارتسامات الاساسية في البحث التاريخي ؛ ولكن كيف؟

---

* انظر: سيار الجميل: «العثمانيون وتكوين العرب الحديث: من اجل بحث رؤيوي معاصر»، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت - ١٩٨٩.

ليست النصوص التاريخية التي تركب منها بحث موضوع هذا الكتاب، إلا معلماً على الطريق الصعب والطويل، من اجل تشكيل مفاهيمية منفتحة وتطبيقية لتاريخية العرب في العصر الحديث، اقصد، اعادة النظر في منتجات هذا التاريخ الذي اشتركت فيه عناصر متباينة، واعادة الرؤية في معطياته السوسيولوجية والاقتصادية والثقافوية.. بشكل يتجاوز الحدود التي فرضتها علينا الادبيات التقليدية. اي باختصار، بناء رؤيوية جديدة لتاريخنا العربي عموماً، ضمن مناهج معرفية، لا تنفك جاهدة باشتراكها كأدوات في يد المؤرخ الجاد والبعيد النظر، ان تمارس البحث والتفكير عن اجابات تطرحها تساؤلات متنوعة يفرضها الباحث والمؤرخ نفسه فرضاً على موضوعه لأقامة تتابعية مستمرة بالحجة والدليل، من البحث الحي الذي يفكر ويتأمل في قضايا الاشكلة دوماً، وذلك عبر المواجهة الشفوية والتحريرية في فضاء من الفرضيات المتشظية في كل ما يمكن دراسته في الحاضر. ثم بأختصار، تشخيص الرواسب التاريخية الكامنة في اعماق حاضرنا، والتي افرزتها القرون المتأخرة بشكل خاص.

اريد القول ايضاً، بأن هذا العمل، لا يعبر ابداً عن التوجه الرؤيوي الذي أنتويه اليوم، فقد مضت سنوات على كتابتي له.. ولو قدر لي وكتبته من جديد، فسيخرج بغير الصيغة التي أنشره عليها اليوم. نظراً لما افرزه عندي التكوين المعرفي الذي نقلني من طور «التركيب التاريخي» الى «التفكيك المعرفي» ضمن المنهجية الرؤيوية التي رسمت كتاباتي المتأخرة على انساقها الابيستمولوجية.

كيف يتم الكشف عن خطوط ذلك؟

كي افصح بشكل واضح عن المفارقات التي تميز «التفكيك» (لتحديد الرؤية) عن «التركيب» (لتتابع الاستعارة والتقليدية)، أود ان تكون هذه «المنهجية» مبعثاً لأنشطة فكرية فاعلة من خلال الاستنتاجات التاريخية التي ينتهجها البحث، وسوف اعالج ادناه بعض الخصائص التي تحدد اساليب العمل في التفكيك المعرفي كأطار من أطر المنهجية الرؤيوية:

١ ـ الاستناد على الفرضية الموضوعية التي تقول بأن الحوادث التاريخية المتنوعة، ذات بنية متماسكة وثابتة، وانها ذات دلالات ومعان لا تموت بأنتهاء الحدث التاريخي أو الواقعة اليومية، اذ تتخلف عنها «رواسب تاريخية»، علينا بالكشف عنها.

٢ ـ تشخيص كافة التناقضات بعقلانية مجردة، وحياد تام.. دون العمل على اخفاء التناقضات ضمن حجج متباينة.. وتكون القراءة واعية تمام الوعي لكشف المزيد من الحقائق، وتستبعد ـ هنا ـ القراءة الخالية من الوعي.

٣ ـ الاستناد على «المرجعية» المنهجية التي تقوم أساساً على روح المعرفة والتي تزاحمها العديد من الأفكار والتفاسير والتيارات التي تريد سحب جملة التاريخ اليها لتغلفهُ بأرديتها. ان المعرفة تتسامى فوق كل شيءٍ بعيداً عن كل الثيولوجيات والمشاكل الايديولوجية المتنوعة.. انها المستمرة بقوة البرهان (= العقل)، والمؤسسة على الروح الانتولوجية السامية.

٤ ـ ان التفكيك المعرفي / الايبستمولوجي لصفحات معنية من التاريخيات المتنوعة لا يتعزز إلا بالاستبطان وقراءة ما يمكن وراء الاحداث والنصوص وانعكاسات ذلك على البنى المستقبلية لتلك التاريخيات، أي الربط الجدلي بين السوابق واللواحق. ولكن لا يمكن ممارسة النقد والتفكيك قبل اتباع وممارسة المنهج التركيبي، الذي يسعى لتوفير مناخ بنيوي في دراسة التواريخ، شريطة أن يتسم ذلك بالدقة والاختزال والعقلانية، وممارسة الروح المعرفية، من اجل تقديم ما تتطلبه الاجيال العربية الحديثة من نصيب الثقافة الاصيلة والانفتاح على التحديث والعصرنة، أي من اجل التقدم والارتقاء.

من الضروري، في النهاية، القول بأن الكتابة التاريخية حول حدث تاريخي بارز في حياة أية امة، هي مهمة عسيرة، لا سيما اذا كان ذلك الحدث يمثل نقلة تاريخية فاصلة بين عهدين سياسيين، أو عصرين تاريخيين، ومهمة صعبة ايضاً ان يفرد لحديث تاريخي واحد كتاباً كالذي بين يدي القارئ! انه الحدث الذي يعتبر نقلة كيفية في تغييرات اصابت المجتمع في بنيته وعلاقاته وادارته واقتصاده وثقافته في الصميم.. نقلة تاريخية أثّرت في التكوينات السياسية والروابط الاقتصادية ومستوى المعيشة لذلك المجتمع.. وسيكون العمل صعباً، اذا ما بحث المؤرخ في الفوارق الدقيقة والمتميزة كجملة من المتغيرات لجميع فئات المجتمع وطبقاته بعد انتهاء ذلك الحدث ومؤثراته الدولية والاقليمية والمحلية على حد سواء.

ان اول ما يستهدفه الباحث والمؤرخ ورجل العلوم الاجتماعية، هو في تقديري، نجاحه معرفياً ومنهجياً على حد سواء، ويكمن ذلك في اتباعه للانساق والمفاهيم، وممارسته لذلك في عمله كيما يحصل على المزيد من الاستنتاجات التي لا مناص من توظيفها معرفياً في ارساء الوعي السياسي والوطني والعروبي، وتكوين رؤية سليمة في التفسير المقارن للتاريخ من اجل الوصول الى معرفة اسمى بأوضاعنا العربية المعاصرة. تكشف الاستنتاجات ايضاً، عن محاولة لتوفير جذور التحديات التي نواجهها كعرب في ايامنا المعاصرة، وخصوصاً بالنسبة للعلاقات التاريخية المتأزمة بيننا وبين الامم الاخرى، ومنها ايران التي اشتركت معنا في تاريخ متأزم يمثله صراع طويل وعميق الجذور والابعاد، انه تاريخ مشترك طويل من الصراع السايكلوجي والاستراتيجي المزمن. فكيف سيكون الحال اذا ما درست تواريخ تفصيلية عن طبيعة العلاقات المتوترة والساخنة سياسياً وثقافياً ومذهبياً وايديولوجياً؟؟

هكذا سنصل الى نتائج غاية في الغرابة والتعجب اذا ما دُرست حالات الصراع الدموي في الحصارات والحروب والقتالات الشرسة.. من اجل قبر الطموحات والآمال الميتة لايران التي تريد السيطرة على العراق والمشرق العربي، كي تصل بيدها الى سواحل البحر المتوسط وقد اثبتت صفحات التاريخ، ان ذلك لم يتحقق ابداً على امتداد التواريخ الوسيطة والحديثة، ومنذ العصور الكلاسيكية المندثرة.

ان هذا كله يدفعنا لتحديد جملة من مفاهيم المعرفة، واجراء تطبيقات دقيقة من خلالها في دراساتنا الاجتماعية كافة.. ومن اجل الارتقاء بأوضاعنا العلمية والبحثية مما هي عليه اليوم! وهذا لا يتم مطلقاً دون ان تتربى الاجيال العربية المعاصرة والقادمة عليها، ومن خلال مزاوجتها مع التجارب التاريخية المريرة والساطعة في حياة الامة العربية، كي نحقق الممكن التاريخي الذي يتطلبهُ مستقبلنا قبل كل شيء.

ان المناهج المتقدمة والمفاهيم المعاصرة لم تزل بعيدة كل البعد عما يمارسه العرب من كتابات وتجارب... فلابد من معطيات جادة على الطريق كي نخدم حاضرنا العربي المعاصر وبشكل يوفيه حقه من البحث عما يتمفصل في دواخله ثقافياً وسوسيولوجياً وتراثياً وألسنيا.. الخ من اجل بناء مجتمع عربي جديد لم تزل اجيالنا القومية تسعى للنهوض به من خلال بعث زمرة التاريخ... وعند ذاك سنكون قد بلغنا درجة الحداثه!

نقــد المصــادر وتحليلهــا

قبل تدارسنا حصار نادرشاه للموصل سنة ١٧٤٣ م، في اسبابـه (الفصل الثاني)، وتفاصيله (الفصل الثالث)، ونتائجه (الفصل الرابع). نجمل ادناه ـ وقبل ان نخوض في غمار نقد المصادر والمراجع وعلى وجه التحديد ـ مدونـات الحصار الاساسية التي تتميز بأهميتها البالغة من ناحية تفـاصيل روايـة احداثـه التاريخية . . ولولاها لضاعت علينا معلومات غزيرة، ولخفيت عن اعين المؤرخين والقراء والمهتمين فقرات كاملة من تفاصيل الاحداث التي ضمها الفصل الثالث من بحثنا هذا . . اضافة الى نتائج الاحداث التي اعتنى بها الفصل الرابع . ان اهم مدونات تفاصيل احداث الحصار ونتائجه المباشرة هي على التوالي :

١ ـ وثيقة القازوقجي الرسمية .
٢ ـ رواية كتاب «المنهل» .
٣ ـ رواية ارجوزة «ملحمة الموصل»، واراجيز وقصائد اخرى .
٤ ـ رواية كتاب «الدر المكنون» .
٥ ـ وثيقة الحصار الدولية (باللغة الايطالية) .
٦ ـ معلومات كل من نيبور ولانزا وايفز وأوتيه .
٧ ـ رواية الحصار في المخطوط التركي (المتحف البريطاني) .

ان المصادر اعلاه قد اختصت بتدوين احداث الحصار التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية . . على نحو شمولي، وسوف نتدارسها ادناه مع غيرها من المصادر والمراجع الحديثة . ان النقد التاريخي لمصادر احداث الحصار، او اية احداث تاريخية هامة يفرض على المؤرخ ان يقف عندها ناقداً بعد ان قدم مادته من خلالها، وان عملية كهذه لابد لها من مقايسة ومقارنة بين المصادر، وتوضيح سماتها الموضوعية التي تميزها .

ان رواية الاحداث التاريخية لحصار الموصل، والمعلومات التي كتبت عنه، والآثار والادبيات التي نسبت اليه او الكتابات التي عنيت فيه تتوزع ضمن الحقول التالية :

١ ـ شروحات التقارير والمذكرات والوثائق الرسمية.
٢ ـ الرواية التاريخية الاصلية.
٣ ـ الرواية الشعرية والصور الادبية.
٤ ـ معلومات واخبار الرحلات الاوربية.
٥ ـ الكتابات التاريخية الحديثة.
٦ ـ الدراسات الاكاديمية.

ان الحقول الموضوعية اعلاه قد شملت جملة من الكتب والوثائق والمخطوطات والاوراق وبعض المقالات والقصائد والاراجيز والتواريخ الشعرية.. وقائمة المؤلفين والقادة الرسميين والادباء والرحالة الاوربيين تشير كون هؤلاء قد طرقوا موضوع حصار الموصل على نحو موضوعي مباشر فيما سجلوه وكتبوه عن احداثه.. وهناك قائمة اخرى من الكتاب والمؤرخين والشعراء قد مروا على ذكره او الاشادة به في معرض كتاباتهم عن مواضيع اخرى متصلة به أو منتهية فيه أو متلاقحة عنه. ويمكننا التفصيل في نقد مصادره والوقوف ملياً من خلال الحقول المارة الذكر على التوالي:

١ ـ شروحات التقارير والمذكرات والوثائق الرسمية:

تشملها تلك التسجيلات الحكومية والدوبلوماسية والدولية، وقد ظهر العديد منها الى حد هذا اليوم، وربما ستظهر أو تكتشف اشياء اخرى في قابل الايام. ففي المذكرة الحكومية المحلية لولاية الموصل «سالنامة الموصل» تسجيلات رسمية عديدة اهمها ما كتبه وذيله بتوقيعه والي الموصل الوزير الحاج حسين باشا الجليلي، اضافة الى معلومات السالنامة التاريخية نفسها ثم وثيقة الوزير القازوقجي محافظ الموصل التي تسجل تفاصيل احداث الحصار على نحو رسمي، وقد برزت فيه نواح كثيرة واوجزت في اخرى بمقارنتها مع روايات تاريخية اخرى عن الحصار مثل رواية «المنهل». وعلى المؤرخ ان يعتمد عليها نظراً للميزات التالية التي تتحلى بها:

١ ـ انها تقرير حكومي رسمي موقع من قائد رسمي كان له دوره في الاحداث وعلى نحو بارز.

٢ ـ ان موقعها الوزير القازوقجي (محافظ الموصل) لم يكن موصلياً، او احد مستوطني الموصل، او انه قد قضى في ربوعها عهداً طويلاً في الادارة، بل عين محافظاً لها في ظروف الحرب وهو والي حلب.
٣ ـ ان الوثيقة نفسها كانت مرسلة الى البلاط العثماني في اسطنبول هدفها اطلاع السلطان العثماني وهو اعلى سلطة في الامبراطورية على تفاصيل احداث حرب الحصار بصورة رسمية.
٤ ـ ان هذه الوثيقة هي اقرب مصدر حي الى عمر احداث الحصار، فقد كتبت بعد انتهاء حصار الموصل مباشرة ورحيل نادرشاه عنها.

ان الوثيقة الاساسية المهمة الثانية عن حصار الموصل هي تلك الوثيقة الدولية التي كتبت باللغة الايطالية وارسلها المستر استانهوب اسبينول نائب السفير البريطاني لدى البلاط العثماني الى وزارة الخارجية البريطانية. وقد فصلت في شرح اهميتها في تحقيقي وترجمتي لها. (راجع الملحق رقم (١) في هذا البحث).

وهناك الرسائل الدوبلوماسية لاسبينول نفسه، والتي كان يرسلها الى حكومة دولته ثم الرسائل الدوبلوماسية التي كان يرسلها القنصل الافرنسي في بغداد عمانوئيل سانت البرت الى الحكومة الفرنسية.. ورغم قلة معلومات هذه الرسائل عن الحصار بالذات، الا ان البعض من رسائل استانهوب اسبينول توضح ابعاد الحصار وآثاره في كل من العاصمة العثمانية ومواقفها السياسية ثم توضح لنا من طرف آخر اوضاع حلب [1].. في حين ان رسائل ع سانت البرت توضح لنا اوضاع نادرشاه ومواقف بغداد تجاه الحملة الايرانية العاتية الثانية تحت قيادة نادرشاه نفسه، [2] وأهم ما في هذه الوثائق المعلومات الجديدة التي اوضحت لنا موقف الوزير احمد باشا ابن حسن باشا والي بغداد من الحملة الايراني على العراق وهجوم نادرشاه على الموصل.

وهناك ايضاً، رسائل حرب الموصل ضد الهجوم الايراني عليها والمتبادلة بين نادرشاه ـ حسين باشا الجليلي، والمرفقة نصوصها الكاملة ضمن ملاحق هذا الكتاب. وتعتبر هاتان الوثيقتان الرسميتان ذات اهمية بالغة في توضيح ابعاد اسبقيات الحصار التاريخية بأيام منه، ثم توضح بصورة لا تقبل الشك قوة وشراسة الهجمة الايرانية في التهديد الايراني الذي احتوته الوثيقة الاولى، من جانب آخر نتلمس الموقف الحديدي الصلب للموصل قيادة وشعباً في الرسالة الجوابية على الانذار الايراني الاول (راجع ملحق رقم ٣ وملحق رقم ٤).

اضافة الى كل ذلك، فان هناك معلومات اساسية مساعدة تتضمنها سجلات ولاية الموصل الحكومية وهي ارشيفات عثمانية رسمية يتواجد قسم منها في اسطنبول، (٣) وهناك دفاتر مصورة عن سجلات حكومية تحتفظ بها مكتبة الدراسات العليا في جامعة بغداد (٤). . اضافة الى ما يحويه مركز الوثائق الوطني في بغداد. وتحتفظ الموصل نفسها بالعديد من الفرامين الرسمية والخاقانيات والمستندات، ووقفيات الجوامع والاراضي والقرى. . وذلك في مكتبات خاصة.

٢ ـ الروايات التاريخية الاصلية:

تنقسم روايات حصار الموصل التاريخية في هذا الجانب الى نوعين من حيث التفاصيل واهمية المعلومات وهما:

١ ـ الرواية المحلية:

وهي الرواية التاريخية التي تتميز بأهميتها البالغة التي تشكل تراكيبها من المعلومات الاساسية عن الاحداث؛ العمود الفقري لقصة حصار نادرشاه للموصل وتفاصيله وخصوصاً من النواحي الحربية ومعارك الدفاع العديدة بعد الهجوم المدفعي وقصف المدينة بآلاف القنابل ثم الهجوم الايراني البشري الكاسح الذي انتهى فاشلاً. . ثم تفاصيل المفاوضات وانتهاء الحصار. ومما يعزز من قيمة الرواية المحلية لهذا الحصار كونها قد كتبت من قبل مؤرخين محليين من ابناء نفس البلد الذي عصفت بمقاديره تلك الاحداث الكبرى. . ثم ان مدوناتهم التي يقف عليها المؤرخ هذا اليوم، هي المدونات المخطوطة التي كتبوها بأيديهم انفسهم. وان الذي كتبوه من الاحداث يتوضح صدق روايتهم فيه نظراً للعوامل التالية:

١ ـ ان هذه الرواية تتطابق على نحو واضح مع الشروحات الوثائقية.
٢ ـ ان عمر هذه الرواية قريب من زمن الاحداث.
٣ ـ ان من كتب هذه الرواية قد شهد احداث الحصار أو تلمس آثاره.
٤ ـ ان هذه الرواية معززة في كثير من الوقفات بالاستشهادات والاقوال للعديد من القادة والعلماء والشعراء ممن عاشوا خضم الاحداث بصورة عملية، كما واعتمدت هذه الرواية في تسجيلات نصوصها على الذين شاركوا في صنع تلك الاحداث التاريخية.

أ ـ ان اهم رواية محلية تحكي التفاصيل التاريخية بـأسلوب دراماتيكي وحقيقي لأحداث حصار الموصل وعلى نحو مسهب واف هي رواية المؤرخ والعالم محمد امين الخطيب العمري الذي ضمنها في صفحات عديدة من كتابه المشهـور «منهل الاولياء . . »، (٥) ولا غبار من الناحية النقدية تجاه رواية هذا المؤرخ بعد مقارنتها بالرواية الرسمية، فكان صادقاً فيها ومخلصاً واميناً في تسجيلها ايضاً . ومن المؤكد بأن حصار الموصل واحداثه الرهيبة كان له التأثير البالغ عند هذا المؤرخ، اذا ما علمنا بأنه قد شهده وعمره ست سنوات، (٦) فكانت تلك الانطباعات المترسخة عنده تجاهه قد قادته لكي يقدم خدمة جليلة لبلده وتاريخها واجيالها من بعده من خلال كتابته لتلك التفاصيل عنه بحيث اعتبرت روايته المحلية احد امهات المصادر عن الحصار، ويتلمس المؤرخ فيهـا من المعلومات ما لم يتلمسه ويجده عند اي مصدر آخر من امهات المصادر على نحو شامل. لقد كان اسلوب هذا المؤرخ مبسطاً خـال من تعقيدات الـزخرفـة اللفظية، وقد وردت بعض الكلمات باللهجة العامية الموصلية. ومن الجدير بالملاحظة بأن موضوع كتاب المنهل هو (التراجم)، وقد نجح مؤلفه في ابراز النواحي المهمة لمن ترجم لهم، كما ويعتبر هذا الكتاب غزير في مادته ومعلوماته وخصوصاً عن الرجال الذين انجبتهم الموصل أو الذين عاشوا في كنفها خلال القرون المتأخرة. وقد وردت بعض الاخطاء التاريخية في حديث المؤلف عن حوادث تاريخية عديدة. (٧)

ب ـ الرواية المحلية عن الحصار للمؤرخ الشهير ياسين افندي الخطيب العمري، وتتميز هي الاخرى بتفاصيلها التاريخية الـوافية والـواضحة من النـواحي السياسية والحربية والاجتماعية . . ونراها متوزعة بشكل بارز في العديد من كتب هذا المؤرخ، واهمها تلك الرواية التي تضمنها كتابـه الشهير «الـدر المكنون . . »، وعلى الاخص ما احتوت عليه النسخة الثانية من هذا الكتاب الذي لم يزل مخطوطاً. (٨) ان معلومات هامة ومفيدة عن حصـار الموصـل تحتويها النسخة الاولى، ولكن هذا المؤرخ اضفى على الثانية مواد تاريخية جديدة اخرى بعد كتابته لها بخط يده وبعد سنوات عديدة من كتابته للنسخة الاولى من كتابه «الدر المكنون . . ». اضافة الى ما كتبه عن الحصار في كتابه الآخر «الآثار الجلية . . » الذي اختصر زبدته الدكتور داؤد الجلبي وضمت

هذه «الزبدة . . » معلومات موجزة وهامة عن حصار الموصل. اضافة الى كل ذلك فان المؤرخ ياسين العمري قد كتب رواية الحصار في مختصرات عديدة احتوتها كتبه الاخرى واهمها «خلاصة التواريخ - مخطوط -» وكتاب «قرة العينين. . - مخطوط -»، وكتاب «منية الادباء. . - محقق -»، وكتاب «غاية المرام. . - مطبوع -».

يظهر لنا جليا من دراسة نصوص رواية المؤرخ ياسين الخطيب العمري انه قد اعتمد في بعض مادته على كتاب (المنهل) لأخيه محمد امين، اضافة الى تسجيل ما كان قد سمعه من الرواة والشيوخ الذين كانوا قد عاصروا احداث الحصار واشتركوا فيها ومنهم استاذه في التصوف الشيخ عثمان الخطيب الاسود. ويبدو لنا ان المؤرخ ياسين قد كتب في جوانب وآثار الحصار اكثر من معالجته لتفاصيله كما هو عليه نص رواية الحصار في «المنهل». من طرف آخر فان هذا المؤرخ لم يشهد احداث الحصار بنفسه، لأنه ولد بعد هذا الحصار بسنة ونصف السنة، (٩) وهكذا فقد نشأ هذا الرجل منذ بدايات حياته الاولى وجميع الناس في مدينته تلهج بذكر الحصار ووصف عملياته وآثاره. ان اسلوب هذا المؤرخ مبسطاً جداً وتتخلله العديد من الالفاظ الغريبة والتراكيب العامية، وبالقياس الى غيره من الاساليب الادبية التي كانت رائجة ثقافياً عصر ذاك في مدينته بصورة راقية، نجده ضعيفاً جداً. . ومع كل هذا وذاك فان ياسين العمري يعتبر - اليوم - من اشهر المؤرخين العراقيين ابان عصره نظراً لغزارة مادته التاريخية التي قدمها لنا في اعمال تاريخية اساسية تربو على (١٥) كتاباً، والتي تميزت عناصرها بالتنوع سواء على مستوى الموضوع أو المعلومات، فهو المؤرخ العراقي الوحيد خلال العهود الحديثة الذي نوّع مواضيعه التاريخية فكتب في تاريخ الدول والتاريخ الحولي والتاريخ المحلي لمدن العراق وادب التراجم. . وغيرها. (١٠) ونجد في معظم كتبه، معلومات جديدة عن العراق لا نجدها عند غيره وخصوصاً المعلومات السياسية والاقتصادية والادارية.

ج - رواية الحصار المحلية في مخطوط «روضة الاخبار» لمؤلفه علي بن ياسين العمري، وهي رواية تاريخية مختصرة، من المؤكد ان المؤلف قد كتبها نقلا عن احدى روايات سابقة لها، او انه نسخها من احد كتب المؤرخ ياسين افندي الخطيب العمري.

لابد لي ان اشير الى القيمة التاريخية التي تتحلى بها الرواية المحلية في كتابة احداث حصار الموصل اذ لولاها لضاعت عن الدارس مساحة واسعة من تراكيب تلك الاحداث ومعلوماتها المختلفة. ويعود الفضل في تسجيلاتها وحفظها الى كل من الاخوين العمريين ياسين ومحمد امين.. وحسبنا ان نذكر بأن المصادر التاريخية التي اعتنت بتاريخ بغداد ووزرائها في الفترة المختصة قد تضاءل فيها حجم المعلومات عن الموصل بل تخفت وتندر في اغلبها على قلتها وكتابتها - أي المصادر - بالتركية وليس بالعربية، وقد يعزى السبب في ندرة معلومات الحصار عندها كون بغداد لم تشترك في فصوله لا من قريب ولا من بعيد بل اشتركت في اسبابه على يد واليها.

٢ - الرواية الاجنبية:

وهي رواية تاريخية موجزة، وليست لها تفاصيل عن احداث الحصار، ولكن معلوماتها لا تخلو من فوائد للباحث المتقصي الذي يريد ان ينتهي الى نتائج تاريخية مهمة وعديدة من خلال فهم الاسباب والعلل التي بلورت الاحداث، ثم موازنته بينها من خلال بحثه باسلوب مقارنة المعلومات ومقايستها زمنياً ومكانياً، والاحاطة بجوانبها المتباينة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وسكانياً وعسكرياً.. ان اهم هذه الروايات، هي رواية المؤرخ القديم المستشرق النمساوي الفون هامر بورجشتال [١١] الذي اعتمد في كتابته لها على المصادر التركية وبمقارنتها مع روايات تاريخية كتبتها عن احداث اخرى تضمنها صراع العثمانيين مع نادرشاه في اقاليم عديدة سواء كانت تلك الاقاليم عراقية ام تركية ام ايرانية او في اماكن عديدة من اذربيجان او تركستان او ارمينية او قوقاسيا.. نجد ان معلوماته عن الموصل وحصارها تتميز بالشحة البارزة للعيان. ويعلل السبب في ذلك، ان الروايات التاريخية الاصلية المسهبة عنه قد كتبت باللغة العربية، والتي بقيت مخطوطة وحبيسة في الموصل ان لم تكن العراق ولفترات طويلة.. اضافة الى ان هذا المؤرخ قد اعتمد كلياً على المصادر التركية، وعلى الاخص روايات صبحي، في كتابته كتابه الشهير في «تاريخ الامبراطورية العثمانية» الذي تميز بمطولاته في مجلداته العديدة، ويرى بعض المؤرخين الاتراك ان المؤرخ الفون هامر قد وقع في اخطاء عديدة في كتابه هذا. من ناحية اخرى فقد وجدت ان هذا المؤرخ لم يعتمد على مصادر عربية في تعامله مع احداث الاقاليم العربية، رغم معرفته واجادته اللغة العربية ورسوخ علومه في آدابها وفنونها وكتابته لمجلدات عديدة لكتاب شهير

له قبيل وفاته تحت عنوان «تاريخ الادب العربي» وقد يعود السبب ان تلك المصادر العربية كانت قليلة ومحلية وغير ذائعة الانتشار . اما المصادر الايرانية فلم نجد لها ذكراً عنده، والتعليل انها كانت بعيدة عنه وعن فهمه لأن ثقافته الكبرى كان قد كرسها استشراقياً في العربية والتركية.

أما رواية الحصار في المصادر التركية فهي الاخرى غير موفية بأغراض بحث جوانبه على نحو مشبع ومبرز، ويعود السبب ـ فيما اعتقد ـ الى ان دفاع الموصل كان دفاعاً اقليمياً ـ عربياً ضد غزو ايراني، اذ لم تشترك في ذلك الدفاع اية فصائل من جيش امبراطوري ـ عثماني، ذلك الجيش الذي كان يقوده عادة الوزير الاعظم للامبراطورية او ان يمثله فيه سردار اقاليم الشرق، كما وفرته المصادر التركية من معلومات تاريخية غزيرة عن اعمال كل من الوزير طوبال باشا والوزير عبدالله باشا الكوبرلي وغيرهم من الوزراء العديدين .واهم المصادر التركية في باب رواية حصار الموصل او ذكر معلومات عنه هي تاريخ صبحي [١٢] وتاريخ احمد واصف «محاسن الآثار [١٣]» وتاريخ عاصم «تاريخ جلبي زاده[١٤]» ومعلومات كل من احمد راسم [١٥] وعلي اميري [١٦] واحمد جودت [١٧] والاخير هو المؤرخ الرسمي لدائرة الامبراطورية. . وهناك المؤرخ التركي الآخر مصطفى نوري باشا الذي تكلم عن حملة نادرشاه وحصار الموصل، وذكر بأن هزيمة كبرى قد لحقت نادرشاه. [١٨]

اما المصادر الايرانية القديمة فأهمها كتاب الاسترابادي «جهانكشارى نادرى»، والذي ذكر حصار الموصل بعجالة دون ان تتوضح من خلال الكتاب اية اسباب سياسية أو اقتصادية أو دينية لحملة نادرشاه الثانية الكبرى على العراق وحصاره للموصل. . علماً بأن الاسترابادى قد توسع في تدوينه لمعلومات اخرى لنادرشاه ايران في مراحل زمنية متقاربة من تاريخ ايران، وعملياته الحربية الكبرى.

٣ ـ الرواية الشعرية والصور الادبية :

وهو حقل هام واساسي لكل من المؤرخ والناقد والاديب ودارس الفن والشعر. . فلقد افرزت تجربة حصار الموصل تراثاً ادبياً ـ شعرياً كبيراً، شارك في صنعه العديد من ادباء الموصل وعلمائها وشعرائها وشيوخها. . واغلب ما احتواه

هذا الحقل هو العدد الكبير من قصائد المديح بحق بطل الدفاع، اذ شمل هذا الغرض الشعري نصيباً كبيراً من الاعمال، وتفاخر الشعراء من خلاله بالانتصار الذي حققته الموصل على نادرشاه ايران. وكانت هناك الارجوزة الشعرية التي احتلت موقعاً هاماً وبارزاً على مستوى النتاج والفائدة التاريخية، ومن الاهمية بمكان أن نعالج عن كثب هذه المواد الادبية ومواردها على النحو ادناه:

١ ـ الارجوزة الشعرية:

تتميز بعددها وتنوع اغراضها، وما احتواه بعضها من المواد التاريخية الهامة التي لا يمكن للمؤرخ ان يستغني عن استعمالها بأي حال من الاحوال. ان اهم ارجوزة شعرية من الاراجيز السبع، هي ارجوزة الاديب السيد فتح الله القادري الموصلي التي نظمها بعد حصار الموصل، وتتميز كونها رواية شعرية وافية ومفصلة عن الأحداث المريرة التي مرت بالموصل وانعكاسات تلك الاحداث على الجبهة الداخلية للمدينة المحاصرة، فلقد كانت بصدق «ملحمة الموصل» كما اسماها محققها. . ومما يزيد من قيمتها التاريخية هو ان ناظمها قد كان احد المشاركين في خضم اعمال واحداث الحصار نفسه، وقد رأى بأم عينيه كافة مجريات الاستعدادات القوية، وشراسة القصف بالقنابل والمعارك والعمليات الحربية في الدفاع. كما واوضحت معلومات هذه الارجوزة الاوضاع النفسية للسكان، كما ونتلمس العديد من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية. وعليه فان مؤرخ الحصار لا يمكنه ان يتجاهل التفاصيل التاريخية والاشارات الموضوعية للاحداث التي حصلت، وقد كان القادري صادقاً في تسجيلها وحفظها بمقارنتها مع المصادر المعتمدة الاخرى. من جانب آخر، فقد كان الرجل ماهراً في صياغة الاحداث شعراً، وكان اسلوبه الادبي من الناحية الفنية هو الاسلوب التقليدي الذي لا يختلف في شيء عن اسلوب عصره واترابه. وقد بلغ عدد ابيات هذه الارجوزة (٤٥٩) بيتاً شعرياً. (١٩)

ولقد نظم اديب آخر هو السيد خليل البصير ارجوزتين شعريتين (٢٠) بعث الاولى الى السيد عبدالله افندي الفخري ببغداد، والذي نظم هو الآخر ارجوزة شعرية طويلة وارسلها الى البصير. وتعتبر القصيدة الشعرية الثانية للبصير ذات خصائص فنية وموضوعية ومطلعها:

كفى الله اهل الموصل الشر اذ أتى   عدو لهم من جانب الشرق ناهض

اما ارجوزة السيد عبدالله الفخري فقد بلغ عدد ابياتها (٦٩) بيتاً. ونظم الشيخ عبدالله السويدي البغدادي المتوفى سنة ١١٧٤ هـ، ارجوزة شعرية اخرى في موضوع حصار الموصل، عارض فيها ارجوزة السيد خليل البصير، وقد بلغ عدد ابياتها (١٦٨) بيتاً. ونظم الاديب يونس الموصلي ارجوزة شعرية اخرى باللغة التركية في موضوع حصار الموصل، وبلغ عدد ابياتها (٢٩٩) بيتاً، [٢١] وهناك ارجوزة اخرى في موضوع الحصار نظمها الشاعر حسن عبدالباقي.

ومن الجدير بالذكر ان السيد خليل البصير كان هو الآخر كنظيره الاديب فتح الله القادري قد شهد فصول اعمال الدفاع القوية. . وتغلب الصفات الفنية وغرض المديح والفخر على هذه الاراجيز الشعرية المتعددة مقارنة بارجوزة القادري الموضوعية «ملحمة الموصل». لقد نشر الشيخ محمد بهجة الاثري مجموعة من القصائد والاراجيز لكل من عبدالرحمن السويدي وخليل البصير والسيد عبدالله الفخري الموصلي (انظر: محمد بهجة الاثري، ذرائع العصبيات العنصرية في إثارة الحروب وحملات نادرشاه على العراق في رواية شاهد عيان، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨١).

٢ ـ القصائد الشعرية واعمال المدونات الادبية:

لقد حفلت المدونات الادبية التي كتبت او ألفت في فترات مختلفة من النصف الثاني من القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر في الموصل بعشرات القصائد الشعرية والاعمال الفنية التي اختصت بحصار الموصل، او كان نتاجها في المحصلة وليد مؤثراته النفسية والاجتماعية والحربية. وقد شملت تلك المدونات الادبية العديد من الكتب أو الرسائل أو المساجلات أو المجاميع الشعرية أو كتابات التواريخ الشعرية. . .

لقد غلب على القصائد الشعرية اغراض محددة هي المديح والفخر والتشبب والرثاء ثم التاريخ الشعري، ونتلمس من قراءتنا للعديد منها تلك التأثيرات التي طبعت اصحابها الذين كان لأغلبهم نصيب بالمشاركة في اعمال الدفاع، أو كانوا في دائرة الادارة أو القيادة العسكرية أو المدارس العلمية أو التنظيمات النقابية.

ان جميع تلك القصائد الشعرية التي احتوتها تلك المدونات الادبية الشهيرة قد نظمت وكتبت باللغة العربية، وقد صيغت بقوالب فنية امتاز بعضها بجودة السبك والصياغة وقوة العبارة وعلى ناقد الادب ان يتحسس من خلالها سواء على مستوى الشكل أو المعاني والمضامين، المكانة التي ارتقت لها الثقافة في الموصل، تلك المكانة التي لا نجدها في مدن عربية اخرى خلال القرن الثامن عشر في المشرق العربي ولكن يتوضح لنا ان هناك تشابهاً كبيراً في مستوى الثقافة العربية بين كل من الموصل المشرقية ومدينة فاس المغربية بما تحتويه كل منها من تراث ادبي عربي كبير يمثل نتاجات القرن المذكور اعلاه.

من جانب آخر نتلمس في ادبيات الموصل عروبة كل من الحس والنزوع والثقافة، ولعل خير مثال في هذا الجانب ما نراه عند احد الشعراء الذين انجبتهم هذه المدينة.. يقول الاديب السيد عبدالله افندي الفخري في قصيدة شهيرة له في مديح والي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي بطل دفاع الموصل ضد نادرشاه:

وإنا من العرب الكرام أولي العلى	وفينا الهدى والمجد والعلم والشعر
وما ضم حب المال قط صدورنا	فأموالنا عبد وأعراضنا حر
أبى المجد الا ان نعيش بعزة	اذا لم يكن عز فمختارنا القبر
وإنا لفينا نخوة عربية	وإنا لنا جد به ينتهي الفخر (٢٢)

ان أهم الكتّاب والادباء والشعراء الذين افادتنا نتاجاتهم واعمالهم ومدوناتهم وقصائدهم هم:

١ ـ عصام الدين عثمان افندي الدفتري العمري صاحب الكتاب الشهير «الروض النضر..»، ويعد هذا الكتاب من امهات كتب الادب والتراجم في الثقافة العربية خلال القرن الثامن عشر وقد كوفئ عليه صاحبه بأن نصبه الوزير الاعظم للامبراطورية راغب باشا بمنصب دفتردار بغداد. وقد ألف هذا الكتاب بالموصل سنة ١١٧٠ هـ، اي بعد حصار الموصل بـ اربعة عشر سنة. ولقد تضمن الكتاب المزيد من المواد الادبية الفنية الخالصة والقصائد الشعرية والعديد من الصور الادبية والاسماء والتراجم. وكان للمؤلف فرصة المشاركة الفعلية في دفاع الموصل، وقدم خدماته للوالي نفسه ولازمه

ليل نهار اثناء ذلك واشاد بشجاعته وبذله. ولعل ما يثير الاعجاب في هذا الرجل المثقف والاديب انه كان احد فرسان معركة الكوماندوز البطلة (راجع الفصل الثالث من هذا الكتاب، موضوع هذه المعركة رقم ٨) حيث جاء على لسانه قوله «وكنت انا احد تلك الفرسان، وشاهدت من الهول ما لم يذكر بلسان». (٢٣) وكان سياسياً بارعاً حين اختارته القيادة ليكون احد اعضاء الوفد الرسمي الذي ارسلته الموصل بعد الحصار الى البلاط العثماني برئاسة الامير محمد امين باشا الجليلي لتقديم تفاصيل الاحداث وتقاريرها الى السلطان محمود الاول (٢٤) (راجع الفصل الرابع، موضوع رقم ١)..
اضافة الى كل ذلك فقد كان ادارياً قديراً في دفترداريته لولاية بغداد بعد ان حنكته التجارب والاسفار وملازمته لوزراء الموصل من الجليليين، فكان موضع ثقة الوزير سليمان باشا والي بغداد، وبعد وفاة هذا الوالي اجتمعت اعيان بغداد وقادتها واقروا عثمان الدفتردار العمري قائمقاماً على بغداد وادارتها في غياب الوالي.. وقد جرت عليه هذه الادارة بعد ذلك الاتعاب والاوجاع بين سجن وتشرد ونفي وعدة احكام متلاحقة بالقتل كان ينجو منها، وبقي ثابت الجاش والعزيمة والانفة والاعتزاز بالنفس بعد كل الذي لاقاه من علي باشا وعمر باشا واليي بغداد وخصوصاً من الاخير الذي كان يضمر له عداوة قديمة.. وبعد سنين من المعاناة القاسية طلبت استانبول من العمري شهادته عن الوالي عمر باشا في تحقيق خاص بها حول عمارة سور بغداد فشهد بالحق لصالح خصمه الوالي فندم الاخير على افعاله تجاه ذلك الانسان العظيم فأرسل له هدية ليشعره بذلك.. ومات ذلك الرجل متأثراً بوباء الطاعون وبصورة مأساوية سنة ١٧٧٠ م - ١١٨٤ هـ، وكان قد عانى اثناء نفيه من شلل عضال.. عاش سبعون عاماً، كانت صفحة تاريخية لامعة في الشعر والادب والفروسية والادارة والسياسة والخدمات التي قدمها للعراق.. وكانت صفحة موفقة ونقية ومتعبة ومريرة بعد ذلك من حياته الشخصية. (٢٥)

٢ - السيد عبدالله افندي الفخري الذي ولد ونشأ ودرس بالموصل، ثم قدم خدماته للوالي الحاج حسين باشا الجليلي، ثم سافر الى بغداد. وحظي عند واليها الوزير احمد باشا ابن حسن باشا وبعد وفاة الاخير عينه خلفه ابنه الوزير سليمان باشا بمنصب كاتب ديوان الانشاء ببغداد وبقي متمتعاً بمنصبه هذا في عهد كل من الوالي علي باشا وعمر باشا حتى وفاته سنة ١٧٧٤ م حيث خلفه

ولده اسعد افندي في كتابة ديوان انشاء بغداد. لقد كان السيد عبدالله الفخري كاتباً حاذقاً، وشاعراً ماهراً، يحسن اللغة التركية وترك العديد من القصائد والشروح والكتابات. (٢٦) وكان اخوه السيد يحيى الفخري مفتي الموصل ابان حصار نادرشاه للموصل والذي وجه اليه كتاب انذار نادرشاه الذي ارسله اليه ملا باشي علي اكبر المستشار الديني لنادرشاه، فأجابه الفخري بكتاب حكومة الموصل الذي حرره كل من الوالي والمحافظ (٢٧) (راجع الملحق رقم ٣ والملحق رقم ٤ من هذا الكتاب).

٣ ـ الحاج قاسم اغا الرونقي الذي ينتسب الى البيت الجليلي في الموصل التي ولد فيها سنة ١١٠٨ هـ وكان احد مرافقي الوزير الوالي الحاج حسين باشا في وقائعه واسفاره نظراً لما اتصف به من صفات فقد كان مشهوراً بالفروسية، وله خبرة في الحرب ودهاء في السياسة واطلاع واسع في معارف شتى.. وكان اديباً شاعراً، امتاز شعره بالجودة والرقة وحسن المعاني. والرجل من أبطال جيش الموصل الذين هزموا حملة توكز خان على الموصل في موقع جغرافي للجنوب منها سنة ١١٤٥ هـ (٢٨) (راجع الفصل الثاني من هذا الكتاب). من جانب آخر، فقد كان دورهذا الرجل كبيراً في الدفاع عن الموصل ضد نادرشاه اثناء حصارها وابلى في ذلك بلاءاً حسناً، وبعد انتهاء الحصار ومفاوضات سفراء الموصل مع نادرشاه الذين ارسلتهم الموصل بناء على طلب نادرشاه نفسه، اختار الوالي هذا الرجل الرونقي ليصحب هداياه الى نادرشاه فوصله وقدمها اليه فخلع نادرشاه عليه الخلع والاموال. (٢٩)

٤ ـ علي افندي الغلامي، مفتي شافعية الموصل الخبير بالفتاوي ونظم الشعر والتدريس والافتاء، وكان يتمتع بمكانة لائقة عند آل عبدالجليل، وقد تولى قضاء الموصل ثلاث مرات.. وكان قد رافق الحاج حسين باشا الجليلي الى ادنه وقد اجاد في قصيدة تشوق الى الموصل ارسلها من هناك، ويتوضح فيها مدى تعلقه بوطنه وارضه.. يقول فيها:

برق تألق في الظلام المسدل	فأثار في الاحشاء ذكر الموصل
اورى زناد الشوق بين جوانح	جنحت الى ذكر الحمى والمنزل
يا ايها البرق الولوع بمهجتي	رفقاً فديتك بالفؤاد المبتلي

هات الحديث عن العراق فانني	اصبحت عن تلك البقاع بمعزل
اين العراق وساكنوه لمن غدا	بالروم يسأل كل ركب مقبل
حيا الحيا تلك الرحاب وان نأت	عني فذكراها حليف تخيلي
ما الروم داري يا بريق ولا انا	ممن تشد الى ذراها ارجلي [٣٠]

ولكن من جانب آخر، كان متكبراً صلفاً على حد ذكر المؤرخ محمد امين الخطيب العمري في منهله. [٣١] اما موقعه في دفاع الموصل ضد نادرشاه فقد اختارته حكومة الموصل بعد حرب الحصار ليكون ثاني ثلاثة من رجال الموصل، قاموا باعمال المفاوضات مع نادرشاه وذلك في سرادق الشاه نفسه المقام على رابية القاضية مقابل مدينة الموصل في الجانب الشرقي من دجلة. وكان وفد الموصل الى نادرشاه برئاسة قاضي الموصل.

٥ ـ حسن عبدالباقي الموصلي، وهو الشاعر الشهير، ولد ونشأ بالموصل ثم حظي عند الوزير الحاج حسين باشا فقربه اليه ثم غضب عليه لشربه الخمر فرحل من الموصل الى بغداد، ومنها ذهب الى النجف وكربلاء وانحدر الى البصرة ثم عفا عنه، ولم يشهد هذا الشاعر حصار الموصل اذ كان في بغداد التي توفي فيها بعد عدة اشهر من الحصار وذلك في سنة ١١٥٧ هـ. اشعاره كثيرة وتتميز بلطف العبارة وجزالة الالفاظ، ويغلب عليها غرض المديح ثم التشوق والخمريات ومراثي الائمة، الحسن والحسين عليهما السلام. [٣٢]

٦ ـ عبدالله افندي السويدي البغدادي، العالم والمؤلف الشهير الذي تنتسب اليه الاسرة السويدية ببغداد، ولقد ونشأ في بغداد ثم ارتحل الى الموصل لطلب العلم واكمال تحصيله ومعارفه على ايدي علمائها الشهيرين ثم عاد الى بغداد واشتهر بالتدريس في مدارسها وتخرج على يديه العديد من العلماء. [٣٣]وتفيدنا المعلومات عنه انه نظم ارجوزة في حصار الموصل، ويظهر انه كان متابعاً لاخباره ووقائعه [٣٤]. . وكان لهذا الرجل دور اساسي وكبير في مؤتمر النجف الذي دعا الى عقده نادرشاه بعد فشله امام الموصل وانسحابه الى الجنوب لتتم فيه مناظرة بين علماء السنة وعلماء الشيعة، وقد ندب والي بغداد الوزير احمد باشا ابن حسن باشا الشيخ عبدالله السويدي ليدير شؤون واعمال المؤتمر بصورة رسمية، وقد دوّن الشيخ السويدي وقائع

المحاورة بتفاصيلها في محضر بالعربية وترجم منه نص الى الفارسية واخر الى التركية. لقد كان لهذا الشيخ دور بارز في ذلك المؤتمر الديني الذي انعقد بعد فشل حصار نادرشاه للموصل (٣٥).. وللسويدي العديد من المؤلفات والرسائل، توفي ببغداد سنة ١١٧٤ هـ. (٣٦)

هؤلاء هم اهم الرجال من الادباء والشعراء والشيوخ الذين قدمنا لهم اعلاه من الذين كان لهم نصيب بالمشاركة في احداث الحصار الكبرى او الذين تأثروا به أو في نتائجه، وهناك قائمة طويلة اخرى لآخرين، يستطيع القارئ ان يجد معلومات منهم في كتب متنوعة بين مطبوع ومخطوط، سواء بخصوص تراجمهم وآثارهم. ومن الكتب «المنهل» لمحمد امين العمري، ثم «الشمامة» لمحمد مصطفى الغلامي، وكتب المؤرخ ياسين العمري «الدر المكنون - مخطوط -»، «غاية المرام»، «خلاصة التواريخ - مخطوط -»، «قرة العينين - مخطوط -»، «الآثار الجلية - مخطوط -» وغيرها للمؤرخ ياسين، ثم كتاب «سلك الدرر» للمرادي، «مخطوطات الموصل» للدكتور داؤد الجلبي، وهناك العديد من المجاميع الشعرية.

٤ - اخبار الرحلات الاوربية ومعلوماتها:

ان اغلب تدوينات هذه الرحلات تقف ضمن شروحها عند الموصل، فقلما يمر سائح اوربي في الشرق دون ان يعبر نهر دجلة عند الموصل. وقد كتب الرحالة من الاوربيين المعلومات الواسعة عنها من النواحي الجغرافية والآثارية والتاريخية والسكانية، لا يمكن للباحث المعاصر ان يتجاهلها بأي حال من الاحوال.

ان اشهر تلك الرحلات التي افادتنا في رواية بعض الاحداث من حصار الموصل وتأثيراته الاجتماعية خصوصاً هي رحلة العالم الداتماركي الشهير كريستيان نيبور الذي زار الموصل سنة ١٧٦٦ م - ١١٨١ هـ، اي بعد حصار الموصل بفترة تقرب من ٢٣ عاماً. وقد ترجمت رحلته الكبرى من الالمانية الى الافرنسية منذ عهد بعيد، وتتميز اخباره عن الموصل بغزارة المادة الجغرافية والتاريخية سواء في وصف المدينة ذاتها أم قصباتها واطرافها من القرى واللواحق. ويظهر ان تدوينات هذا الرحالة لم تقتصر على مشاهداته فحسب بل انه شرح

ما كان قد سمعه عن التقى بهم من الناس والمسؤولين في عدة اماكن من شمال العراق، كما ويظهر ان اغلبهم كانوا من مسيحيي الموصل لأن معلوماته كثيرة تجاههم وعن قراهم واديرتهم. وفي الرحلة معلومات عن حصار نادرشاه للموصل، واغلبها عن تأثيرات ذلك الحصار عمرانياً وسكانياً في المدينة وانحائها. (٣٧)

وهناك رحلة الدكتور ى. ايفز من ايران الى انكلترا عبر العراق وتركية سنة ١٧٥٨ م وهو الطبيب الجراح في شركة الهند الشرقية، وتعتبر كتاباته عن الموصل هي اقرب كتابات رحالة اوربي عنها بعد حصار نادرشاه لها، وفيها بالفعل معلومات جديدة عن الحصار واستعدادات الموصل تجاهه واسبقياته ثم الآثار العامة التي تركها. (٣٨)

وهناك معلومات دومينيكو لانزا التي كتبها في مذكراته، وفيها جوانب هامة عن حصار الموصل. . ومن المعتقد ان لانزا، المبشر الدومينيكي الذي سكن الموصل لفترة طويلة كان قد كتب معلومات تاريخية واسعة عنها ومن ضمنها حصار الموصل في ذكرياته المطوّلة التي كانت قد تلفت في ايطاليا وتعد اليوم من المدونات الضائعة. (٣٩)

ان اخبار الرحلات الاوربية ومعلوماتها كثيرة ومهمة وتتوزع في كتب عديدة وفي لغات شتى وتحتفظ بطبعاتها القديمة مكتبات اوربا. . ولابد للباحث ان يطّلع على اخبار ومعلومات اخرى في هذا الجانب كتبها آخرون منهم م. أوتيه في رحلته في تركية وايران وكان وكيل الحكومة الافرنسية وتحدث عن الموصل وبغداد والبصرة. (٤٠) وهناك ج. جاكسون في كتاباته سنة ١٧٩٧ م، (٤١) ورحلة ج. أ. اوليفييه الافرنسية سنة ١٧٩١ م. (٤٢)

اما خلال القرن التاسع عشر فهناك رحلات كثيرة ذات معلومات مفيدة وواسعة في جوانب عامة منها رحلة ج. م. كينير في سنة ١٨١٠ م، (٤٣) ورحلة ج. س. بيكينكهام في سنة ١٨١٦ م واخص بالذكر كتابه «رحلات في بلاد مابين النهرين (٤٤)»، ثم رحلة ك. ج. ريج المقيم البريطاني في بغداد سنوات ١٨٠٨ - ١٨٢١ م (٤٥) وغيرها كثير.

٥ ـ الكتابات التاريخية الحديثة :

وهي مجموعة الكتابات التي نشرت خلال هذا القرن ومن خلال فحص ما هو مهم منها نجد ان ما من مقالة أو دراسة أو كتاب في تاريخ العراق أو الموصل قد امتد في شروحاته عنها خلال القرن الثامن عشر من قريب أو بعيد ما لم يتعرض الى ذكر حصار الموصل وعلى نحو عابر أو سريع ، مقتضب أو مركز . . وتنقسم هذه الكتابات التاريخية الحديثة الى نوعين من النتاجات هما :

١ ـ المقالات :

ان اهم المقالات التي تعرضت الى حصار الموصل هي كل من مقالة «الموصل» في الانسكلوبيديا الاسلامية. ومقالة «الموصل» في الانسكلوبيديا التركية. ومقالة «العراق» في الانسكلوبيديا الاسلامية في طبعتها الحديثة المتطورة. ورغم اننا لم نجد تفاصيل تاريخية عن الحصار في الطبعة القديمة للانسكلوبيديا الاسلامية، الاّ انه من المتوقع ـ كما ارى ـ ان يكتب عنه وبصورة علمية وافية في مقالة «الموصل» القادمة في الابرازة الجديدة لمجلدات الانسكلوبيديا الاسلامية، نظراً لأزدياد اهمية حصار الموصل من الناحية الاكاديمية، وبروز اكثر من دراسة علمية عنه في الغرب. ويتوقف الامر على من سيكتب في تاريخ الموصل الحديث لاحقاً في الانسكلوبيديا المذكورة اعلاه. اما الانسكلوبيديا التركية فقد تعرضت لذكر دفاع الموصل واشادت بقيادته واهله ضد الغزو الايراني، اضافة الى ما تعرضت اليه في مقالتها عن نادرشاه ايران، وعلى نحو مختصر.

اضافة الى كل ذلك، فان اقلاماً عديدة قد كتبت عنه بصورة مختصره في مقالات تاريخية وادبية نشرت جميعاً باللغة العربية في مجلات أو تقاويم أو دوريات أو جرائد محلية أو عراقية عديدة منها دورية «سومر» ودورية «المجمع العلمي العراقي»، ومجلة «الجزيرة» الموصلية ومجلة «النجم» الموصلية، وكثير غيرها.

التواريخ العامة :

من الاهمية بمكان ان اقدم رأياً نقدياً عليها بصورة عامة قبل الدخول في تحليل جوانبها، نظراً لما ستقود اليه دلالاتها عليها وعلى النوع الآخر من حقول المصادر وهو الدراسات الاكاديمية .

لم يكتب أي كتاب باللغة العربية عن حصار نادرشاه للموصل سنة ١٧٤٣ م، يختص بتفاصيله واسبابه ونتائجه، رغم اهمية موضوعه ومادته التاريخية. . ويصدق مثله على مواضيع تاريخية هامة في تاريخ العراق الحديث والتي لم يكتب فيها على نحو خاص تتمثل من خلال دراستها ابعاد ذلك التاريخ وطبيعته وتركيبه ومسرحه الجغرافي الذي جرت عليه الاحداث واثر فيها. وتنبع اهمية مواضيع هذا التاريخ الحديث للعراق في الاستفادة القصوى منها لأنها تشكل الاساسيات القريبة للحاضر بكل بناه الاجتماعية والسكانية والثقافية في حين صرفت جهود كبيرة من قبل اغلب المؤرخين العراقيين في الكتابة عن تواريخ العصور الوسيطة للعراق وفي امجاده وعظمة رجاله. من ناحية اخرى فان اغلب ما كتب في تاريخ العراق الحديث باللغة العربية كان ذا نواقص واخطاء موضوعية، ويعود السبب في ذلك الى الصفة التي يتميز بها معظم المؤرخين من العرب عامة والعراقيين خاصة انه لا يميلون في الكتابة التاريخية الى اسلوب الوحدة الموضوعية بل يجنحون في كتاباتهم أو دراساتهم الى اسلوب الوحدة الزمنية. . أو انهم يطرقون موضوعاً تاريخياً على نحو مختصر تستوعبه مقالة أو بحث صغير. ان الكتابة التاريخية التي يعتمدها اسلوب الوحدة الزمنية عندهم لا تقل بأي حال من الاحوال عن فترة قياسها قرن كامل من الزمن، وهذا ما يضيع من الموضوع أو المواضيع التاريخية التي يتعرضون لها للعديد من المعلومات الهامة، لأنهم من اجل قياس المواضيع على نحو متوازن ضمن تركيب اطارهم الموسّع، تفتقد مجمل المواضيع الهامة لجوانب جديدة، وتحليلات اضافية، واستنتاجات تاريخية موظفة. . لأنهم يكتفون في اغلب الاحوال بسرد الوقائع التي تناقلوها عن المصادر المتوفرة أو اختزالها في اغلب الاحيان. ـ وهذا ما نجده ايضاً عند الدارسين العراقيين المحدثين في النوع الآخر من المصادر (الدراسات الاكاديمية) ـ.

من اشهر الكتب العامة التي يمكننا الوقوف عندها، كتاب المؤرخ عباس العزاوي المحامي فرغم فوائد هذا الكتاب والمعلومات التي يحتويها «تاريخ العراق بين احتلالين» عن القرن التاسع عشر مثلاً في سبيل المقارنة، الا ان نقولاته من المعلومات عن عراق القرن الثامن عشر تكاد تكون غير متكاملة اذ لم يتوقف هذا المؤرخ عند حصار الموصل وقفة يتطلبها موضوعه الذي يكتب فيه، والمعروف عن العزاوي بدون شك انه كان ممتلكاً على نحو شخصي العديد من المصادر

المخطوطة عن ذلك الموضوع من خلال مكتبته الخاصة . . في حين نجد ان مؤرخاً انكليزياً وهو ستيفن هيمسلي لونكريك يقف عند موضوع الحصار وقفة الباحث في كتابه المعروف «اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» بمساعدة باحث عراقي معروف هو يعقوب سركيس، ورغم الاخطاء التي وقع فيها لونكريك الّا ان كتابه هذا قد اطلع الغرب ولأول مرة بدون شك عن اربعة قرون خافية الاحداث من تاريخ العراق الحديث باللغة الانكليزية حين طبع كتابه في اكسفورد سنة ١٩٢٥ م. اما معلومات المؤرخ المحلي سليمان صايغ في كتابه «تاريخ الموصل» عن الحصار فقد تناقلها عن كتاب «المنهل» في رواية الاخير عن الحصار . . وهناك معلومات ضافية عن كنائس الموصل التي تعرضت للهجوم لم تذكر تفصيلاتها المصادر الاخرى، ومن المؤكد بأن صائغ كان قد استفاد في حصوله على تلك المعلومات من خلال خدماته الدينية في كنائس الموصل فقد كان قسّاً عندما كتب مجلديه الاول والثاني من تاريخ الموصل. ومن الملاحظ ان البعض من المؤرخين كان قد عوّل على المعلومات التاريخية التي احتواها المجلد الاول من تاريخ صائغ وذلك قبل ان يحقق وينشر مخطوط «المنهل» لمحمد امين الخطيب العمري سنة ١٩٦٧ م، في حين نجد ان بعض معلومات صائغ في تاريخ الموصل العام لا يمكن الاعتماد عليها حتى بصورة استثنائية غير اساسية، نظراً للفجوات التي تركها صائغ خالية من مواضيع التاريخ المحلي للموصل، اضافة الى بعض النواقص والاخطاء رغم اهمية وقيمة التاريخ الحولي والمحلي للموصل الذي طرقه هذا المؤلف منذ عشرينيات هذا القرن. اما المؤرخ المحلي سعيد الديوه جي فقد بذل جهوداً واضحة في ادبيات الحصار يتلمسها كل من يبحث في هذا الموضوع، اضافة الى ما كتبه هذا المؤرخ في فقرات عديدة من آثاره الشخصية المنشورة عن موضوع الحصار. ان جهود الديوه جي في ادبيات الحصار قد تركّزت بشكل واضح في تحقيقه ونشره للعديد من نصوصه الهامة بدل كتابته لتاريخه، فيعد بالنسبة لموضوعه محققاً اكثر منه مؤرخاً، اذ استطاع ان ينشر كتاب «المنية» . . لياسين العمري، واضفى عليه ملاحق هامة منها نشره لنص وثيقة القازوقجي الرسمية. ثم حقق كتاب «المنهل» لمحمد امين الخطيب العمري واضفى عليه ملاحق هامة بالنسبة للحصار. ثم نشر «ملحمة الموصل» وهي ارجوزة القادري الخاصة باحداث الحصار . . وتعتبر الاعمال والادبيات والنصوص التي حققها الديوه جي من اهم روايات الحصار الاصلية. وتطرق مؤرخ آخر هو محمد امين زكي في كتابه «تاريخ الكرد والكردستان» الى موضوع الحصار بصورة مختصرة.

كما كتب عنه المؤرخ جعفر خياط فصلاً كاملاً في تاريخه «صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة»، ويظهر ان هذا المؤرخ قد اعتمد في نصوصه عن الحصار على كل من صائغ ولونكريك. اضافة الى كل ذلك فهناك العديد من الملاحظات التاريخية عن حصار الموصل سجلها كل من كوركيس عواد (٤٦) وبطرس نصري (٤٧) والدكتور داؤد الجلبي (٤٨) وصديق الدملوجي (٤٩) والدكتور سليم النعيمي (٥٠) وغيرهم. اضافة الى اهتمامات يعقوب سركيس ومصطفى جواد.

من جانب آخر، فقد تطرق الى ذكر حصار الموصل وشرح بعض المعلومات عنه بعض المؤرخين العرب مثل الدكتور عبدالعزيز نوار في كتابته لتاريخ العراق الحديث، وكذلك عبدالكريم رافق في حديثه عن الجليليين في كتابه «العرب والعثمانيون ١٥١٦ - ١٩١٦ م (٥١)».. وقد اغفل ذكر الحصار كل من المؤرخين محمد فريد في كتابه «تاريخ الدولة العلية العثمانية»، (٥٢) وساطع الحصري في كتابه «البلاد العربية والدولة العثمانية» (٥٣)، والدكتور محمد انيس في كتابه «الدولة العثمانية والشرق العربي (٥٤)».

اما الكتابات التاريخية الاجنبية التي تحدثت عن الفترة بصورة عامة، فانها لم تتوقف عند موضوع حصار الموصل وقفة طويلة بالمقارنة الى وقفاتها المتعددة والمتميزة عند حصارات تاريخية شهيرة في التاريخ العثماني وعلى الاخص في شرق اوربا والبحر المتوسط، وهذا ما نجده عند العديد من المؤرخين الاجانب من الاوربيين والامريكيين الذين كتبوا في التاريخ الامبراطوري العثماني باسلوب حولي مطول أو اسلوب موضوعي كمّي أو اسلوب مرحلي مركّز أو اسلوب سلالي.. كما هو الحال عند العديد من المؤرخين المشهورين ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: كريسي واللورد كنروس، وسبراي، ولاموج، وستانفورد شو، والمؤرخ التركي اناجيك - الذي يعيش في امريكا حالياً -. اضافة الى المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ ايران واشهرهم سايكس.

ولكننا نلحظ من زاوية اخرى، ان هناك اشارات عديدة وواضحة عن حصار نادرشاه للموصل وموضوعه ودفاع المدينة أو عن بطله عند عدد كبير من المستشرقين ومنهم هاملتون كب، وباون، ولوكهارت، ولوك، وهولت، والبرت حوراني وجونز وغيرهم ممن كتب في باب الاستشراق عن مواضيع اختصت

بالدرجة الاساس في تاريخ الشرق العربي الحديث. من جانب آخر، فان هنالك معلومات تاريخية قيمة في التركية الحديثة كتبها المؤرخ التركي اسماعيل اوزن جارجلي، ولا يمكن لأي باحث في تاريخ العراق الحديث خلال القرن الثامن عشر الاستغناء عنها وخصوصاً في بحث الصراع العثماني ـ الايراني.

٦ ـ الدراسات الاكاديمية المحدثة:

لقد شهدت سبعينيات هذا القرن بروز اكثر من دراسة اكاديمية في تاريخ العراق الحديث بشكل عام وتاريخ الموصل المحلي بشكل خاص، سواء كانت تلك الدراسات بالعربية أم بالانكليزية. وتعتبر دراسة البروفيسور روبرت اولسن عن حصار نادرشاه للموصل (٥٥) من أرقى الدراسات التاريخية التي تبحث في التاريخ العثماني، كما وتعتبر من اجدر الدراسات التي بحثت في حصار الموصل والعلاقات العثمانية ـ الايرانية خلال ٢٥ عاماً من القرن الثامن عشر. وقد تميز كتاب اولسن بتحليله للاحداث، وتقصيه العلمي للظروف التاريخية الخارجية التي بلورت الاسباب المباشرة لولادة تلك الاحداث الكبرى في المنطقة وعلى الأخص المناخ الايدولوجي المعقد الذي حكم طبيعة العلاقات السياسية والحربية بين كل من العثمانيين والايرانيين، ثم تبيان العلل الاقتصادية التي بدأ المؤلف بمعالجتها في فصله الاول منذ القرن السادس عشر. وأهم ما وضّحه هو الاهمية الاستراتيجية للموصل. وعالج أيضاً في فصل آخر ظروف العاصمة العثمانية ومشاكل البلاط التي كفلت بخلقها حركة العصيان التي قام بها بترونه خليل ونجاح السلطنة في استئصالها. ثم انتقل الى فصل آخر ليعالج ويحلل بأسلوب كمّي ظروف الحرب في العراق قبل الحصار الذي فرضه نادرشاه على الموصل، في حين نلحظ ان اولسن قد تكلم عن فترات زمنية وما توالد فيها من احداث، واهم تلك الفترات هي الفترة المحصورة بين حركة عصيان بترونه ومعاهدة ١٧٣٦ م، وعشية الحرب نفسها عندما كانت استانبول تجابه ازمات عديدة. لقد درس اولسن علاقات الصراع العثماني ـ الايراني في كتابه على درجة من الرصانة والاهمية، وقدّم لنا معلومات جديدة في بابها، ومادة تاريخية قوية مدعمة بملاحظات عديدة رغم انه قد فصّل كثيراً في الاختلافات المذهبية التي حكمت علاقات كل من الامبراطوريتين وقد خصّ اولسن فصله الاخير لبحث حصار الموصل، وقد ركز بحثه فيه على اهم احداثه ومجرياته وانتهى الى نتائجه. لقد

خدمت اولسن، العديد من المصادر الاجنبية، وعلى الاخص المصادر التركية في شرح وتحليل الظروف الدولية للامبراطورية العثمانية وظروف عاصمتها الداخلية والشيْ الذي يؤاخذ اولسن عليه كونه لم يطلع على العديد من المصادر المحلية ادبية كانت أم تاريخية ومنها مثلاً مخطوط «الدر المكنون. . » لمؤلفه المؤرخ ياسين الخطيب العمري والذي تعتبر روايته عن الحصار من اوثق الروايات. ولكن يبقى كتاب اولسن عن حصار الموصل اشارة علمية بارزة، وارقى دراسة اكاديمية معاصرة في تاريخ العراق الحديث في الموضوع والمنهج والتحليل.

اما الدراسة الاكاديمية الاخرى فهي اطروحة دكتوراه «برسي كيمب» المعنونة: «الموصل والمؤرخون المواصلة في العهد الجليلي»، ولا تزال هذه الاطروحة التي قدّمها صاحبها في نهاية عام ١٩٧٩ الى جامعة اكسفورد مطبوعة على الرونيو، وتحتفظ بها مكتبة بودليان الجديدة في جامعة اكسفورد. اما ملاحظاتي على هذه الدراسة الاكاديمية، فيمكنني ان اركّز ما يفيد القارئ المختص في المجال الذي ينتويه كتابي هذا. . ان الباحث كيمب قد اختار موضوعاً غاية في الاهمية، وغلب على هذه الدراسة توضيح الجوانب السياسية والاقتصادية في قسمها الاول الذي اختص بتاريخ الموصل المحلي، وقد طبق فيه الباحث الاسلوب التطبيقي بتقسيم العهد الى فترات محددة. اما القسم الثاني من الدراسة الذي اختص في بحثه النقد التاريخي عن المؤرخين المواصلة خلال العهد المذكور فقد طبق فيه الباحث الاسلوب التحليلي، ودراسة كل مؤرخ من المؤرخين على انفراد، شاملاً بذلك تراجمهم الوافية، وآثار كل واحد منهم على جانب من التفصيل. وتمتاز اطروحة كيمب كونها ابتعدت عن الاسلوب التقليدي في اكاديمية الدراسة التاريخية، وقد قدم لها مؤلفها باحثاً في الاستراتيجية الجغرافية للموصل، ثم اضفى خلاصة من النتائج في نهاية كل فصل من فصول دراسته، ونجح في استعماله للرموز والمختصرات واسعف البحث في قسمه الاول بالعديد من الخرائط المحلية لمدينة الموصل التي شملت مواضيعها نواح عديدة وهامة. اما في القسم الثاني فقد نجح الباحث في استعماله لعدد كبير من المخطوطات التاريخية والادبية التي تعد من آثار الموصل خلال الفترة المعنية، وركّز في شرح بعض معلوماتها الجديدة. اما الشيْ الذي ينتقد عليه الباحث كيمب هو كتابته لمعلومات اساسية لم يسعفها بالملاحظات والمصادر، وهناك نقدات موضوعية اخرى لن يسعفنا المجال هنا لذكرها واطروحة كيمب لم تنشر بعد. . وأهم ما يفيدنا في بحثنا

هذا هو ذكر الجهد الذي قدّمه كيمب في ملحق باطروحته، فقد ترجم الباحث رواية المؤرخ محمد امين الخطيب العمري عن حصار نادرشاه للموصل الى الانكليزية، وهو جهد بارز وامين وناجح له اهميته الاكاديمية بالرغم من ناحيته الاستثنائية في الاطروحة اذ لم يكتب الباحث من الناحية الاساسية الجوانب التفصيلية عن الحصار المذكور واكتفى بالعرض له في تحليلاته التاريخية وخصوصاً في القسم الاول من دراسته.

وهناك دراسة اكاديمية اخرى وهي رسالة ماجستير قدمها صاحبها المؤرخ العراقي د. عماد عبدالسلام رؤوف الى جامعة القاهرة سنة ١٩٧٣ ونشرها سنة ١٩٧٥، وقد عني موضوعها البحث في تاريخ الموصل خلال العهد الجليلي، وبذل فيها جهداً بارزاً، وبدون شك فان كتابها المنشور تحت عنوان **«الموصل في العهد العثماني: فترة الحكم المحلي»** له فائدته لكل من يكتب ويبحث في تاريخ الموصل المحلي. لقد قسّم الباحث موضوع رسالته الى قسمين رئيسيين، بحث في الاول التطور السياسي، وبحث في الثاني التطور الحضاري ثم اضفى عدة ملاحق مهمة في نهاية الرسالة. وقد كتب الباحث في حصار الموصل ولم يتوسع فيه وربما التزم الاختصار فيه نظراً لطول الفترة الزمنية التي عنى بدراستها، والمواضيع المتعددة التي طرقها، رغم اهمية حصار الموصل في تاريخها الحديث، ومع كل ذلك فقد وفق الباحث في بحثه عن العلاقات السياسية المحلية التي ربطت الموصل بالاقاليم العراقية، وكذلك في بحثه عن نظم الحكم والادارة مستخدماً لعدد من المخطوطات والمصادر المحلية.. ويعتبر هذا الكتاب مهماً ويحتاجه كل من يبحث في تاريخ الموصل الحديث.

ملاحظات نقدية:

ان ما يلاحظ على المدارس الاكاديمية المتطورة هو فرضها على طلبة الماجستير اختيار مواضيع محددة يراعى في كتابتها التركيز لمعلوماتها الشاملة سواء كانت الدراسة لفجوة زمنية صغيرة أو حدث تاريخي عظيم أو شخصية تاريخية مؤثرة.. ويكبر العمل في ابحاث الدكتوراه سواء في دراسة عهد تاريخي أو فترة تاريخية يتراوح امدها النصف قرن، أو دراسة نقدية وتحقيق علمي لمخطوط هام ونادر، أو دراسة نظم ادارية في عهد ما، أو علاقات سياسية بين دول خلال فترة محددة... فأغلب الدراسات ـ مثلا ـ قد اختصت بدراسة فترات زمنية مطولة وغياب التفرد

بدراسة احداث تاريخية كبرى في تاريخ العراق الحديث كامتدادات السيطرة والحملات العسكرية وحصارات المدن الكبرى. . أو دراسة شخصيات تاريخية كان لها تأثيرها في حقبات متباينة من العصر الحديث في العراق كالسلطان سليمان القانوني، والسلطان مراد الرابع وجغال زاده والوزير احمد باشا ابن حسن باشا والوزير الحاج حسين باشا الجليلي والوزير الاعظم طوبال باشا والوزير سليمان ابو ليله وداود باشا والي بغداد، ومدحت باشا والي العراق وغيرهم. . فهي جميعاً مواضيع اولى بالدراسة والتدقيق والربط والبحث عن مخفياتها التاريخية من دراسة فترات أو عهود طويلة عاشها العراق، ليس للباحث من عمل في الاخيرة الا جمع اكبر قدر ممكن من المعلومات المتوفرة، ويقننها أو يختزل مواضيعها الهامة. . والأجدر من الناحية العلمية ان تناط مثل هذه الاعمال للرجال المتفرغين الذين سنحت لهم السنوات الاكاديمية الطويلة، والتجارب المكتبية والسفرات والمؤتمرات العلمية واكتسابهم اكبر قدر من المعلومات لكي يؤلفوا في فترات عهود طويلة، في حين من المفروض ان يلزم الشباب من المحصلين في تجاربهم العلمية الاولى، الاقتصار في تقصي فترات محدّدة، أو احداث كبرى، أو شخصيات عظمى. . والاحاطة التاريخية في دراسة مختلف الاسباب المباشرة وغير المباشرة للاحداث، واستخلاص النتائج المفيدة.

ان تاريخ العراق الحديث في تركيبه الغني بالاحداث ومؤثراتها ونتائجها يفرض على من يبحث فيه ان تكون له القدرة للاجابة على التساؤلات التي تحتويها طبيعته التي عاشها من النواحي العديدة في حياة البلد سياسياً واقتصادياً وجغرافياً وسكانياً. . . مثل الصفات المشتركة التي جمعت احقاب عصوره الحديثة بأحقاب التضاعيف الاخيرة من العصور الوسيطة. ان اهم ما يقدمه الرجل الاكاديمي في بحثه لمثل هذا التاريخ اذا تدارسه بشكل علمي وبأسلوب متطور هو النتائج أو الاستنتاجات التاريخية بعد أن انتقل من دراسته التقليدية ميثودولوجيا الى الدراسة البنائية التي من اهم غاياتها (توظيف التاريخ) على أن لا يفقد الرجل الاكاديمي في ذلك أياً من الاعتبارات الميثودولوجية الاساسية والمتطورة يوماً بعد اخر.

ان مسالة توظيف التاريخ، وعلى الاخص التاريخ الحديث هي من اعقد ما يواجه الباحث وخصوصاً في تجاربه العلمية الاولى وذلك في نواح عديدة، وفي دراسته لتواريخ معقدة الاحداث والتراكيب والشخوص والاماكن والتدوينات

والعلاقات السياسية والعناصر الاقتصادية والتكوينات الاجتماعية المتباينة ثم اتجاهات الادارة في الحكم . . . . والجيش ثم التربية واحوال ثقافة العصر. وهذا يفيدنا الاختصاص والتعمق بعد اختيارنا لمساحة زمنية محددة قابلة لأن تستوعب دراسة مختلف الظواهر التاريخية التي توالدت فيها وتوظيفها علمياً، لكي يستفاد منها جميع المعنيين وذوي الاختصاص وطلاب العلم والثقافة.

هـوامـش ومـلاحظـات

1 - Aspinwall, State Papers 97-letters from Mr. Stanhope Aspinwall to the Duke of Newcastle, vol. 24-32 (Public Record Office in London).

2 - Letters from Baghdad, E. de St. Albert, Eighteenth Century Archieves National, (Paris).

3 — Muhimme Defterleri are lecated in the Basbakanlik Arsivi in Istanbul; No. 130—35.

٤ ـ هي مصّورات سجلات الطابو العثمانية المعنونة :

Bas Uekalet Arsivi, Tapu Defteri No. 660, 195.

تختص معلومات هذه الارشيفات الرسمية بالتنظيمات الادارية الاولى لولاية الموصل .

٥ ـ المنهل، جـ ١، ص ١٤٩ ـ ١٦٢ .

٦ ـ ولد محمد امين الخطيب العمري سنة ١١٥٠ هـ. (انظر، غاية . . ، ص ٣٥٠).

٧ ـ انحصرت تلك الاخطاء في المقدمة التاريخية التي كتبها للمنهل في تاريخ الموصل، منها ما اثبته في مقالتي عن السيطرة العثمانية للموصل سنة ١٥١٦ م وبدايات الصراع العثماني ـ الايراني. (راجع مجلة بين النهرين، العدد ٣١، ص ٣٤٣).

٨ ـ من الجدير بالذكر ان مخطوط الدر المكنون قد اكتمل تحقيقه وطباعته على الرونيو، وهو ينتظر النشر.

٩ ـ ولد المؤرخ ياسين افندي الخطيب العمري في الموصل بتاريخ ٢٧ صفر ١١٥٨ هـ، المقابل بالميلادي ـ ٣١ آذار ١٧٤٥ م. (عن مخطوط الدر المكنون، النسخة الثانية).

10 - Percy Kemp, Mosul and Mosuli Historians of the Jalili era 1726-1834, Ph. D. Thesis, Oxford Univ., 1979.

11 - Von Hammer Purgstall, Geschichte der Osmanischen Reiches, Band 15, Wien, 1828, PP. 57-9.

12 — Subhi, Tarih, fol. 219, 221—22.

١٣ ـ انظر معلومات المؤرخ احمد واصف، محاسن الآثار، اسطنبول ١٢١٩ .

١٤ . احمد عاصم عينتابلي، تاريخ عاصم، اسطنبول ــــــ.

١٥ ـ احمد راسم، عثمانلي تاريخي، اسطنبول ١٣٢٨ .

١٦ ـ علي اميري، تذكرة شعراء امد، المجلد ١، اسطنبول ١٣٢٨ .

١٧ ـ احمد جودت، تاريخ جودت، اسطنبول ١٣٠٢ .

١٨ - مصطفى نوري باشا، نتائج الوقوعات، اسطنبول ١٢٩٤ هـ = ١٨٧٧ - ١٨٧٩ م المجلد ٣، ص ٤٥.

١٩ - ملحمة الموصل، الصفحات الكاملة.

٢٠ - الارجوزتان في مجموع شعري مخطوط، تحتفظ به مكتبة استات - بيبلوتك في برلين تحت رقم ٩٨٠٢.

٢١ - المعلومات عن (المنية . . . ، ص ٢٧٣).

٢٢ . الشمامة، ص ١٢٣.

٢٣ - الروض النضر، جـ ١، ص ٥١٦.

٢٤ - الشمامة، ص ٨٤، هامش رقم ١.

٢٥ - انظر التفاصيل في مقدمة (الروض النضر)، (الشمامة، ص ٨٤ - ٥، هامش رقم ١). وراجع ما كتبه برسي كيمب عنه: (Kemp, op. cit., PP. 197—99).

٢٦ - انظر المنهل، جـ ١، ص ٢٤١. ايضاً (الشمامة، ص ١١٨ وهوامشها). وراجع: للاستزادة من المعلومات (مخطوط الدر المكنون، نسخة باريس).

٢٧ - الشمامة، ص ١١٣. وانظر (المنهل، جـ ١، ص ٢٣٩).

٢٨ - الشمامة، ص ١٣٤ هامش رقم ١. وانظر (ملحق رقم ٢ في ديوان حسن عبدالباقي الموصلي، ص ١٢٧. ايضاً (الروض النضر، جـ ١، ص ٥٧٩).

٢٩ - المنهل، جـ ١، ص ١٦١. وراجع (الشمامة، ص ١٣٤، هامش رقم ١).

٣٠ - الشمامة، ص ١٥٤.

٣١ - المنهل، جـ ١، ص ٢٥٤.

٣٢ - ديوان حسن عبدالباقي الموصلي، المقدمة في ترجمة الشاعر، وانظر ديوانه نفسه. ايضاً: (الشمامة، ص ٢٠٠، هامش رقم ١).

٣٣ - الشمامة، ص ٣٨٠، هامش رقم ١.

٣٤ - المنية، ملحق رقم ١٣، ص ٢٧٣.

٣٥ - الزبدة، ص ١٠٥، هامش رقم ١.

٣٦ - الشمامة، ص ٣٨٠، هامش رقم ١.

37 - K. Niebuhr, Reisebeschreibung nach Arabian und Umliegende, vol. 2, Landern, 1908, PP. 356-8.

38 - E. Ives, A Voyage from England to India, London, 1760, P. 324.

٣٩ - لانزا، الموصل في الجيل الثامن عشر حسب مذكرات دومنيكوا لانزا، ترجمة: د. روفائيل بيداويد، الموصل، ١٩٥٣، (انظر فيه: مقدمة المترجم الناشر ومتن لانزا المترجم الى العربية).

40 - J. Otter, Voyage en Turquie et en Perse avec une relation des expeditions de Tahmas Kouli-Khan, 2 vols., Paris, 1748, vol. 2, P. 260.

41 - J. Jackson, Journey from India, London, 1799, P. 76.

42 — G.A. Olivier, Voyage dans l'Empire Ottoman, l'Egypte, et la Perse, Paris 1971.

43 - J.M. Kinneir, A Geographical momoir of the Persian Empire, London, 1813, PP. 54-189.

44 - J.S. Buckingham, Travels in Mesopotamia, London, 1827, PP. 6-156.

45 - C.J. Rich, Narrative of a Residence in Koordistan, vol. 2, London, 1830, PP. 4-374

٤٦ ـ كوركيس عواد، أثر قديم في العراق (دير الربان هرمزد)، الموصل ١٩٣٤ .

٤٧ ـ بطرس نصرى الكلداني، ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان، الموصل ١٩١٣.

٤٨ ـ د. داؤد الجلبي، مخطوطات الموصل، بغداد ١٩٢٧ . اضافة الى ان الجلبي له جهود واضحة بالنسبة لتاريخ الموصل الحديث، وتحتوي ـ اليوم ـ مكتبة الاوقاف العامة بالموصل على العديد من اوراقه وتراجمه المكتوبة بخط يده .

٤٩ ـ صديق الدملوجي، اليزيدية، الموصل ١٩٤٩ .

٥٠ ـ د. سليم النعيمي في تعليقاته المفصلة على هوامش تحقيقه لكل من كتاب(الروض النضر) وكتاب (الشمامة) .

٥١ ـ عبدالكريم رافق، العرب والعثمانيون ١٥١٦ ـ ١٩١٦ م، دمشق ١٩٧٤ ، ص ٣٢٨، ص ٣٣٤.

٥٢ ـ محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، القاهرة ١٩١٢ .

٥٣ ـ ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت ١٩٦٥ .

٥٤ ـ د. محمد انيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، القاهرة، د. ت.

55 — R.W. Olson, The Siege of Mosul and Ottoman—Persian Relations 1718—1743, Indiana, 1975.

الفصـل الاول

مقدمة في الجغرافية التاريخية لنشوء العراق الحديث

ستراتيجية العراق واثرها في نشوء الصراع العثماني ـ الايراني

مجال البحث ومصادره:

ليس خافياً عن الدارس أو المؤرخ ورجل الجغرافية، ما للعراق من مكانة ستراتيجية عبر العصور، وما لهذا البلد من مواصفات جغرافية وسكانية.. والتي قدر لها ان تلعب دوراً فعالاً في ارساء دعائم العراق في العصر الحديث. كما وكانت مبعثاً لصراع القوى الامبراطورية المحيطة به، او البعيدة عنه، بغرض السيطرة والاستفادة من ستراتيجيته القوية، ومن مناطق النفوذ التي تحتلها مواقعه، أو مراكز التوطن فيه من شماله حتى جنوبه.. وليس من الغضاضة في شيٌ ان يقع هذا البلد بين فكي رحى صراع القوى فيما بينها عليه، أو صراعه هو نفسه معها.

لقد رسمت الطبيعة، حدود العراق، ومنافذه واطرافه وقواه، منذ عصور سحيقة في القدم، وقد ولدت على ارض بلاد وادي الرافدين وعاشت، وتوسعت، ونضجت وعظمت، ثم هرمت وشاخت، وانهارت ميتة.. دول كثيرة، وامبراطوريات عظيمة، استطاعت ان تمتد من رأسه الاعلى، أو قلبه النابض، أوجوفه العميق، بحضاراتها وثقافاتها.. الى اطراف شاسعة من جانبيه في الشرق والغرب. وبقيت ستراتيجيته الام هي الخالدة من خلال شريانيه الازليين دجلة والفرات وعروقهما وروافدهما، والمراكز المدنية التي تقوم على جوانبهما، رغم تغير قواه البشرية، بين النزوح والاستقرار، أو التنوع والبقاء، أو الانتعاش والاندثار، أو بين الدمار والازدهار.

لقد كانت ستراتيجية العراق، احد ابرز العوامل الاساسية في نشأة الصراع العثماني ـ الايراني، والذي تبلور مع ولادة القرن السادس عشر الميلادي، (بدايات القرن العاشر الهجري). وكانت ساحة العراق مع اطرافه، حلبة له، ومسرحاً لعملياته خلال الفترات الطويلة من عمر الصراع، اذ دام هذا الصراع اربعة قرون من حياة كلا الطرفين. ولقد اقتصرت الافكار هذه، البحث في اطار ستراتيجية العراق، ودورها في عملية تنامي الصراع وبداياته، ولم ابتعد اكثر من هذا، رغم ان الصراع قد عاش في فترات لاحقة، مستفحلاً ودموياً تارة بين

عمليات حرب، واستنزاف، وحصار. . أو متوتراً ومحموماً تارة اخرى ضمن علاقات دوبلوماسية فاترة، تحكمها المعاهدات سريعة النقض، والاوضاع المشوبة بالفتن والحذر والحرب الباردة. كما وضح البحث، بداية نشوء عراق العصر الحديث، بعد ان شملته السيطرة العثمانية، وذلك خلال عهدين مختلفين فلقد دخلت الموصل، وشمال وشمال غرب العراق في المجال العثماني على عهد السلطان سليم الأول سنة ١٥١٦ م. ثم اكتملت السيطرة على العراق بسقوط بغداد على يد السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٣٤ م. وجاء شمول البصرة والحويزة وامتداداتها البعيدة حتى مضيق هرمز ضمن السيادة العثمانية سنة ١٥٣٥ م. وتعتبر السيطرة العثمانية الاولى على العراق من ابرز الحوادث التاريخية في حياته خلال القرن السادس عشر.

ستراتيجية العراق وبوابة العصر الحديث

١ ـ مكانة العراق بين امتدادات ايران والمصالح العثمانية:

كان العراق في بداية القرن السادس عشر، قد ترك وراءه ذلك الركام التاريخي لاحقاب زمنية طويلة: العهد الجلائري المتقلب. . مآسي تيمورلنك، بما فيها من نكبات وآلام. . ثم المزيد من المحن والكوارث التي نالها متأرجحاً على عهد كل من البارانيين [1] والبايندريين، [2] ليصبح أقرب الى اشلاء متناثرة ليس له من مقوم تاريخي فاعل يواجه بها تلك العناصر الغريبة، والاحداث المريرة. لقد بقي رباطه الجغرافي فقط، العامل الاساسي الوحيد في حفظ كيانه العريق، لما لهذا الرباط الفريد من عناصر ثبتت ضد جميع التيارات التاريخية المتغايرة في حياته. في بداية القرن المذكور، وعندما كان هذا البلد يعاني من التدهور والانحطاط، وشدة الانقسامات. . كانت تتفاعل على اطرافه الشرقية امتدادات ايران الصفوية، التي ادّت تحت قيادة الشاه اسماعيل الصفوي، الى تصفية كافة الجيوب التركمانية للدولة البايندرية، لنقاط تصل حتى تبريز، العاصمة الاذربيجانية التي ملكها هذا الشاه سنة ١٥٠٠ م/ ٩٠٦ هـ، [3] وتقدم منها على ارمينية في بداية حروبه تلك. . [4] ثم قاد جيوشه على اطراف لورستان، وكيلان وعربستان سنة

١٥٠٢ م/ ٩٠٨ هـ، [٥] وسيطر عليها، فانفتح العراق امامه، بمناطقه السهلية، ومدنه المسطحة، ومسالكه البرية، بعد ان امّن سيطرته على تلك الامتدادات الجبلية التي تفصل العراق عن ايران، في حدود طبيعية لها جغرافيتها التاريخية، الضاربة في عمق زمني كبير. تتواصل هذه الحدود الى الشمال عبر الاراضي العراقية المرتفعة، التي تتخذ فيها خطوطاً متعرجة عبر اقليم شهرزور شرقاً، وعلى محور زاكروس الجبلي، الذي تبدأ منه السلسلة الطبيعية الجبلية، لتشكل حدود شمال العراق عبر خط: زاكروس ـ حكاري ـ طوروس، ذلك الخط الذي يفصل العراق عن عالم الاناضول واقاليمه، في نقاط حيوية، ومسالك استراتيجية، تتواصل جنوباً لأقليم الجزيرة ـ كما اطلق عليه في العصور الوسيطة ـ. كاليه شين: هي الهاوية السحيقة التي يبدأ منها الخط الشمالي شرقاً نحو الغرب، وتتواصل السلسلة حتى تخوم جزيرة ابن عمر، لنقاط اقرب الى: حصن كيفا ـ ماردين، اي حتى الملتقى بنهر دجلة، لتأخذ الامتدادات محاور جغرافية اخرى، ضمن اراضي بلاد الشام، لنقاط تصل الى: حران ـ اورفه ـ اورمايا ثم الاسكندرونة والملتقى بالبحر المتوسط. [٦] وتعد هذه المحاور، الحدود الطبيعية الشمالية للوطن العربي.

لقد كان من السهل على الشاه اسماعيل الصفوي، ان يدخل العراق، بعد سيطرته على عربستان بست سنين فقط، فقد غزا بغداد سنة ١٥٠٨ م/ ٩١٤ هـ، [٧] ومضى في طريقه شمالاً، ليكمل سيطرته على العراق، فأخضع ديار بكر [٨] ثم اخضع الموصل، [٩] ليمسي العراق بعد ذلك تحت رعاية الشاه الصفوي.. وقد استكمل الفرس سيطرتهم على كافة الاطراف الشمالية لنقاط متباعدة من مناطق اقليم الجزيرة، ورغم هذا كله كانت المناطق العراقية متخلخلة التوازن في علاقاتها السياسية بالاقاليم المجاورة [١٠] وفي موالاتها المضطربة للقوى المتباينة، وكانت متخبطة في حياتها الادارية والاجتماعية، ومتردية في احوالها الاقتصادية، ومواردها [١١] رغم تعاظم مناطق النفوذ الاستراتيجي والجغرافي التي كانت فيها، والمنتشرة حواليها، عبر المسالك البرية والنهرية.

هكذا بدت صورة العراق أبان بدايات القرن السادس عشر الميلادي، مثيرة مطامع القوى الكبرى المحيطة به.

لعل السيطرة الايرانية على العراق في بداية القرن السادس عشر، قد قادت التوجهات العثمانية اليه، واثارت مطامح السلطنة في اسطنبول الى مكانته الجغرافية العظمى، وعطف بأنظارها الى استراتيجية منافذه الحية، ومدنه التجارية، في فترة شهدت الامبراطورية العثمانية فيها عدة تجديدات في البيروقراطية، والاعمال والحرف التقنية السائدة فيها آنذاك، وتطورها بالشكل الذي جعلها تكثر من مطاليبها (١٢) والبحث عن مناطق نفوذ جديدة في الشرق، كما هو الحال في اوربا الشرقية. وعليه فقد رصدت مواضع كل من الموصل وديار بكر وحدودهما ومسالكهما. . . ثم امتدادات ذلك الخط العمودي الاستراتيجي، الذي يرتبط بمسلك: الموصل - بغداد - البصرة، (١٣) والذي يقطع عمق وادي الرافدين، متوجهاً وموصولاً بالبحر العربي عبر الخليج العربي الذي يعتبر الباب الطبيعي الجنوبي للمسلك العمودي. هذا الذي يعتبر شريان العراق الازلي الحي، والذي يذكر عنه المؤرخ «لونكريك»، بأنه: المسلك الذي لم يزل قائماً حتى اليوم في تخطيطه ووقفاته، ويضيف قائلا بأن الموصل - التي تعتبر رأسه - هي الباب الطبيعي لشمال العراق، (١٤) عبر اتصالاتها بأقاليم الاناضول وبلاد الشام.

ولقد شهدت بدايات هذا القرن أيضاً. تفاقم المصالح الاقتصادية بين الشرق واوربا، فلقد تنامت العلاقات التجارية بصورة كبيرة بين ايران والموانئ الاوربية القريبة، (١٥) وعلى الاخص الموانئ الايطالية. . (١٦) فلقد كانت ايران تعتمد تجارة الحرير في صادراتها الى الغرب الذي يقوم بمقابلتها بالذهب والنحاس كأيرادات رئيسية في استراتيجيتها الاقتصادية آنذاك. . (١٧) وعليه فلقد تعاظمت يوماً بعد آخر أهمية العراق من خلال ما تمتع به من منافذ حية عبر حدوده الجبلية الشرقية والتي تمتد منها المسالك التجارية براً عبر سهوله وبراريه لتصل بالبحر المتوسط، ثم خطوط النقل النهري العمودية، والتي تقوم على جوانبها أهم المراكز والمدن. من هنا نعلم بأن مطاليب كل من الفرس والاتراك، للتوغل في عمق العراق، ضرورة متكافئة لكل من هاتين القوتين العظميين في الشرق آنذاك، فقد كانت ايران جادة في مطاليبها لكي تصل عبر العراق الى موانئ البحر المتوسط، خصوصاً وان حلفاً سياسياً كان يجمع ايران الصفوية بالاشرف الغوري، الحاكم المملوكي لكل من مصر وسوريا!! (١٨) أما المطاليب العثمانية للاراضي العربية، فلقد كانت كبيرة في تحريضها من قبل السلاطين وكمعمليات سيطرة في الخطوط الداخلية ضد القوى الملاحية الغربية عبر مسالك الشرق ومراكزه

الاستراتيجية. [١٩] وأهمها الاساطيل البرتغالية، وتحكمها بمنافذ البحر العربي والمحيط الهندي.

هكذا بدت استراتيجية العراق واضحة، ابان زحمة مجريات تلك الاحداث التاريخية، ومطاليب القوى الكبرى التي كانت تحيطه من جميع الجهات، كما كان العراق مهيئاً لأستقبال تاريخه الحديث من خلال اقاليمه العظمى الثلاثة (بغداد والموصل والبصرة)، في البداية التي سجلها القرن السادس عشر. تلك البداية التي قلبت موازين العراق، لتنقله مع لواحقه واطرافه، من عراق العصر الوسيط، الى كيان يختلف في امتيازاته ومواصفاته عما كان عليه في السابق، ورسمت لأول مرة حدوده السياسية، وخصوصاً تلك التي تشكل ابعاداً هائلة المدى في طرفه الشرقي. . لقد دخل العراق في تاريخه الحديث للفترة: ١٥٣٤ ـ ١٥٣٥ م، على عهد السلطان العثماني سليمان القانوني، الذي سيطر على بغداد بنفسه، وعنى بالعراق في تطبيقه لأستراتيجية جديدة في سياسة كانت تخدم المصالح العثمانية، ثم من خلال ما سنّه من القوانين الادارية، وتنظيمات الأراضي بالنظام الاقطاعي، وظهرت التقسيمات الاقليمية للعراق، وربطها بالسلطة في العاصمة، ليسهل حكمها والسيطرة المباشرة عليها تحت الهيمنة الجديدة، أو بصورة غير مباشرة في فترات انتقالية متأخرة وفي سنين لاحقة، نتيجة الضعف الذي لحق بالسلطة المركزية، وانحسار قوتها الفعلية على اقاليم متعددة من الامبراطورية. . ولقد دامت تلك السيطرة نحو اربعة قرون، لتنتهي بولادة العراق المعاصر، والذي رسمت خارطته السياسية، على اسس البدايات العثمانية الاولى للعراق الحديث، وخصوصاً في حدوده ولواحقه الشرقية، التي تفصل بلاد ما بين النهرين عن ايران؛ ورغم ذلك فقد فقدت العديد من الاراضي واللواحق والمراكز (انظر حدود العراق القديمة خارطة رقم ٢) (ملحقنا رقم ٥).

٢ ـ جذور الصراع وبداياته:

لقد شهدت السنوات الاخيرة، من عهد السلطان بايزيد الثاني الذي حكم للفترة ١٤٨١ ـ ١٥١٢ م، [٢٠] اشتداداً في حدة التوتر بين الاتراك والفرس، من خلال التحركات الايرانية ـ العسكرية، في سيطرتها على الاقاليم الاستراتيجية

المهمة في خط جغرافي يمتد من: ارمينية ـ اذربيجان ـ كردستان ـ لورستان ـ كيلان ـ عربستان، ثم عموم العراق، واقليم الجزيرة شمالاً . . وبدأت ايران بتحرشاتها المتعمدة على حدود الدولة العثمانية شرقاً، في نقاط متعددة من الاناضول، ودعت هذه الحالة سليم، الولد الاصغر للسلطان بايزيد، والذي تولى عرش الدولة بعده، وكان يوم ذاك حاكماً على طرابزون، المدينة المطلة على البحر الاسود، دعاه الامر للاغارة على المقاطعات الايرانية لنقطة ايرزنكان ERIZINKAN وبايبورد BAYBURD ، في سنة ١٥٠٨ م. (٢١) كانت عدة حربه، وجيوشه منتشرة في اماكن مختلفة من البلقان وصربيا. (٢٢)

عندما اعتلى عرش الامبراطورية السلطان سليم الاول، الذي حكم للفترة ١٥١٢ ـ ١٥٢٠ م، بدا وكأن الدولة لبست ثوباً جديداً، اذ يعتبر عهد سليم من الفترات التاريخية الهامة، فلقد أمدّ الدولة بحياة جديدة من خلال سحقه لكل من الصفويين والمماليك. ويعتبر هذا العهد، صاحب الجذور التاريخية الاولى، والبداية الحقيقية لذلك الصراع الفعلي الطويل الامد بين كل من العثمانيين والايرانيين. . بعد ان كان السلطان نفسه قد اوقف آلة الحرب المتقدمة في اوربا الشرقية، (٢٣) ونقل اهتمام امبراطوريته، وجنرالات جيشه العظام الى الخطر الذي يجثم شرقاً، وهو يكمن في مواجهة الدولة، وينتشر متغلغلاً في المسالك والاقاليم كالاخطبوط، فأقام علاقاته الدبلوماسية مع هنغاريا والنمسا وروسيا من خلال السفارات، (٢٤) في حين كانت المواقف مع الصفويين تلتهب يوماً بعد آخر تحت الرماد، والتي انفجرت بعد سنتين من مجيء هذا السلطان عندما اعلن حربه على ايران، متخذاً من ذرائعه في اعلانها: المذبحة التي قام بها الشاه الايراني للسنيين في بغداد، والتي آلمت السلطان كثيراً. (٢٥)

ويكاد يجمع العديد من المؤرخين على ان العامل المذهبي، هو العامل الاساسي لنشوء هذا الصراع، وذلك من خلال الحركة الطائفية التي بدأها الشاه اسماعيل الصفوي في بث مذهبه عنوة في آسيا الصغرى، والاقاليم الواقعة تحت سيطرته، مما أثار حفيظة الدولة العثمانية زعيمة العالم الاسلامي السني آنذاك، (٢٦) ولقد ادى النزاع المذكور حسب رأي المؤرخ البريطاني ارنولد توينبي الى ظهور عالمين متنافرين، . . ويتحمل مسؤولية ذلك الشاه الصفوي لأيران. (٢٧) ولقد لعب العامل السياسي والسلطوي المتمثل بعرش كل من

الدولتين دوراً بارزاً في تفاقم الصراع واحتداده لكل من الطرفين. . (٢٨) ولكن يبقى العامل الاقتصادي، ومطاليب كل من الدولتين بالبحث والسيطرة على المسالك والمراكز الاستراتيجية ـ كما تقدم شرحه ـ هو العامل الفعلي، الى جانب العوامل الهامة الاخرى.

اذا كانت هذه العوامل مجتمعة قد ولّدت ذلك الصراع المزمن، فان البداية الحقيقية ظهرت جلية في حرب جالديران (٢٩) التي قاد اليها السلطان سليم الاول جيوشه الانكشارية مخترقاً اقاليم الاناضول، (٣٠) ليحقق انتصاره الساحق على الفرس في هذه الحرب الاستراتيجية (٢٢ آب ١٥١٤ م/ ١ رجب ٩٢٠ هـ). واصبحت جيوش الشاه اسماعيل الصفوي الجديدة (٣١) حطاماً على اليد التركية المتغطرسة والمتمرسة، وفرّ الشاه الايراني نفسه من حقل المعركة هارباً، والدماء تقطر من جروحه. . (٣٢) ثم دخل السلطان سليم العاصمة تبريز منتصراً. ونفهم من حلبة هذه الحرب الشهيرة، ان اجتياح الجيش العثماني الجرار للعاصمة تبريز، وفرار الشاه قد جاء بالرغم من ذلك التحالف المعقود بين هذا وقانصوه الغوري حاكم مصر وسوريا آنذاك!! ولكن السلطان سليم لم يستطع ان يمتد في اعماق ايران الصفوية، ويسحق عنفوان الروح الامبراطوري المزمن الذي يلازمها على امتداد قرون عديدة؛ بل استطاع ان يذلها ويحطم جزءاً من جبروتها على التخوم، ونفوذها على المسالك الاستراتيجية، وسيطرتها على اقاليم عديدة، وتحرشاتها المتعمدة على الحدود، ويفر الشاه الايراني بروحه وجروحه خلاصاً من السلطان سليم الصارم. ونتلمس ضمن نتائج هذه الحرب، ان السلطان نفسه لم يمتد في العمق الايراني، ويقضي على ايران قضاءاً مبرماً اذ ان الظروف الطبيعية الصعبة التي واجهت الجيش العثماني من امراض فتاكة، وقسوة المناخ، وتضاريس البيئة الصعبة قد واجهت الجيش المنتصر في تقدمه، (٣٣) وبدأ التذمر يعم بعض القادة من الانكشارية، مما تسبب في اعدام بعضهم. . (٣٤) ولولا هذه الظروف مجتمعة والتي واجهت السلطان سليم الاول لكان باستطاعته ان يربط ايران جميعها بأمبراطوريته بما لأيران من قوة بشرية وثقافية، ولكان قد وصل الى حدود الهند، عاملاً على اذابة وصهر ايران بالثقافة التركية. . أو على اقل احتمال، كان قد مزّق امبراطورية ايران العتيقة الى اجزاء متناثرة، وفكّك وحدتها الطبيعية والسياسية، وفصل فارس أو اقليم العجم عن اطرافه من اللواحق والاقاليم الاخرى التي تجتمع تحت اسم ايران، كما فعل جدّه السلطان محمد الفاتح

(١٤٥١ - ١٤٨١ م) عبر امتداداته المسيطرة في اوربا الشرقية، واصقاع البلقان، واحالته الامبراطورية البيزنطية الى عصف تاريخي ماكول، وجعل من القسطنطينية، المعقل الاسطوري في التاريخ، عاصمة لأمته وبلاده لقرون عديدة. (٣٥) ومن الامور الاخرى التي تؤخذ على السلطان سليم بعد تلك الحرب، كونه لم يلزم الشاه الصفوي بمعاهدة سياسية لفض النزاع القائم بين البلدين .*. اذ ما كان من الشاه بعد استعادة انفاسه من جديد الّا استعادة الحرب، والقيام بمناوراته العسكرية على التخوم.

٣ - دخول شمال العراق في المجال العثماني سنة ١٥١٦ م:

غادر السلطان سليم تبريز شمالا، ليفتتح ارمينية وعاصمتها اريفان ERIVAN وسيطر بمعيتها على عدة قلاع اخرى، ثم ترك ارمينية ليستقر في أماسيه، التي اصبحت قاعدة عسكرية لتحركاته الحربية. . (٣٦) وكان قد بعث بوزيره يونس باشا لتصفية الامارة القادرية، التي وقف اميرها معرقلاً اقتصاد حرب السلطان سليم، وارساليات المؤن، فانتقم منه السلطان. (٣٧) ثم توجهت انظار السلطان الى اقليم الجزيرة وشمال العراق مع جباله العليا، وكان لهذه المناطق اهميتها البالغة، نظراً للامتيازات التي تتمتع بها. . وتتأتى بواعث السيطرة العثمانية في اعقاب حرب جالديران على تلك الامتدادات، التي كانت بحوزة ايران، اذ تأثرت تلك المناطق بظروف الحرب تلك، فتوقدت شرارة الثورة بين مختلف العشائر والسكان المحليين الذين كانوا يعانون من قسوة الحكم الايراني، وسوء الظروف الاقتصادية المريرة. . (٣٨) فبدأت تتساقط المدن والقلاع الواحدة تلو الاخرى في مناطق متعددة من الاقاليم المذكورة، وقد نجح الشيخ ادريس البدليسي، المؤرخ الكردي الشهير ومستشار السلطان سليم الذي كان يرافقه في تحقيق انتصارات متعددة في الاقاليم المعنية في خلاص اهلها من تبعية الحكم الايراني. (٣٩) وذلك بتعاونه الوثيق، وسياسته الليبرالية التي اتبعها مع رؤساء القبائل، وشيوخ المناطق، (٤٠) وادّت الانتفاضة الى اخلاء العديد من المعاقل والمدن من حاميات الفرس، فكانت هناك: ديار بكر - بدليس - حصن كيفا - سعرت - رز ن - ساسون - ميافارقين - جزيرة ابن عمر - كركوك - اربيل، وغيرها. (٤١)

لقد قادت هذه الظروف العصيبة الى ان يدخل هذا الصراع الثائر طوراً جديداً، عن طريق الحرب المنظمة على ايران، بعد ان تعاطف جميع العشائر وسكان المدن مع الاتراك العثمانيين، ولقد جاءت تلك الحرب المنظمة، اثر ارتداد ايراني مكثف في مهاجمته للمناطق المحررة، (٤٢) وكان السلطان سليم قد ارسل جيشاً التحم بقوات البدليسي، وادى دوره الى فك الحصار الايراني عن المدن والقلاع (٤٣) وخاض معارك عديدة لصد الهجمات الايرانية. وكان لابد من المواجهة الحاسمة بين الطرفين المتنازعين، التي حسمتها معركة كار كينديد الفاصلة (٤٤) جنوبي ماردين (٤٥) وحسمت هذه المعركة ايضاً جميع الاضطرابات، والمواقف المتأرجحة بين الطرفين لصالح الاتراك العثمانيين الذين سقطت اثر المعركة المذكورة بأيديهم جميع المدن والمعاقل، والمسالك التي تؤدي الى اطراف هامة في تصريف اقتصادياتها، وسيطرتها على تجارة العالم، وعلى جميع المناطق الجبلية ومنابع الانهار، ومن تلك المدن المهمة: ماردين ـ ديار بكر ـ الموصل ـ حران ـ الرقه ـ ارغني ـ نصيبين ـ اورفه ـ حصن سوران ـ كركوك ـ اربيل ـ ميافارقين ـ سنجار ـ وعموم جزيرة ابن عمر، وغيرها من المدن شمالاً وشرقاً. (٤٦)

لقد افرزت هذه الاحداث التاريخية، نتائج هامة، بما يخص شمال العراق اثرت في مسيرة احداثه اللاحقة، وخصوصاً عندما اصبحت الموصل ضمن المكتسبات العثمانية على عهد السلطان سليم الاول، (٤٧) باعتبارها اول مدينة عربية تدخل بمقاطعاتها جميعاً الطوق العثماني، ولقد جاءت السيطرة المباشرة على شمال العراق، في خط يمتد محوره الجغرافي على النحو: خوى ـ كركوك ـ اربيل ـ الموصل ـ سنجار. اضافة الى ما يعلو هذا الامتداد، أو يتدانى عنه، فلقد تداعت منطقة بادية الجزيرة على خط يمتد: سنجار ـ عانه واطراف نهر الفرات وحوافيه الصاعدة حتى الرقة. (٤٨) اما ما يعلو المحور الاول فلقد كانت جبال كردستان. (٤٩) وتعتبر المناطق النهرية، ومناطق المحور الجغرافي الاول المستحوذ عليه من المناطق المكتسبة ـ حسب تقسيمات المؤرخ الجغرافي بيتجر PITCHER (٥٠) اما منطقة البادية، ذات البراري المعشوشبة، ثم المناطق الجبلية والموحشة من شمال العراق فتعتبران من المناطق التابعة. لقد أكتسبت المناطق العراقية في محورها الجغرافي الاول اثر الانتصار في معركة كاركينديد (مايس ١٥١٦ م)، وتبعتها المناطق الاخرى.

بعـد ان استحملت ابعاد السيطرة على هـذه المناطق ومـا يعلوها، اوعـز السلطان سليم، بتشكيل الادارة الاهلية في هذه الاقاليم (٥١) التي تمتد من منابع نهر الزاب حتى اطراف نهر الفرات، وقد جاء هذا التشكيل، بعد رسم معاهدة بين السلطة العثمانية ورؤساء العشائر القبلية، تحت اشراف ذلـك السياسي المحنك ادريس البدليسي الـذي منحهم عن طـريق تمثيله للسلطة المـركـزيـة العثمانية، مواثيق سياسية للعمل من خلالها (٥٢) وقد نجحت خططه في تثبيت دعائم الحكم الجديد، ولأول مرة في تاريخ المنطقة، وتوظيفها مع طاقاتها ضد الاعداء، وذلك عبر تعاون مزدوج وثيق، ولكنه يخدم في النهاية مصالح وتكتيكات السلطان سليم الاول، اذ تعتبـر منطقـة شمـال العـراق، ومـا يعلوهـا، ذات استراتيجية اقتصادية وجغرافية لها مسالكها، ومراكزها التجارية المتصلة بممرات جبلية، وقنوات نهرية، كما انها غنية بـ ناصيتها الزراعية، (٥٣) وهي تمتاز بقواها البشرية، التي تشكل وزناً كبيراً في صنع الاحداث، فلقد استطاع تمردها على الفرس أن يؤثر في ميزان القوى كاملاً لصالح العثمانيين انفسهم، ولقد اثبت هؤلاء السكان، كما يذكر المؤرخ «مريمان» بأنهم اناس عمليون. (٥٤) وذلك مما يساعد على نمو وتقدم عجلة الحرف والاعمال التقنية للدولة، اضافة الى ضرائبهم التي يدفعونها الى العاصمة، ومطاليب الدولة لهم في احوال الحرب. . .

ربما كان هذا ما يخص العراق ونواحيه الشمالية خلال عهد السلطان سليم الاول، الذي استطاع ان يسيطر على تلك المنطقة الحيوية، ويوظفها في خدمته ضد الفرس، ويؤمنها امام ولده السلطان سليمان القانوني، الذي تولى الحكم من بعده، وقاد بعد فترة طويلة الى توجهه للسيطرة على العراق كـاملاً، واكمـال السيطرة على جميع مراكزه واطرافه، وتطهيره من السيطرة الفارسية ـ الصفوية.

السيطرة العثمانية على العراق سنة ١٥٣٤ م ونتائجها

١ ـ اوضاع العراق الداخلية وأوليات الموقف:

لقد كانت الفوضى تعم بغداد، وتشغل الانقسامات سكانها، الذين ظلوا خارج دائرة تلك الاحداث المريرة التي كان يتقاسمها كل من الفرس والترك، بعد تلك الوطأة الثقيلة من الحوادث والكوارث التي جثمت على صدرها بعد ان حطمتها القوى المغولية ـ التترية في سنة ١٢٥٨ م/٦٥٦ هـ، على يد هولاكو، ومضى عليها ما تبقى من العصر الوسيط، بتركته القاسية، وعناصره الغريبة، مفتتاً ما تبقى من حضارتها الاصيلة. وفي بدايات القرن السادس عشر، بدت هذه المدينة العريقة، واقعة تحت بطش الصفويين بعد سيطرة الشاه اسماعيل الصفوي عليها سنة ١٥٠٨ م/٩١٤ هـ، وقد مضى ذلك الشاه، مسيطراً على جميع انحاء العراق. يقول المؤرخ ـ شو S.J. SHAW «بأن الصفويين قد حاولوا ان يؤسسوا كياناً طائفياً... في قلب الخلافة العباسية من خلال اعدام العديد من العلماء ورجال الدين.. وهدمهم للأضرحة ومراكز العبادة». (٥٥) وهذا ما جعل السلطان سليمان القانوني يدير رأسه عن مشاغله في هنكاريا، اثناء الحملة العثمانية الثالثة لها سنة ١٥٣٢ م، (٥٦) ويوجه تفكيره نحو العراق، علماً بأن اتصالاً قد جرى بين الفرس والمنكاريين، وتعاوناً مشتركاً قد جرى بين هذين الطرفين ضد العثمانيين، العدو المتكافئ لكليهما.. (٥٧) ويعد المؤرخ النمساوي القديم فون هامر Von Hammar حوادث الحدود بين الدولتين، الصفوية والعثمانية، احد الاسباب المباشرة، التي كفلت خلق أو اذكاء الحرب بينهما في هذه الآونة من حكم سليمان القانوني، (٥٨) اضافة الى الاوضاع الشاذة التي كانت تحكم الاقاليم الصغيرة على التخوم المحاذية. لكل من الدولتين، والسياسة المتذبذبة لحكام هذه الاقاليم. (٥٩) ويؤكد ما ذكرناه عن استراتيجية العراق، قول المؤرخ شو: «بأن هنالك اسباباً اقتصادية لغزو العراق من قبل العثمانيين، كون العراق يربط خطوط التجارة بين اوربا والشرق البعيد، في حين كان البرتغاليون يتحكمون في البحار الشرقية، اضف الى ذلك دور المسالك القديمة بين الشرق والغرب من خلال الشرق الاوسط، والتي بدت الآن بيد

العثمانيين . (٦٠) فقد كان السلطان سليم الاول ، قد امن امام ولده بوابة العراق الشمالية ، وضمها الى امبراطوريته بامتداداتها الطويلة ، وطبيعتها الجبلية الوعرة التي تصل سلسلتي جبال طوروس - زاكروس ، وعلى الرغم من تصعيد السيطرة العثمانية على العراق ، الا ان استراتيجيته الجغرافية ، والعوامل الاقتصادية التي تتحكم بها منافذه ، تبقى من الدعامات الاساسية ، لصراع العثمانيين مع الفرس عليه أبان تلك البدايات الاولى من الصراع ، ثم استمراره وتفاقم حدته لاحقاً على حلبة العراق ، خلال القرون المتأخرة .

أبان خريف حكم الايرانيين لبغداد في بدايات العقد الثالث من القرن السادس عشر ، انسلخ احد الولاة اللريين ، واسمه ذو الفقار ، والذي كان منصباً عليها من قبل الشاه الايراني وقد كان تمرد هذا الوالي ، بمثابة اعطاء الضوء الاخضر للسلطنة في اسطنبول ، لأنقاذ بغداد ، والعراق الاوسط من النفوذ الايراني ، على ان فترة الانسلاخ تلك ، والتي قادها ذلك الوالي لم تدم طويلاً ، فقد وأدها الشاه طهماسب سنة ١٥٣٠ م بنفسه عندما قاد جيشاً ايرانياً تحت قيادته ، وكان في السادسة عشرة من عمره ، ليقضي على ذي الفقار اثر اغتياله الذي جرى بخيانة غادرة من اخويه . (٦١) وعادت بغداد تحت بطش الفرس ، في حين كان السلطان سليمان القانوني ينظر لما يجري على مسرح بغداد ، مترقباً مع مزيد من التوجه والاهتمام . وكان قد وصلته رسائل منها تطالبه بأنقاذها ، على حد ذكر احد المصادر التاريخية . (٦٢)

لقد هدأت الاوضاع في بلاد الدانوب قليلاً ، اثر اتفاقيات السلام التي اقرت سنة ١٥٣٣ م بين العثمانيين والهابسبورك ، والتي اطلقت حرية السلطان من اوربا الشرقية ، (٦٣) فكفت يده عنها حيناً ، واطلقها في شرق بلاده بين ايران والعراق ، واتجاهه يتعامل مع الصفويين مرة اخرى ضمن الصراع المتنامي بين الطرفين . فلقد كان قد وجه جهوده الاولى بين ١٥٢٦ - ١٥٢٨ م نحو اخماد القلاقل التي نشبت في اناضوليا من قبل التركمان ، بتحريض مستميت من قبل الشاه الصفوي ، (٦٤) كما دفعته الحاجة الان لأن يضع حداً لكافة الاوضاع السياسية ، والمشاكل الادارية في الامبراطورية . بعد ثلاثة اشهر فقط من تلك المعاهدة

النمساوية - العثمانية، المذكورة اعلاه، والتي وقعها الصدر الاعظم ابراهيم باشا، سار هذا الوزير، قائداً لجيوشه، ومخترقاً الاناضول نحو ايران، في حين كان السلطان القانوني، ينظم جيوشاً اخرى، وكانت استعدادات البلاط العثماني لخوض الحرب ضد ايران، وفتح العراق قائمة على قدم وساق.. في حين كان ابراهيم باشا وزير السلطان قد وصل ديار بكر في ١٤ ايار ١٥٣٤ م، وقضى ستة اسابيع، واستسلمت جميع المدن وعلى خط افقي يصل حتى وان، مما جعل الطريق امام الوزير مفتوحاً الى تبريز التي دخلها دون أية مقاومة، وتركزت الحاميات التركية على مسالك اذربيجان الاستراتيجية. (٦٥)

تقول «الانسكلوبيديا التركية»، بأن السلطان القانوني، قاد جيشه الامبراطوري الكبير، ترافقه خيرة الجنرالات نحو ايران، ولم يجد أية صعوبة اثناء تقدمه، ودخوله اراضيها، وقد التقت قواته بقوات وزيره في تبريز، وهي المدينة التي اطاعت هذا الامبراطور، فبذل لها عطاياه، (٦٦) وربما تكون قد خشيت ان يوقع بها الدمار، كما فعل ابوه السلطان سليم بها قبل تسعة عشر عاماً، بُعَيد حرب جالديران (٩٢٠ هـ/١٥١٤ م) وقد مضى عنها، ليدخل مدينة زنجان ومن بعدها مدينة سلطانية في ١٣ اكتوبر.. (٦٧) وقد خشي الظروف الطبيعية وقسوة المناخ في ايران على أن يلاحق الفرس اكثر من ذلك، (٦٨) وقرر ان يتمركز في العراق الذي كان فيه المناخ ملائماً، وجوّ بغداد سائغاً لأن يحتلها، ويقضي في ربوعها، وبين قصورها العباسية العريقة ردحاً من الزمن.

٢ - تحركات حرب السلطان سليمان القانوني ودخوله بغداد:

تحرك السلطان سليمان القانوني مع جيوشه الجرارة، على خط يجتاز ميان وزنجان ثم سلطانية.. (٦٩) وخلال مرور الجيش مع آلياته وعدتّه الكبيرة من الذخائر والمدافع والخيول وغيرها عبر جبال زاكروس المستعصية، وممراتها الضيقة، قصد اختراقها نحو الغرب. واجهته الصعوبات: ظروف الشتاء القاسية.. الامطار الغزيرة.. والرياح العاتية، وركامات الثلوج التي سدت المسالك، ومنعطفاتها الشاهقة غير المطروقة، وفيضانات الانهر وتوابعها من السيول الجارفة التي اثّرت في عدّة الحرب العسكرية. (٧٠) ولقد استطاع السلطان

ان يفيد من خبراته العسكرية التي كان قد اكتسبها من اعماله الحربية في شرق اوربا، وحملاته في هنغاريا خصوصاً، في ان يحمّل جيشه الصبر والمنعة كونه في طريقه الى العراق، ليدخل بغداد، حتى اذا ما أطل هذا الجيش على الاراضي العراقية المتموّجة، وسهوله المستوية غالبه الارتياح وتنفس الصعداء.

كان السلطان يحّث الخطى نحو بغداد، مستفيداً من اوضاعها المتردية. . اما داخل اسوارها، فلقد تجاذب الخان الذي كان يحكمها مع بعض الرؤساء الرأي، للعصيان داخل تلك الاسوار، ومنع الاتراك من السيطرة عليها، وكان الرأي العام يميل الى ان تستقبل بغداد هذا القادم الجديد، مما حدا بالخان الى ان يفلت هارباً الى ايران. (٧١) في حين كان السلطان قد تسلم مفاتيح بغداد، وهو في طريقه اليها. ودخل الوزير الاعظم بغداد دون أي مقاومة تذكر، (٧٢) مؤمناً ومهيئاً لأستقبال ذلك السلطان، في حين انبثت الجيوش المتعبة على مسافة من شمال بغداد الشرقية لتأخذ قسطها من الراحة، بعد تلك الرحلة القاسية. . وعندما قرب وصول موكب السلطان، تهيىءُ ذلك الجيش، واستعد بملابسه، وطبوله، ومزاميره، وتنظيمه الانكشاري الخاص ليشارك السلطان الابهة في دخوله بغداد العريقة. (٧٣)

بهذه الطريقة، دخل سليمان القانوني بغداد دخول المنتصرين، وقضّى شتاء سنة ١٥٣٤ م كاملاً فيها، وتعتبر هذه السنة هي الحد الفاصل بين عصرين من حياة العراق، اذ بدأ منها تاريخه الحديث، فلقد استطاع القانوني ان يضع الحجر الاساس لذلك التاريخ، بتأسيسه الادارة الجديدة، اذ ظهرت التقسيمات الادارية لأقاليم العراق بصورة رسمية وقانونية لأول مرة في حياته، وظهر النظام الضرائبي الجديد، ورسمت سياسة العراق الاقتصادية، واظهر السلطان تعاطفه مع السكان والفئات التي ناشدته في السابق، كما باشر باصلاحات شملت مرافق عديدة في الري والعمران، وزار العديد من الاماكن والمدن ومراكز العبادة والجوامع والاضرحة، (٧٤) ونصب الولاة الاتراك الجدد، واسس الحاميات العسكرية وطبق النظام الاقطاعي العسكري، (٧٥) وعليه فلقد نقضت المعاهدة التي كان قد سنها السلطان سليم مع امراء المقاطعات الشمالية سنة ١٥١٦ م، المذكورة آنفاً، التي تشكلت الادارة الاهلية على اسسها.

هذه هي اهم الاعمال التي اداها القانوني اثر دخوله بغداد، ولقد دخل جنوب العراق في طاعته دون أية مقاومة تذكر، اذ تعاقبت السيطرة العثمانية باحتلال البصرة والقطيف ثم البحرين اثناء وجود السلطان في بغداد، (٧٦) في وقت رجع الشاه الصفوي ليسيطر على اذربيجان مرة اخرى، (٧٧) مما دعا السلطان العثماني لأن يستعد لتوجيه ضربة اخرى للصفويين، واستعادة تبريز قلب اذربيجان الحي.. لقد غادر السلطان بغداد في نيسان سنة ١٥٣٥ م، بعد ان كان قد دخلها في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٥٣٤ م. (٧٨) اذ ادخل العراق جميعه في طاعته، ونقل حدود دولته الى الخليج العربي وبدت امبراطوريته الان تمتد من استرغون الهنغارية، واراضي النمسا حتى بوابة العراق الجنوبية، وامارة الحويزة العربية شرقي شط العرب.

استنتاجـات تاريخيـة

١ ـ تحليل المواصفات العثمانية لعراق القرن السادس عشر:

تُعد السيطرة العثمانية الاولى على العراق، ذا اهمية استراتيجية من الناحيتين: التاريخية والجغرافية ـ البشرية، فمن الناحية الاولى، استطاع السلطان القانوني في احتلاله العراق ان يشد وثاق بلاد ما بين النهرين، كما يذكر المؤرخ الافرنسي روبرت مانتران، (٧٩) وذلك على المدى البعيد، اما من الناحية الاخرى، فقد كانت جهود واهتمام كل من السلطان سليم الاول وولده السلطان سليمان القانوني بالعراق حاجة كانت تتطلبها ظروفه السياسية، اذ لولا ذلك لاستطاع كل من الشاه اسماعيل الصفوي وولده الشاه طهماسب ان يحوّلا العراق الى قطعة ارض ايرانية وان يصبح تابعاً فارسياً، بعد مضي عقود من السنين.. ولكان قد صُهر شعبه وقبائله العربية الاصيلة عن طريق الهجرات البشرية المتعمدة، ونشر الثقافة الغريبة، كما نجحت مساعي شاهات ايران على مراحقاب مختلفة في صهر أو أقلمة شعوب كثيرة في البودقة الايرانية، أو جعلها كتوابع ضمن امبراطوريتهم.

لقد بدا العراق، وحدة سياسية مترابطة اكثر من ذي قبل، ولأول مرة في بدء حياة تاريخه الحديث، في العقود الاولى من القرن السادس عشر، وولدت ستراتيجية العراق العسكرية، ضد الفرس في العصر الحديث من خلال مركزي قوى العراق آنذاك: بغداد والموصل، وقد سبقت الموصل بغداد، في بدء حياتها الاقليمية ـ الادارية، كأقليم عراقي شمالي تتبعه عدة سناجق، وتلحق به العديد من التخوم المتفرقة. وتوثقت الموصل ببغداد بعد فتح الاخيرة من قبل العثمانيين، وبعد ان نظمت ادارة العراق ضمن نظام الشرق المعروف الذي اوجده القانوني نفسه، وعليه فقد ظهرت ولاية بغداد المترامية الاطراف في قلب العراق، وظهرت ولاية الموصل مستقطبة رأسه الاعلى، وظهرت ولاية البصرة محكمة طوق ستراتيجه البحري من خلال شط العرب والخليج العربي وما يحيط بهما من تخوم عربية.

بدأ الحكم العثماني للعراق في عهد القانوني، ووجد هذا البلد نفسه متخلصاً من الايرانيين، ووجدت الادارة الجديدة، وأصلحت القوانين المعمول بها على ساحته، ضمن الايدلوجية الدينية التي تميز بها آل عثمان، ووجد الناس انفسهم احراراً بعض الشيء في ظل بدايات ذلك الحكم، الذي وطد اسمه السلطان العثماني. . «ذلك الامبراطور الـذي نصب له اعـداؤه من الاوربيين النصب والتماثيل اشادة بعظمته واستنارته، وما منحه لفئات الشعوب المختلفة التي ضمها في اساره من الرعـاية والتسـامح» ـ عـلى حد ذكـر بعض المؤرخين ـ [٨٠] . . وشهدت ساحات بغداد مواكب تلك المشاة المدربين على احدث فنون الحرب، باعتبارهم يمثلون اعظم قوة عسكرية ـ ستراتيجية في العالم آنذاك.

رغم كل هذا وذاك، الّا ان السيطرة العثمانية التي قبضت على انفاس العراق وطهرته من السيطرة الفارسية، قد ادخلت هذا البلد في خضم صراعها التاريخي مع ايران. . وانها لم تؤد مهامه من اجل انقاذ حياة العراق وسكانه أو تاريخه وثقافته فحسب. ، ورغم انها بدت فعالة، نشيطة في بداياتها، الّا انها احكمت الطوق القوي على استراتيجية العراق الجغرافية، وقواه البشـرية، ومسـالكه البـرية، وخطوط ملاحته النهرية، وسيطرت على الحركة الاقتصادية، وخصوصاً على موارد وصادرات مدنه التجارية. . وبدت الرقعة الزراعية مقسمة لأول مرة، وعلى نحو جديد الى وحدات اقطاعية ـ عسكرية [٨١] وارتبطت اقاليم العراق ومـا لها من

سناجق بالسلطة المركزية، ولم يعط للعراق كيانه السياسي الموحد خوف انفصاله عن تلك السلطة، التي انفتح امام خزانة امبراطوريتها باب جديد من الموارد، والضرائب وهدايا ومنح الولاة الذين حكموا العراق، على غرار بقية ولايات الامبراطورية قاطبة.

لقد تعاقب على حكم الولايات العراقية العديد من الولاة الاتراك في العقود التالية من القرن السادس عشر، الذين كانت مراكز حكمهم تتطلب استنزاف اقتصاد البلد وموارده لمصلحة الدولة العليا، وكانت فرص تواجدهم قاسية على كاهل السكان وامكانياتهم نظراً لسوء التصرف الاداري المفروض. اما من الناحية السياسية فقد توثقت العلاقات بين باشوات العراق والاقاليم المتاخمة له. فاذا كانت لورستان ومناطقها المتباعدة الى الجنوب واقعة تحت تأثير حكومة بغداد، فأن كردستان وشهرزور، والجبال الممتدة حتى جزيرة ابن عمر لنقاط متباعدة من ولاية ديار بكر كانت على تماس مباشر بحكومة الموصل الشمالية. (٨٢) وما تبع هذه التأثيرات من علاقات اقتصادية ـ تجارية. اما ولاية البصرة فقد كانت مسيطرة على تجارة الخليج العربي بحكم علاقاتها المتميزة مع سواحله وجزره، ومضيق هرمز، (٨٣) مما جعل وارداتها منعمة وغزيرة.

لقد شغل حكم بغداد الوالي جغال زاده (٨٤) لفترة ما في اواخر القرن، وتعد هذه الشخصية العثمانية اللامعة في شرق الامبراطورية وعرضها، مدعاة لتساؤل المؤرخين عن المكانة التي كانت تحتلها بغداد في عاصمة الدولة، وتفكير بالاعادة، ولقد قدم هذا الوالي للعراق العديد من الاصلاحات والمشاريع الزراعية، والتقنية ـ النهرية. اما من الناحية السياسية فقد استطاع ان يرد على الحملات والفتن الايرانية، وذلك من خلال توجهه الى عربستان واحتلاله ديسفول، وما يحيطها من ربايا واقطاعات كانت ايران قد سيطرت عليها، فقدم مجهوداته الواضحة لها، واستطاع ان يمد بنفوذه المستمد من قلب العراق الى اماكن عديدة على الاطراف الشرقية من حدود العراق. (٨٥)

هكذا بدت المواصفات العثمانية للعراق، في بدايات القرن السادس عشر، بعد دخول العراق في عصره الحديث، تحت السيادة العثمانية، وهي البدايات التي توالد عنها الصراع العثماني ـ الايراني طويل الامد، ونشأ عنها تدريجياً الوضع

الجغرافي لدول المنطقة في التاريخ الحديث بين العراق وتركيا وايران، رغم ضياع هوية كل من اذربيجان وعربستان وغيرهما ضمن السيادة الايرانية.

٢ ـ ستراتيجية العراق بين الصراع المتواصل والاهداف الايرانية:

خلال ارتباط العراق بولاياته مع الباب العالي، الذي استمر طوال تاريخه الحديث باستثناء فترة السيطرة الايرانية الثانية عليه التي استمرت للفترة (١٦٢٣ ـ ١٦٣٨ م) [٨٦] كان يعد في فترات متباينة من القرنين السابع عشر والثامن عشر، جزءاً فعالاً وهاماً من اجزاء الامبراطورية العثمانية، نظراً للمكانة الجغرافية التي تمتع بها شرقاً، وتوسّع الاطماع الايرانية المزمنة فيه، ولعل طبيعة استراتيجيته قد قادتنا الى دراسة المجريات الاولى، وجذور ذلك الصراع بين الدولتين. واذا كان هذا الصراع العثماني ـ الايراني قد دام ما يقرب من اربعة قرون من حياة كل من الطرفين المتنازعين، وشغل العراق هذا الصراع بطوله، كساحة عمليات حرب واستنزاف ضد ايران، فان صراع العراق نفسه مع القوى الغازية يمتد في جذوره التاريخية الى اعماق سحيقة في التاريخ، استطاع العراق فيه ان يخرج منتصراً، ومستقطباً قوته وروحه، ومحافظاً على وحدته الجغرافية، سواء كان ذلك ايام ضعفه وتفككه، أو ايام عظمته ومجده، نظراً للميزات الاستراتيجية التي تتميز بها اراضيه، ومراكز التوطن فيه، ثم تحصيناته الطبيعية ـ الجبلية التي تمتد على طول حدوده الشرقية والشمالية.

لقد كانت ساحة العراق ومناطقه الهامة، ومراكز مدنه الكبيرة في خطوطها ومحاورها، هي ساحة الصراع الفعلية بين الدولتين الكبيرتين، ثم ما يتصل بالعراق من اقاليم في شماله وشماله الشرقي، وذلك اثناء السيطرة العثمانية عليه، اذ امتد خط المواجهة من الجنوب على الرسم التقريبي للمواقع: البصرة ـ دسفول ـ [٨٧] ثم نحو الشمال ـ همدان أو ـ بدران ـ جصان ـ [٨٨] كيلان ـ ساربولي* زهاب داخلاً في اقليم شهرزور ـ من اعمال البابانيين الاكراد ـ ثم خوي ـ ويدخل الخط في امتدادات الاراضي الاذربيجانية ـ ثم الاراضي الارمينية لنقطة تصل اريفان، العاصمة الارمينية. ويمتد عمق هذا الخط على امتدادات كبيرة للغرب منه في محور يصل: البصرة ـ بغداد ـ كركوك ـ اربيل ـ الموصل، ثم يدخل منها في عمق واضح في ولاية ديار بكر ويصل الى مواقع جغرافية من

ارضروم او: الموصل ـ ديار بكر ـ بتليس ـ وان. (٨٩) هذا هو تحديد ساحة الصراع العثماني ـ الايراني على وجه التقريب والاختصار، أو بمعنى جغرافي آخر تنحصر تلك الساحة بين تخوم الجبال العالية وامتدادات نهر دجلة الطويلة، ثم مناطق متعددة من الامتدادات الجنوبية لنهر الفرات، اذ جرى العديد من الوقائع التاريخية ذات العلاقة بين هذين النهرين الخالدين، وخلال الفترة التاريخية التي عنيت بطبيعة الصراع المذكور.

لقد كان العراق ومنافذه الشرقية ميداناً حقيقياً ـ كما تبين اعلاه ـ لذلك الصراع طويل الامد، والذي تمثّل تارة بغارات الحدود، أو الحرب المنظمة، أو حصار المدن العراقية الكبيرة، أو الحرب الاقتصادية التي تشمل الحصار التجاري، أو نهب المزارع والمدن والقرى والتجمعات البشرية، كما جرى ذلك في حوادث عديدة، ثم هناك ظاهرة التخريب المتعمّد لأماكن العبادة سواء كانت للمسلمين أو غير المسلمين، وسرقة ما فيها من الحاجات، ثم هناك استنزاف الطاقات البشرية في دفع الاسرى كشغيلة حرب ضد الخصوم من اهالي نفس البلد.. كذلك تتراءى للمؤرخ كم كان هو استغلال الموارد الاساسية في ضرب مصالح البلد الاقتصادية والبشرية، كقطع مياه الشرب عن ذلك البلد،.. ويبدو واضحاً، ان جميع هذه الاعمال قد قام بها الايرانيون، في حملاتهم وحروبهم ضد العثمانيين على ارض العراق، واضافة الى كل هذا وذلك ما كان من امر نقض المعاهدات السياسية العديدة، وبدء الحرب الباردة بين القوتين ضمن علاقات دبلوماسية محمومة ومتوترة. اما مسألة نقض المعاهدات، فان التاريخ والوثائق يسجلان معاً، نقضها من طرف واحد وهو ايران فكان الصراع يعيش مستفحلاً تارة، وراكداً تحت الرماد تارة أخرى، وتعيش المعاهدات بين مدّ وجزر في ظروف الحرب والسلم على حد سواء.

ويخلص بنا القول، انه اذا كانت السيطرة العثمانية الاولى على العراق هي من الاحداث الاساسية في مجريات القرن السادس عشر.. فان السيطرة العثمانية الثانية على يد السلطان مراد الرابع سنة ١٦٣٨ م، تعد من اساسيات مجريات القرن السابع عشر، ضمن حلقة الصراع، والذي بدا مستفحلاً بصورة اكبر، ومتوّجاً احتدامه المضرم، وقوته وشراهته من قبل الايرانيين على العراق ابان القرن

الثامن عشر، عندما قاد نادرشاه، ذلك الامبراطور الايراني الشرس، حملته الكبرى على العراق؛ مدمراً ما وسعه دمار العراق من خلال اجتياح جيوشه الجرارة، والتي انتشرت كالجراد على امتداد ساحة العراق بمئات الآلاف.. وافنائه الآلاف من الابرياء، وسلبه ونهبه للمدن والقرى في شمال العراق. لقد كاد ان يودي بحياة العراق، ويسيطر على جميع المسالك العراقية التي تربط الشرق بالغرب، ويهدد الامبراطورية العثمانية في عقر دارها ـ كما توصل الى ذلك المؤرخ البرفيسور اولسن OLSON ـ، [٩٠] وذلك من خلال حصاره العنيف المشهور للموصل سنة ١٧٤٣ م، [٩١] والتي استطاعت بطاقاتها وامكانياتها المحلية من دحره بأعجوبة ادهشت المؤرخين، وقد تمثل ذلك بصمودها البطولي بقيادة واليها الجليلي الحاج حسين باشا، تحت وابل الآلاف من القنابل التي اطلقتها مدافعه على المدينة، ومعارك السلالم والاسوار التي خاضها اهاليها ضد الفرس.. والتي توجت باندحار نادرشاه ورحيله عن ارض العراق مهزوماً، فخلص العراق من شروره.. في حين دقت الاجراس، وضربت المدافع اطلاقاتها في العاصمة استانبول، ابتهاجاً بذلك الانتصار، وارتاحت بغداد، عندما سمعت بأنبائه.

ان الدرس الذي يعلمنا اياه هذا البحث، هو تلك الاهداف التي كان الايرانيون قد وضعوها نصب اعينهم، بغرض تحقيقها مهما كلف الامر، من خلال صراعهم للسيطرة على العراق مع الدولة العثمانية. وكانت اعمالهم، ضمن الاهداف المرسومة تتأتى في اطارين اثنين:

١ ـ الاطار المذهبي لأيدولوجية الدولة.
٢ ـ الاطار الاستراتيجي في دوره الجغرافي ـ الاقتصادي (موضوع البحث).

ومن دراسة ذلك، تتوضح امام المؤرخ، الاهداف التي رسم لها ولتحقيقها شاهات ايران منذ حكم الشاه اسماعيل الصفوي (١٥٠٢ ـ ١٥٢٤ م)، حتى نادرشاه (١٧٣٦ ـ ١٧٤٧ م)، والذي رغم هزيمته بعد حصاره للموصل، الا ان حدة الصراع لم تنته من بعده، فقد بقيت ملتهبة تحت الرماد. وتتركز الاهداف على النحو التالي:

١ ـ تهديد المصالح العثمانية في بلاد الاناضول، وكرميا (القرم) والبحر الاسود من خلال السيطرة على شمال العراق، والتحكم بما لديه من مسالك، وخطوط الفقية، ومراكز مدن.

٢ ـ السيطرة على المسالك العمودية، البرية والنهرية، وأهم المدن الاستراتيجية ـ التجارية للعراق في كل من بغداد والموصل والبصرة.

٣ ـ قطع صلة الدولة العثمانية بالخليج العربي والبحر العربي والموانئ الهندية والافريقية، من خلال السيطرة على الخليج العربي، وقوى الملاحة العراقية.

٤ ـ السيطرة على العتبات المقدسة العراقية، وعلى خطوط سير الحجيج الى بيت الله الحرام.

٥ ـ تمثل السيطرة على العراق، الطريق كاملاً بالنسبة لسيطرتهم على المشرق العربي بأجمعه في الوصول من خلاله الى موانئ شرق البحر المتوسط، لكي يسهل عليهم تعاملهم التجاري مع اوربا، وخصوصاً مع الموانئ الايطالية، ثم تهديد المصالح العثمانية عبر البحار، وضرب ستراتيجيتها في اوربا الشرقية. ويعد هذا الهدف من اساسيات التفكير الايراني عبر مراحل الصراع الطويل.. فطموحهم الى تحقيقه قد نشأ منذ اندحار جيوشهم وامبراطورهم (داريوس) على يد الاسكندر المكدوني سنة ٣٣١ ق.م.، وذلك في معركة اربيل أو (اربيلا) الشهيرة، [٩٢] والتي تعد من الحروب الفاصلة في العصر الامبراطوري القديم. ولم يتحقق هذا الهدف حتى اليوم.

ـ هوامـش وتعليقـات ـ

١ ـ حكم البارانيون التركمان، (دولة الخروف الاسود) للفترة ١٤١٠ ـ ١٤٦٨ م.
٢ ـ حكم البايندريون التركمان، (دولة الخروف الابيض) للفترة ١٤٦٨ ـ ١٥٠٨ م.
٣ ـ اسكندر بيك منشى التركمان، عالم اراى عباسي (مخطوط بالفارسية، خصّه مؤلفه للشاه عبـاس الاول، المكتبـة الـوطنيـة بباريس، رقـم (Supp. 1348)، اوراق (36 a—36 b). انظر كذلك: دكتر عبدالحسين نوائي، شاه اسمعيل صفوي، اسناد ومكاتبات تاريخي هراة، باياد داشتهاى تفضيلى، جاب شد ١٣٦٧ هـ.
4 — Ibid.
٥ ـ عالم اراى...، ورقة (37 a).
6 — W.R. Hay; Tow Years in Kurdistan, London 1921, Chapter II, "Geographical..", PP. 13—62. also see, Le Strange; The Lands of the Eastern Caliphate, London 1905; "Chapter of Al—Jazira". and see, The Geographical Journal; vol. 118, Part 1, March 1952, PP. 25—28.
7 — R. Savory; Iran under the Safavids, Cambridge 1980, P. 35.
٨ ـ عالم اراى...، ورقة (37 a).
٩ ـ محمد امين الخطيب، العمري، منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق، سعيد الديوه جي، جـ ١، الموصل ١٩٦٧، ص ١٣٣. وانظر كذلك:
S.H. Longrigg; Four centuries of Modern Iraq, Oxford 1925, P. 16—19.
١٠ ـ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، جـ ٣، ط ١، ١٩٣٩، ص ٣٥٦.
11 — Robert Mantran; "Baghdad a epoque Ottoman," ARABICA, Special vol., 1962, P. 313.
12 — Halil Inalcik; "The Ottoman Economic Mind and Aspect of the Ottoman Economy", Studies in the Economic History of the Middle East; ed. M.A. Cook, London 1970, P. 213.
13 — Ibid.; also see, A.H. Lybyer; "The Ottoman Turks and the Routes of Oriental Trade", English Historical Review, 1915. (انظر الملحق رقم ٢)
14 — Longrigg; op. cit., P. 3. also see, "The Strategic Importance of Mosul" in: R.W. Olson; The Siege of Mosul and Otto-

man—Persian Relations 1718—1743, Indiana 1975, PP. 11—12.
15 — D.F. Lach; Asia in the Making of Europe, Vol. 1., "The Centary of Discovary", London 1955, P. 107.
١٦ ـ راجع (مقالة ايران)، في الانسكلوبيديا الايطالية:
Enciclopedia Italiana; Di s. M. IL RE D' ITALIIA, Rome, 1933, MCM XXXIII—XI, PP. 523—528.
17 — Lord Kinross; The Ottoman Centurries, The Rise and Fall of the Turkish Empire, London 1977, P. 167.
18 — W. Muir; The Mameluke, or Sllave Dynasty of Egypt (1260—1571), Amsterdam 1968, P. 196.
19 — W.E.D. Allen; Problems of Turkish Power in the sixteenth century, London 1963, P. 12.
20 — The Encyclopaedia of Islam, 2nd. ed. vol. 1, 1960, PP. 1119-1121.
وانظر كذلك الانسكلوبيديا التركية (مقالة بايزيد الثاني):
Islam Ansiklopedisi; Turkish ed. in progress, Istanbul, vol. 2, PP. 392—393.
21 — D.E. Pitcher; An Historical Geography of the Ottoman Empire from earliest times to the end of the sixteenth century, Leiden—Brill 1972, PP. 101—102.
22 — Islam Ansiklopedisi; op. cit., vol. 2, P. 392.
23 — Tveritionva; Kniga Zakonov Sultana Selima I, Moskva 1969, P. 81.
24 — The Encyclopaedia of Islam, 1st ed. vol. (مقالة سليم الاول) , **IV., PP. 214—217.**
25 — Longrigg; op. cit., P. 18.
26 — Ibid.
27 — A.J. Toynbee; A Study of History, No. 20, vol. 1., Oxford 1934, PP. 385—6.
28 — Tveritionva; op. cit., P. 86.
٢٩ ـ عن تفاصيل هذه الحرب الاستراتيجية. انظر مادة (جالديران) في الانسكلوبيديا الاسلامية:
The Encyclopaedia of Islam, 2nd. ed. vol. II, 1965, PP. 7—8.

30 — Pitcher; op. cit., P. 102.

٣١ ـ راجع عن حرب جالديران من وجهة النظر الايرانية كتاب:
نصر الله فلسفي، جنك جالديران، جاب دنشكاه، طهران ١٣٣٢ هـ.

32 — Longrigg; op. cit., P. 20. also see, (64 b) عالم اراى. . ، ورقة

٣٣ ـ عن الظروف الصعبة التي واجهت السلطان سليم الاول بعد حرب جالديران انظر:
Tveritionva; op. cit., P. 87. also see, Yusuf Kenan; Yavus Sultan Selim ve ittihad—islam siyaseti, Istanbul, P. 86, 88.

34 — Islam Ansiklopedisi; op. cit., vol. 3, PP. 8—10.

٣٥ ـ راجع بتوسع عن السلطان محمد الفاتح وعصره:
Franz Babinger; Mehmed The Conqueror and his Time, Ed. by W.C. Hickman, Princeton Univ. 1978. (كتاب مهم ولكنه غير اساسي بالنسبة لموضوعنا).

36 — Von Hammer Purgstall; Geschichte der Osmanischen Reiches, Band 2, (1453—1520), Wien 1828, P. 419.

٣٧ ـ استقيت هذه المعلومات عن مخطوطة المؤرخ الموصلي ياسين افندي الخطيب العمري: (الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون)، نسخة المكتبة الوطنية بباريس، والمرقمة (٤٩٤٩ ـ عربيات)، ورقة (204 a). وراجع عن الامارة القادرية في:
Islam Ansiklopedisi; 3 cilt, Istanbul 1945, PP. 662—668.

٣٨ ـ سعدالدين خوجه، تاج التواريخ، المطبوع في اسطنبول بجزئين ١٨٦٢ ـ ١٨٦٣، جـ ٢، ص ٣٢١ ـ ٣٢٢. (الكتاب من التواريخ التركية القديمة).

39 — Ibid.; also see, Hammer; op. cit., Band 2, P. 430. and, Islam Ansiklopedisi, 10 cilt, P. 432.

40 — Allen; op. cit., P. 12.

٤١ ـ انظر مقالتي: (دراسة في السيطرة العثمانية على الموصل واقليم الجزيرة سنة ١٥١٦ م، وبدايات الصراع العثماني ـ الايراني «الصفوي» في عهد السلطان سليم الاول)، في قسمها الثاني المنشور بمجلة بين النهرين، المجلد الثامن، العدد (٣١)، سنة ١٩٨٠ م، ص ٣٢٧.

٤٢ ـ عن تفاصيل (الارتداد الايراني)، راجع مقالتي المذكورة اعلاه، ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

٤٣ ـ نفس المصدر، ص ٣٢٩.

٤٤ ـ عن تفاصيل (معركة كاركينديد) الفاصلة، انظر: نفس المرجع، ص ٣٣٣، ولقد استفدت في معلوماتي عنها من المؤرخ التركي سعدالدين خوجه، والمؤرخ النمساوي فون هامر بورجشتال. راجع:
Hammer; op. cit., vol. 2, p. 431.

٤٥ ـ عن الموقع الجغرافي لـ (كاركينديد)، انظر:
Pitcher; op. cit., Map No. (XX) in 1—B.

٤٦ ـ عن تقسيمات المدن والقلاع الساقطة في المجال العثماني، انظر في مقالتي اعلاه ص ٣٣٣.

٤٧ ـ راجع مقالة المستشرق الانكليزي (Holt)، عن السيطرة العثمانية للعراق، ضمن مادة IRAK وذلك في الانسكلوبيديا الاسلامية، الطبعة الحديثة:

The Encyclopaedia of Islam; 2nd ed., P.M. Holt; Ottoman Period, vol. E. VI, London 1971, P. 1257. also, S. Lamouche; Histoire de la Turquie, Paris 1934, P. 81.

48 — Pitcher; op. cit., P. 103.

بهذا الصدد، انظر كذلك لما اشار اليه المؤرخ العراقي عباس العزاوي، من ان سنجار وتلعفر وبادية الجزيرة حتى عانه وحديثه وهيت، قد دخلت جميعها المجال العثماني. راجع كتابه المذكور سلفا، جـ٣، ص ٣٥٦. ومن الجدير بالذكر، أن العزاوي قد جعل دائرة هذه الاحداث، ضمن مجريات سنة ١٥١٥ م. في الوقت الذي جاء انضمام هذه الاصقاع العراقية بعد مايس ١٥١٦ م.

49 — **Pitcher; op. cit., P. 103.**

50 — Ibid.;

لاحظ الفروق الاساسية بين المناطق المكتسبة، والمناطق التابعة في استراتيجية المنطقة من شمال وشمال غرب العراق، واهمية المناطق النهرية.

٥١ ـ انظر، موضوع: (تنظيم الادارة الاهلية في ظل السيطرة العثمانية)، في القسم الثاني من مقالتي المذكورة اعلاه. . المعلومات التاريخية في الاصل عند فون هامر، وسعدالدين خوجه.

٥٢ ـ عن نصوص مواثيق المعاهدة، نفس المرجع، ص ٣٤٠.

٥٣ ـ عن هذه الميزات الجغرافية، انظر:

Marsh; The Tenessean in Persia and Kurdistan, Philadelphia 1869, P. 36.

54 — R.B. Merriman; Suleiman The Magnificent, (1520—1566), Harvard 1944, P. 24.

55 — Stanford Shaw; History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, vol. I., Cambridge 1976, P. 95, in (Conquest of Mesopotamia).

56 — Ibid., PP. 93—94, in (The Third Hungarian Expedition).

57 — Hammer, op. cit., vol. 3, P 143.

وقد نقل عنه المؤرخ س. هـ. لونكريك، في حديثه عن سليمان القانوني. انظر

Longrigg; op. cit., P. 21.

58 — Ibid.
59 — Ibid.
60 — S. Shaw; op. cit., vol. 1., P. 95.
61 — Longrigg; op. cit., PP. 20—21. (نقلاً عن روايات كولشن وفريدون)
62 — Ibid.
63 — Verancsics ve Katona 'don naklen Lefaivre; Les Magyars Pendant la domination Ottoman en Hongrie 1526—1722, Paris 1902, S. b3 v. dd.
64 — S. Shaw; op. cit., vol. l., P. 92, in (Revolts in Anatolia).
65 — Islam Ansiklopedisi; III CUZ, Istanbul 1967, (Irakeyn Seferi 1534—1535), PP. 116—118.
66 — Ibid.
67 — Pitcher; op. cit., P. 111.
ولقد ورد ذلك عند المؤرخ لونكريك، ولكنه اخطأ عند ذكره ان السلطان سليمان القانوني قد عبر في خطه الحربي نحو بغداد بمدينة (السليمانية) والصحيح هي مدينة (سلطانية) الايرانية SULTANIYE، انظر: Longrigg; op. cit., P. 22. ومن الجدير بالذكر، ان هذا الخطأ قد ورد نفسه في ترجمة الاستاذ جعفر خياط لكتاب لونكريك نفسه، الموسوم بالعربية: (اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث)، بغداد ١٩٥٢، ص ٢٢. ولقد فات ذلك ايضاً على الدكتور مصطفى جواد الذي راجع وعلق على ترجمة الاستاذ خياط.
68 — Hammer; op. cit., vol. 3, P. 144.
٦٩ ـ راجع خط سير السلطان سليمان القانوني الحربي نحو بغداد عند PITCHER في خريطته المرقمة (XXX II)، اذ جاء الخط على التوالي بعد دخوله الاراضي الايرانية: خوى ـ ماراند ـ صوفيان ـ تبريز ـ ميان ـ زانجان ـ سلطانية (ويذهب الخط في عمق واضح في الاراضي الايرانية، ولكنه يميل متخذاً له اتجاهاً منحرفاً نحو بغداد فيصل الى) ـ دركزين ـ شمال همدان ـ كرمنشاه (التي يدخل بعدها بقليل الحدود العراقية لولاية بغداد ويصل) ـ كرند ـ جنوب زهاب ـ قصر شيرين ـ خانقين ـ بغداد.
70 — Hammer; op. cit., vol. 3, P. 154.
71 — Ibid.; also, Longrigg; op. cit., P. 23.
وقد ذكر ذلك المؤرخ ياسين الخطيب العمري في مخطوطته: (الدر المكنون ..)، ورقة (211 a).
٧٢ ـ نفس المخطوط، ورقة (211 a).
73 — Hammer; op. cit., vol. 3, P. 157.

٧٤ ـ انظر تفاصيل ذلك في مصادر متنوعة من ضمنها: كولشن خلفا، والعزاوي وهامر ولونكريك وياسين العمري ودونالد بيجر الذي يذكر: بأن سليمان القانوني قد زار العتبات المقدسة في كربلاء والنجف الاشرف وبغداد قبيل أن يبدأ رحلته راجعاً في خط يمتد عبر كردستان، وقد قضى شهراً قرب اربيل، ثم عبر جبال زاكروس الى طرابزون. انظر: Pitcher; op. cit., P. 111.

75 — Halil Inalcik; The Ottoman Empire, Conquest, Organization and Economy, (Collected Studies)—artical No. (VII), titled: "Suleiman The Lowgiver and Ottoman Low", London 1978, PP. 134—135.

٧٦ ـ لقد دخل جنوب العراق في المجال العثماني بسهولة، فلقد الحقت البصرة وتبعتها منطقة الاهوار والحويزة، ثم امتدت المناطق اكثر تباعداً لنقاط تصل القطيف والبحرين ومضيق هرمز. عن لونكريك، نقلاً عما كتبه (Knolles).

٧٧ ـ دكتر عبدالحسين نوائي، شاه طهماسب صفوى، ايران ١٣٥٠، ص ٦١.

78 — V.J. Parry; A History of The Ottoman Empire to 1730, Cambridge 1976, P. 85, in his artical: "The Reign of Sulaiman the Magnificent 1520—66".

علماً بأن المؤرخ بيجر يورد قائلاً بأن فترة بقاء السلطان سليمان القانوني في العراق تمتد للفترة بين (١٥٣٤/١٢/٣٠ ـ ١٥٣٥/٥/٣١)، انظر:

Pitcher; op. cit., P. 111.

79 — R. Mantran; L'Empire Ottoman et le Commerce A siatique, Paris, P. 78.

80 — Hammer; op. cit., vol. 3, P. 159.

81 — H. Inalcik; The Ottoman Empire.., VII/ P. 135.

82 — Longrigg; op. cit., P. 39, in his Chap.: "The Fringes".

83 — Gazetteer of LORIMER; I, (Historical Part), I B, Holland 1970, P. 1181.

٨٤ ـ هكذا تدعوه التواريخ العثمانية والمحلية، اما التواريخ الاوربية فتكتب هذا الاسم (SOKULLU)، وقد ذكرته (سالنامه الموصل) بأنه قد حكم الموصل عدة أشهر، اما محمد امين الخطيب العمري فيدعوه بسنان باشا وينوّه عنه بأنه غير سنان باشا فاتح اليمن. انظر: سالنامه الموصل، ١٣١٠ هـ، ص ٦٠. وانظر محمد امين الخطيب العمري، المصدر السابق، جـ ١، ص ١٣٥. وهو غير محمد باشا سوكولا الوزير الاعظم.

85 — Longrigg; op. cit., P. 34.

٨٦ ـ جاءت السيطرة الايرانية الثانية على العراق سنة ١٦٢٣ م، في اعقاب الاحداث الدراماتيكية التي اهبها بكر الصوباشي، الذي نصب نفسه واليا على بغداد، وفتح ابواب العراق امام الفرس اثناء حصارها من قبل الوزير العثماني حافظ احمد باشا. لقد بقي العراق تحت حكم السيطرة الفارسية حتى تجرد السلطان مراد الرابع لفتحه في حملته الشهيرة سنة ١٦٣٨ م، ويعد الفتح الثاني هذا من ابرز الحوادث في صدر تاريخ العراق الحديث، انظر: Hammer; op. cit., vol. V, P. 252. also see, Lorimer; op. cit., part I B, PP. 1183—1185. (ومصادر متعددة اخرى)

87 — See, Le Strange and Longrigg.

٨٨ ـ ذكرهما المؤرخ ياسين الخطيب العمري، كمواقع تعرضت دائماً لغارات الحدود. في اوراق متعددة من مخطوطته المذكورة سابقاً.

٨٩ ـ في تحديد المناطق الجغرافية، راجع الكتاب الجغرافي الموسع:

J.M. Kinneir; A Geographical momoir of the Persian Empire, London 1813, in his Chapters: (IRAK, ARDELAN, LARISTAN, KURDISTAN, AZERBIJAN..).

لقد ذكر المؤرخ لونكريك هذا الكتاب، ضمن قائمته لمصادره، ولكنه اخطأ في عنوان الكتاب اذ سماه: (Geological memoir of the...) انظر: Longrigg; op. cit., P. 336. وقد ترجم نفس الخطأ في النسخة العربية للكتاب من قبل الاستاذ خياط. راجع: (اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث)، ورد ذكره، ص ٣٤٣.

90 — R.W. Olson; op. cit., in his "Conclusion", PP. 185—199.

يعتبر كتاب البروفيسور (اولسن)، المشار اليه سابقاً من ارقى الدراسات الاكاديمية التي بحثت العلاقات العثمانية ـ الايرانية خلال القرن الثامن عشر، كما ويحوي الكتاب على تحليلات تاريخية جديدة في التاريخ العثماني وحصار الموصل سنة ١٧٤٣ م.

٩١ ـ ولابد من الاشارة بصدد هذا الموضوع الى دراسة كل من: د. عماد عبدالسلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، (فترة الحكم المحلي)، النجف ١٩٧٥ م، وهي اطروحة ماجستير.

كذلك دراسة المؤرخ د. برسي كيمب، وعنوانها: Percy Kemp; Mosul and Mosuli Historians of The Jalili era (1726—1834).

وهي اطروحة دكتوراه عن جامعة اكسفورد، سنة ١٩٨٠ م (Oxford Bodilian Library).

ولابد ان اشير الى اطروحة د. علاء نورس: العراق في العهد العثماني، دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠ ـ ١٨٠٠ م، بغداد، ١٩٧٩.

الفصـل الثـاني

مقدمـات حصـار الموصـل:
(صفحات في تاريخ تطور العلاقات السياسية للعراق الحديث)

٩٧ ـ لمن يرغب بالاطلاع والتوسع عن هذه المعركة وتفاصيلها في العصور الاغريقية لما قبل الميلاد. انظر ما كتبه المؤرخ اريان (اكزانافون) عنها:

ARRIAN; The Campaigns of Alexander, Tran. by Aubrey De Selincourt, Introduction and Notes by J.R. Hamilton, Reprinted in Britain 1978.

(غير اساسي لموضوع هذا الفصل).

الاسبقيات التاريخية والاقتصادية لعراق القرن السابع عشر

١ ـ السيطرة العثمانية الثانية على العراق وآثارها التاريخية:

مضى على الحكم العثماني للعراق بعد السيطرة عليه من قبل السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٣٤ م، ما يقرب من تسعين عاماً حين اجتاز الشاه عباس الاول الامبراطور الصفوي الخامس لايران، مع جيوشه حدود العراق، فسيطر على بغداد سنة ١٦٢٣ م، وذلك بعد الاحداث الدراماتيكية التي مررها تمرد بكر الصوباشي على العثمانيين [١] وانبث الفرس على ارض العراق، اذ وجّه الشاه حملة من لدنه تحت قيادة قرج اغاي خان الى كركوك التي استسلمت دون مقاومة تذكر اثر هروب واليها التركي بستان باشا الى ديار بكر [٢]. . . اما الموصل، فلقد حاصرها الفرس فترة طويلة، ولم تستسلم لهم الا بعد ان ارسل الشاه عباس مضطراً جيشاً تقدم في حركته من ايران نفسها وفي خط مباشر الى الموصل، تحت قيادة قاسم خان الذي شدد حصاره عليها، [٣] ومارس حرباً اقتصادية شعواء، في ضربه طوقاً حديدياً على موارد واحتياجات البلد، مما اضطر القيادة التركية للولاية ان تخضع امام ذلك الحصار المهلك [٤]. . فدخل الجيش الايراني، مركز المدينة وقتل المئات من اهلها، واعدم واليها التركي، ومارس شتى ضروب النهب للاموال وسلب المتاجر، ثم منح قاسم خان الامان للسكان، [٥] بعد ان ترك له الشاه عباس حكم الموصل، فاستقر فيها [٦]. . لقد استمر حكم السيطرة الفارسية الثانية على الموصل ثلاثة اعوام فقط، حتى استردها العثمانيون سنة ١٦٢٦ م، دون مقاومة تذكر، وذلك من خلال تعاونهم مع سكانها [٧]. . في حين استمر حكم السيطرة الفارسية الثانية على بغداد حتى سنة ١٦٣٨ م عندما تجرد السلطان العثماني مراد الرابع الذي حكم للفترة ١٦٢٣ ـ ١٦٤٠ م للسيطرة عليها ثانية، بعد مروره بالموصل وتوقفه فيها، [٨] ثم وصل بغداد التي كانت تئن تحت وطأة الحكم الفارسي، فضرب حصاره الشديد حولها لمدة اربعين يوماً ثم فجّر اسوارها ودخلها عنوة، فقتل من الاعجام عشرين الفاً، ثم امّن احتياجاتها الاقتصادية، واصلح معابدها المقدسة، وبنى اسوارها، ثم ابتنى قوتها العسكرية، وعين عليها الوزراء والانكشارية. . ثم رجع هذا السلطان الى عاصمة بلاده. [٩]

ولم يمض على سيطرته للعراق الاّ سنة واحدة، عاني خلالها من مرض اودى بحياته في ١٦ شوال ١٠٤٩ هـ/ ٨ شباط ١٦٤٠ م. وتعد السيطرة العثمانية الثانية للعراق من ابرز اعمال هذا السلطان، كما ويعتبر من ابرز حوادث العراق في صدر تاريخه الحديث، وعلى المؤرخ ان يذكّر مستطرداً بأن القدر قد اسعف العراق اجمعه في هذه المرحلة الشاذة من خلال السلطان مراد الرابع الذي ادار اهتماماته نحوه، فلو كان مصوباً ذلك الى غيره من اجزاء امبراطوريته الشاسعة، أو انه انحسر لاهياً في قصره كغيره من السلاطين، أومات قبيل ان يخلص العراق من الهيمنة الفارسية عليه، لتغير وجه تاريخ العراق وبصورة بشعة، لا يدرك قيمتها أو يحس أثرها الاّ من توغل في دراسة التاريخ الانثروبولوجي للعراق، ولمنطقة الشرق الادنى بصورة عامة.

٢ ـ الروابط الاقتصادية وتوظيفاتها:

بعد موت السلطان مراد الرابع، بدت العلاقات السياسية بين العثمانيين والفرس اقرب الى الالتئام الخافت، والجيرة الدوبلوماسية المشوبة بالحذر لمدة طويلة.... اما بالنسبة للعراق، فلقد كان من نتائج السيطرة العثمانية الثانية عليه هو استقطاب الموصل للدور الاقتصادي ـ العسكري باعتبارها مركز اتصالات العراق بعاصمة الامبراطورية، ونظراً لمكانتها الرأسية وعلاقاتها باقاليم الاناضول والشام.. وبرزت وبصورة قوية ومضطردة تلك العلاقات الاقتصادية التي تحكم شريان العراق ومواطنه السكانية على امتداد رقعته الجغرافية الحيوية وعلى نحو جديد. لقد برّز القرن السابع عشر كلا من الموصل وبغداد في النواحي الادارية والعسكرية والاقتصادية، كونهما توأماً استرد حياته لأب تاريخي وجغرافي عريق اسمه العراق، رغم حكم السيطرة العثمانية التي خدمته من ناحية ايدلوجية وتاريخية في تخليصه من امتدادات ايران الصفوية.

يسجل الشريط التاريخي لعراق القرن السابع عشر ذلك الاطراد في علاقات الموصل ببغداد، رغم الآفات والكوارث الاقتصادية التي حاقت بشمال العراق، في سهوله ومدنه خلال تلك الحقبة.. ثم نكبات الطاعون التي حلّت بالموصل على امتداد القرن المذكور، وخلال السنوات الآتية: ١٦٢٥ م/ ١٠٣٥ هـ، [١٠] ثم عاد الطاعون غازياً سنة ١٦٤٣ م/ ١٠٥٣ هـ، [١١] ثم في سنة ١٦٥٠ م/ ١٠٦١ هـ، [١٢] ثم اطبق وبصورة خطيرة سنة ١٦٧٣ م/ ١٠٨٤ هـ، [١٣] وحل

ايضاً سنة ١٧٠٢ م/ ١١١٤ هـ، ورغم كل هذا وذاك من عوامل الضعف والقهر الطبيعين وآثارهما في حركة التاريخ السكاني والاقتصادي لأي بلد، الاّ ان المركز الاستراتيجي للموصل بقي ثابتاً، بل ولعبت قاعدته العسكرية ـ الاقتصادية دوراً فعالاً لحماية بغداد ضد ما يهددها من اخطار ايرانية مستفحلة، وخزينا احتياطياً للمواد الغذائية في اوقات مختلفة وعلى الاخص مطاليبها من الحبوب وذلك عبر الخط الملاحي النهري لنهر دجلة [١٤]. . اضافة الى كونها محطة الارساء العسكري بن بغداد والدولة وبالعكس في تموين العدة والعدد وخصوصاً المارة بها الى بغداد، [١٥] أو ان يكون التموين من امكانيات ولاية الموصل المحلية ذاتها، في مشاركتها بضرب التحرشات الخارجية، أو مساعدتها في اطفاء الفتن الداخلية، بما يحدث في اطرافها من العصيان. . . وقد تمثل كل ذلك عبر السنوات التي مرت بها بغداد الام والاطراف، من غزوات فارسية، أو مشاكل ادارية، أو انقسامات داخلية، أو اخطار قبلية. . وقد جاء كل ذلك نتيجة للتركيبة المتباينة التي حكمت طبيعة المجتمع العراقي التي ترافقت مع خط حكم السيطرة الاجنبية على العراق منذ الغزو المغولي، وتضاعيف العصور الوسيطة ثم القرون الحديثة. ولنا ان نذكر بأن الموصل قد وظفت طاقاتها نحو بغداد خلال القرن السابع عشر، على السنوات التالية: سنة ١٦٣٨ م/ ١٠٤٨ هـ، اذ قدمت خدماتها في استرجاع بغداد من ايدي الايرانيين. [١٦] وفي سنة ١٦٦٥ م/ ١٠٧٦ هـ، جردت حملة كبيرة لمشاركة بغداد في القضاء على عصيان حكومة افراسياب بالبصرة. ثم عززت امكانيات بغداد سنة ١٦٦٧ م/ ١٠٧٨ هـ، ثم ما قدمته من مساعدات وتوظيفات في سنة ١٦٩٢ م/ ١١٠٤ هـ. ولقد شاركت قوات الموصل مع قوات اضافية من اطرافها ـ ديار بكر والعمادية ـ في اخماد العصيان المسلح جنوبي العراق سنة ١٧٠١ م/ ١١١٣ هـ. وانظمت قوات عديدة من ولاية الموصل في الحملة المشتركة التي قادها والي بغداد لإسترجاع البصرة ١٧٠٧ م/ ١١٩ هـ. لقد كان كل ذلك صورة اقرب للوضوح حسبما وفرته المعلومات التاريخية الرئيسية عن طبيعة العلاقات ذات الاهتمام في هذا المجال على نحو من التركيز والايجاز. [١٧]

ستراتيجية الموصل الجغرافية والاقتصادية والبشرية

لعل المرء يتساءل باحثاً عن الصفات والاسس التي تميزت بها الموصل مركزاً وولاية ولواحق على النحو الذي تبين اعلاه في طبيعة العلاقات، التي حكمت وثاق بلاد ما بين النهرين. تعتبر رقعة شمال العراق ذات استراتيجية قوية عبر القرون في تحكمها بتجارة العالم من خلال قاعدة الموصل، النافذة التي تربط الشرق بالغرب، التي تجتمع بها المسالك الافقية [١٨] التي تمتد بين الجبال الشرقية - زاكروس - والبحر المتوسط، ثم المسالك العمودية التي تصل اناضوليا بالمحيط الهندي عبر خط بغداد - البصرة - الخليج العربي. لقد بقيت هذه النافذة مفتوحة منذ فجر التاريخ حتى فتح قناة السويس في سنة ١٨٦٩ م، حين تحولت عنها الطرق التجارية، وكاد ينعدم تحكمها بالمسالك الافقية، فتأخرت تجارتها، في حين ان سيطرتها على المسلك العمودي لم يزل قائماً حتى اليوم في تخطيطه ووقفاته براً. [١٩] وقد انكفأ اثره وانعدم فعله نهراً.

من الاهمية بمكان ان نمهد في الصفات الطبوكرافية للمنطقة قبل تحليل ابعاد تطور العلاقات السياسية والحصار، نظراً لما لذلك من عوامل غير مباشرة في استعداءات ايران المزمنة للمنطقة ضمن اطار الصراع التاريخي ابان تلك المرحلة بين العثمانيين والفرس.

١ - تتصف المنطقة، كونها من البقاع النهرية النادرة التي تجري فيها انهار كبيرة، وثابتة على امتداد السنة [٢٠]. . وتتوزعها السهول الخصيبة، أو الاراضي المتموجة والاحراش فهي حلقة وصل طويلة بين براري بادية الشام وجبال العراق العالية ولقد تميز موقع الموصل كونه غرب دجلة وليس شرقه، اذ خدمها هذا المانع المائي القاهر في تاريخها الجغرافي والاقتصادي افقياً.

٢ - جمعت الموصل بين كلتا يديها استراتيجية كل من المسلكين البريين العراقيين العموديين اللذين يربطانها ببغداد وجنوب العراق عبر التاريخ وهما:

١ - المسلك البري شرقي نهر دجلة الذي يسمى (طريق شهرزور القديم) [٢١] والذي يربط المراكز التالية: بغداد - خالص - طوز - كركوك - اربيل - السلامية - نينوى - الموصل. يعد هذا الخط البري ذا اهمية كبيرة عبر

امتداد تاريخ العراق، وكان مسلكاً حيوياً من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية خلال القرون الثلاثة: القرن السادس عشر، السابع عشر والثامن عشر. (انظر ملحق رقم ٢).

٢ ـ المسلك البري غربي نهر دجلة (٢٢) الذي يربط بصورة مستقيمة المراكز التالية: بغداد ـ تكريت ـ وهدة الخانوكة ـ القيارة ـ حمام العليل ـ الموصل. وقد ازدادت اهمية هذا المسلك خلال القرنين الاخيرين. (الملحق نفسه اعلاه).

٣ ـ سيطرة الموصل على الملاحة النهرية في حوض نهر دجلة، شمالاً حتى نقطة ديار بكر، وجنوباً حتى تكريت (اي حتى الحدود القديمة لولاية الموصل)، (٢٣) ثم نزولاً الى بغداد. ويعتبر هذا المسلك النهري شريان العراق الازلي، وكان له دوره العظيم من الناحية الاقتصادية ـ التجارية، وفي خط نازل واحد عبر العوامات (٢٤) المتكاثرة التي تتقادم مع سرعة وحركة تيار النهر.

وفي هذا المجال، استطيع ان اثبّت بالاعتماد على رحلة الرحالة الانكليزي (جون اشر)، (٢٥) اهم نقاط ومراكز خط شريان دجلة ابتداءً من الموصل ونزولاً حتى نقطة بغداد على الوجه التالي:

.... الموصل (المركز الاستراتيجي الاقتصادي القوي) ـ حمام العليل (الينبوع المائي الكبريتي القديم) ـ اطلال النمرود الاشورية ـ سكر اسماعيل. قلعة الشرقاط العربية ـ مصب نهر الزاب الصغير في دجلة والمحفوف بغابة وعواسج كثيفة ـ تكريت (المدينة وقلعتها التاريخية القديمة) ـ قرية الدور في شرق النهر ـ مصب النهروان بدجلة ـ اسكي بغداد (المنطقة القديمة) ـ اطلال قصر العاشق ـ سامراء (عاصمة المعتصم العباسية في شرق النهر) ـ الكاظمية المقدسة ـ بغداد (مركز العراق وعاصمته العريقة).

٤ ـ تعتبر الموصل خزين اقتصاديات المنطقة عموماً، فكثيراً ما كانت الظروف السيئة للمحاصيل الزراعية في توابع المنطقة ولواحقها تؤثر في مركز المدينة وحركته التجارية، واحواله السكانية، رغم علاقاته الاقتصادية المضطردة والمؤثرة على اطرافه من اقاليم الولاية في امتدادات الجبال الكردستانية واقليم الجزيرة. ومن اهم مواصفات البنى الانثربولوجية لمركز الموصل انه، غني بتوابعه من القرى والمستوطنات والضياع، (٢٦) وعلى الاخص تلك المناطق التي تنحصر بين الجبال العالية والحوافي الغربية لنهر دجلة والتي تـزعها

السهول الخصبة واهمها كل من سهل اربيل وسهل الموصل، اضافة الى ان المنطقة غنية برساتيقها ومراعيها. (٢٧)

٥ ـ تعتبر ولاية الموصل ذا كثافة سكانية في مركزها وتوابعه من القرى والمدن الصغيرة والارياف والاديرة والحصون والنواحي، وتنتشر جميعها في رقعة شرق نهر دجلة، وعلى امتدادات مختلفة منه، ويتوزع البعض في غربه. . اذ تزداد الكثافة السكانية في هذه الرقعة من شرق النهر بصورة اكبر عنه لما هو عليه الحال في الرقعة الغربية التي تمتد منها بادية الجزيرة بين النهرين دجلة والفرات لتتصل ببادية الشام. . اذ تعتبر هذه الرقعة المترامية ذات افق مفتوح لا تتحدد بحدود، ولا تتماشى بضوابط طبيعية مستقرة ما خلا منطقة جبل سنجار الحاد الذي لا يشكل مفصلاً جغرافياً عمودياً بل يتميز بالافقية وكنتوء منفرد غير متسلسل. وهكذا فعدا هذه المنطقة ومنطقة المسلك التجاري القديم في خط: الموصل ـ تلعفر ـ سنجار ـ دير الزور ـ الرقه ـ حلب، فان المناطق الشاسعة من براري الباديتين قلما عرفت الاستيطان السكاني المأهول لتلكم القبائل الرحل في رحلات مكوكية محددة أو متفرقة بينها وبين براري نجد والدهناء المفتوحة. في حين كانت رقعة شمال ـ شرق النهر دجلة مناطق ذات مراكز متوطنة ومأهولة بالسكان منذ آلاف السنين، وقد اندثر العديد من هذه المراكز خلال ظروف تاريخية عصيبة ومتغايرة. (٢٨)

مــن هــو نادرشــاه؟

١ ـ حياته الاولى:

ولـد نـادرشـاه في خـراسـان في ٢٢ اكتـوبـر ١٦٨٨ م/ ٢٨ محـرم ١١٠٠ هـ، (٢٩) وفي عائلة رعوية، وكان ابوه (قولي) مملوكاً ذليلاً ومنتمياً لقبيلة كيركلو **Kirklu** المنحدرة من قبيلة الافشار القوية والشهيرة. (٣٠) ونشأ نادر في بيت تملؤه قسوة الحياة، فقد كان في صباه راعياً متشرداً في الفلوات، ثم اصبح قاطع طريق، وكان يعود الى بيته احياناً ليشارك في صنع المعاطف من جلود الاغنام. (٣١)

كان كل من ابيه وامه رحّلا نزّلا بين المرتفعات صيفاً الى الاماكن المنخفضة شتاءً، وقد نزلت قبيلته قرب محمد آباد التي تعرف اليوم بأسم **Kaia Kuhna** وتلعب الصدف دوراً بأن يولد نادر قولي فيها، وان تحدد هذه المدينة مستقبله المضمخ بالدماء القانية. فعندما مات والده كان نادر في الثامنة عشرة من العمر، وبعد اربع سنوات ماتت امه، فعاد الى خراسان، ودخل خادماً في طاعة بابا علي بك احمد الله افشار حاكم ابي ورد **Abi vard** عاصمة الاقليم. (٣٢)

ومن هنا بدأ نادر قولي يؤكد استقلاله الشخصي يوماً بعد اخر ويبرز اسمه عند حاكم الاقليم عندما اغتال هذا الخادم المطيع احد المأمورين الذين اساءوا لعائلة هذا الحاكم، فكان ذلك مدعاة لأعجاب بابا علي به وبقدرته باعتباره حامياً لشرف سيده، فامتدحه واهداه جبته الشريفة (٣٣).. ولم تمض الا فترة قصيرة حتى يتزوج نادر من ابنة سيده التي اصبحت امّا لولدها رضا قولي سيئ الطالع الذي فتح مولده مقتل جدّه بابا علي حاكم الاقليم (٣٤).. وترى بعض المصادر بأن نادر قولي هو المسؤول الاول عن ذلك، وبالفعل فقد خلفه في سدة الحكم وسيطر على القبيلة والاقليم، (٣٥) وقد جلب السمعة لكليهما في انتصاره على الاوزبك، وحين ذاك جمع تحت اطرافه قوة عسكرية كبيرة عززّت موقع الاقليم مع تخومه سياسياً لدى الامبراطورية، وذلك من خلال انتزاعه كلات **Kalat** التي تسمت بأسم نادر **Kalat -i- Nadri**، ثم هاجم نيشابور **Nishapur** بعد حصار قاس وبأسم الشاه طهماسب هذه المرة ودخلها منتصراً (٣٦).. وفتح مشهد التي اعتبر فتحها من اعظم الخدمات التي قدمها نادر قولي الى البلاط الصفوي.. ومن هنا بدأت تتوثق علاقته السياسية وبصورة كبيرة مع الصفويين الذين منحوه لقب (الخان) ليمارس سلطاته على الاقاليم الهامة في امتدادات شرق ايران وهي: خراسان ـ سيستان ـ كرمان ـ ومازاندران (٣٧).. فكان لقباً عظيماً احرزه نادر قولي، ونفوذاً كبيراً على رقعة جغرافية واسعة، ولمّا يتناسى بعد اصحابه وابناء جلدته من الاشقياء والرعاع.

٢ ـ تطوره السياسي:

ادناه مجمل بالتطور السياسي (٣٨) لنادر قولي وحركات حربه ادرجه بايجاز حسب سني الفترة التاريخية المؤثرة من حياته في تاريخ ايران:

١ ـ حملاته الاولى في خراسان سنة ١٧٢٧ م.

٢ ـ حملته على العبادلة وآلتركمان سنة ١٧٢٨ م، وتوليه قيادة الجيوش الصفوية.
٣ ـ ازاحته للحكم الافغاني لايران سنة ١٧٢٩ م، وارجاعه الحكم الصفوي، وكسبه لقب (الخان).
٤ ـ حربه مع العثمانيين سنة ١٧٣٠ م، وسيطرته على الاقاليم الغربية لايران.
٥ ـ اندحار الشاه طهماسب الصفوي امام العثمانيين سنة ١٧٣١ م، وسيطرتهم على الاماكن التي كان قد سيطر عليها نادر قولي خان.
٦ ـ تبوء نادر قولي خان الوصاية على عرش ايران سنة ١٧٣٢ م، بعد ازاحته للشاه طهماسب وخلعه اياه.
٧ ـ تقدمه نحو العراق واحتلاله زهاب وفرضه الحصار حول بغداد، واندحاره امام جيوش طوبال عثمان باشا العثمانية، ثم رجوعه ودحره للعثمانيين وقتله لطوبال عثمان باشا قرب كركوك وذلك على امتداد سنة ١٧٣٣ م.
٨ ـ الثورة والعصيان في بلاده.. ثم حروبه وانتصاراته في ترانس قوقاسيا الممتدة بين اصفهان ـ داغستان ـ روسيا خلال سنة ١٧٣٤ م.
٩ ـ انتهاء حروبه في قوقاسيا بمعاهدة كنجه Gandja ضد الروس سنة ١٧٣٥ م، ودخوله الحرب ضد العثمانيين قرب اريفان وانتصاره عليهم ومقتل قائدهم الكبير عبدالله باشا الكوپرلي.
١٠ ـ تنصيب نفسه امبراطوراً على ايران في سنة ١٧٣٦ م، وازاحته للشاه الطفل عباس ميرزا، وللنظام الصفوي برمته.
١١ ـ استعداداته للزحف الحربي نحو الشرق، ومغادرته اصفهان في شباط سنة ١٧٣٧ م.
١٢ ـ اختراقه لأفغانستان سنة ١٧٣٨ م.
١٣ ـ دخوله للهند وحملاته فيها، ثم مغادرته لعاصمتها دلهي سنة ١٧٣٩م.
١٤ ـ حملته ضد تركستان، وسيطرته على بخارى وخوارزم سنة ١٧٤٠ م.
١٥ ـ حملته الثانية على ترانس ـ قوقاسيا سنة ١٧٤١ م، وتعرضه للاغتيال في الخامس عشر من شهرها مايس.
١٦ ـ سيطرته على داغستان للمرة الثالثة في حزيران سنة ١٧٤١ م، وحربه ضد العثمانيين.
١٧ ـ مغادرته داغستان في ٧ شباط ١٧٤٢ م، وعبثه في كردستان وجورجيا ووصوله كرمنشاه عن طريق اقليم شهرزور العراقي.

١٨ ـ حملته الكبرى الثانية على العراق، وحصاره للموصل وفشله امامها سنة ١٧٤٣ م ـ موضوع البحث ـ وانسحابه الى ايران.
١٩ ـ معاهدة الصلح مع العثمانيين في ٤ كانون الثاني ١٧٤٦ م.
٢٠ ـ اغتيال [٣٩] نادرشاه في ٢٠ حزيران ١٧٤٧ م/ ١١ جمادي الثاني ١١٦٠ هـ.

تسمياته التاريخية:

غلبت على هذا الامبراطور الايراني تسميات عدة، فلقد استقر اسمه تاريخياً بـ (نادرشاه)، وتقدم فيها اسمه على صفته الامبراطورية اثناء توليه سلطاته الرسمية كاملة، وبعد وفاته وما اعقبها من مراحل. . اما قبل ان يتولى سلطان ايران الشاه فقد كان يطلق عليه لقب (الخان) مقترناً بتسمية (نادر خان) أو (نادر قولي خان). . . . اما المصادر المحلية فلقد غلب اسمه على صفحاتها بـ (طهماز خان) كونه احد خانات الشاه طهماسب الثاني الذي منحه لقب (الخان)، وقد بقي هذا الاسم ساري المفعول في الكتابات والاعمال التاريخية وخصوصاً في المحليات العراقية حتى بعد وفاته لمراحل بعيدة. وقد اطلقت عليه مصادر تاريخية اخرى اسمه القبلي (نادر افشار)، وفي المراجع الايرانية (نادرى افشارى). اما المؤرخ الانكليزي وليم جونز فقد اطلق عليه من خلال عنوان كتابه عنه (ملك ايران) **King of Persia**، راجع ملاحظة رقم (٣٨). وتشير اليه بعض المصادر الاوربية «قولي خان» **Kouli Khan**.

العـراق فـي خضـم القـرن الثـامـن عشـر
البدايـات الاولـى

١ ـ الاوضاع الدولية لمنطقة الشرق الادنى:

يتميز تاريخ منطقة الشرق الادنى خلال القرن الثامن عشر، بمفارقات غريبة، وتطورات خطيرة، ومميزات مؤثرة.. كما انه ذو طبيعة تاريخية ـ تراكمية غنية بالاحداث الجسام والابطال العظام، وتشكل ساحة العراق الجغرافية القديمة واقاليمها التابعة لها أو المتاخمة لحدودها مسرحاً واسعاً وعريضاً لتلك الاحداث.. وربما يتحمل النصف الاول من القرن المذكور على كاهله كامل تلك الاحداث الحيوية، ويعج بمتغايراتها التاريخية الكبيرة، اضافة الى الساحة الجغرافية لكل من ايران والامبراطورية العثمانية.

ففي ايران، افل العرش الصفوي على يد الأفغانيين الذين حكموا ايران قرابة عشر سنين، حتى بروز ذلك الزعيم الإفشاري من اعماق خراسان (نادر)، والذي هيأت له الظروف لأن يلعب ادواراً سياسية وعسكرية مؤثرة في تاريخ ايران، وامتداداته شرقهما، ثم توغله في قلب آسيا ووصوله الى سدة الحكم الامبراطوري وتبوئه عرش ايران بأسم نادرشاه.. وكان هو المسؤول الاول في اشعال فتيل الصراع في المنطقة من جديد (٤٠) وبصورة دموية خلال هذه الحقبة وذلك من خلال حروبه العسكرية والاقتصادية ضد العثمانيين. (٤١)

كان العثمانيون في الطرف الآخر، يعانون مشاكل سياسية وحربية وادارية في الخارج والداخل من امبراطوريتهم، وباعتلاء السلطان محمود الاول العرش سنة ١٧٣٠ م/ ١١٤٣ هـ (٤٢) بدأ البلاط العثماني يستعيد هيبته ودوره الفعال في مواجهة اضطرابات العاصمة، وعصيان الانكشارية ممثلاً بحركة بترونه خليل اغا ومناف موصلو اغا الخطيرة، والتي استطاع ان يخمدها مع رؤوسها نهائياً، اثر تنفيذ السلطان لخطة دراماتيكية ناجحة في صالونات بلاطه، وتقطعت الرؤوس فيها قادة واتباعاً ممن احصوا بالمئات. (٤٣)

بدأ اهتمام الامبراطورية ينصب نحو الغرب بغرض صد ومواجهة الخطر الاوربي الزاحف المتمثل بقوة كل من النمسا وبولندا.. وقد سعى هذا السلطان جاهداً لكي يمحو عار معاهدة (كارلوفتش Karlowitz) (٤٤) من على جبين

دولته، ودخل حرباً ضارية ضد الامبراطورية النمساوية سنة ١٧٣٨ ـ ١٧٣٩، فانتصر عليها بعد ان كانت قد سيطرت على كل من البوسنه والهرسك وصربيا ومولدافيا، فاستطاع الجيش العثماني ان يحرر اراضيه (٤٥) ويقهقر جيوش الهابسبورك الى ما وراء نهر الدانوب. وتقدم العثمانيون ليملوا شروطهم على النمسا. (٤٦)

ولم يقتصر الامر على النمسا فقط، فقد اجبر العثمانيون الروس من طرف آخر بأن يتعهدوا بهدم قلاع ميناء آزق (آزوف Azov) وعدم تجديدها، والتوقف عن بناء السفن سواء كانت حربية أم تجارية في البحر الاسود، ولقد وقعت جميع هذه البنود في صحيفة معاهدة بلغراد الشهيرة التي اعادت للامبراطورية العثمانية هيبتها في اوربا. (٤٧)

اما على الجانب الشرقي منها، فلقد انحسر دورها في اقاليم الشرق مركزياً، باعتمادها على السلالات المحلية في حكم الولايات، وكان من احد اسباب استقرار تلك العوائل المتوطنة وتوارثها في الحكم هو ما قدمه زعماؤها وآباؤها من المؤسسين من خدمات جلى للعثمانيين في صراعهم مع الايرانيين، وقد مر هذا الصراع المزمن خلال النصف الاول من القرن المذكور بانعطافات غاية في الخطورة، وخصوصاً بعد تفاقم حدّته وحروبه وازماته السياسية على ارض العراق وتوابعها من الاطراف والاقاليم شمالاً وشرقاً.. ولم يكن احد المؤرخين المعاصرين مجازفاً في تسميته اياها بـ «حروب العمالقة»، (٤٨) وعلاقة الصراع من طرف أو بآخر بالدور الروسي المؤثر، اضافة الى تفاقم المصالح الاقتصادية في العالم والسيطرة على البحار وممراتها.. ولعل ما يعنينا في هذا المجال هو العراق وحده، والمؤثرات الخارجية عليه، ودور الاحداث التاريخية التي توالدت على ارضه خلال الحقبة المعنية من حلقة الصراع المذكور، وآثارها في حياته المتعبة وتاريخه الاقتصادي المرير.. انتهاءً بحصار نادرشاه للموصل ـ موضوع البحث ادناه ـ.

٢ ـ ولادة الادارة الاقليمية للعراق:

خلال هذه الحقبة المعنية، ازدادت فاعلية الروابط السياسية للعراق قوة وحياة، عندما بدأت كل من ولايتي بغداد والموصل تستقطبان نفوذهما العسكري ـ

الاقليمي على مسرح العراق معززتين روابطها الاقتصادية المتلاحقة التي رأيناها في القرن المنصرم، وعلى الاخص بعد انحسار النفوذ التركي المركزي على اقاليم العراق والشام، وكان البلاط العثماني مجبراً لأن يعترف بالجهود العسكرية والمالية المخلصة التي تبذلها القوى المحلية من الاسر الناشئة والمتوطنة في هذه الاقاليم، فلقد ترسخ حكم المماليك في بغداد، (٤٩) والحكم الجليلي في الموصل، (٥٠) وحكم آل العظم في دمشق، (٥١) والحكم القصير لعبدالله جتة جي في ديار بكر. (٥٢)

مضى على حكم المماليك لبغداد اثنان وعشرون عاماً، عندما عينت استانبول اسماعيل باشا بن عبدالجليل والياً على الموصل سنة ١٧٢٦ م/ ١١٣٩ هـ الذي قضى في منصبه هذا سنة واحدة ليخلفه ولده الحاج حسين باشا بعد ثلاث سنين من وفاته اذ عين حسين باشا سنة ١٧٣٠ م/ ١١٤٣ هـ والياً على الموصل، (٥٣) وهو الزعيم المؤسس لسلالة حكم الولاة من الجليليين، والتي رسخها من خلال جهوده العسكرية والادارية في حكمه للعديد من ولايات الاقاليم الشرقية للامبراطورية العثمانية.

٣ ـ اوضاع العراق الداخلية وتفاقم حدة الصراع مع ايران:

كانت الاضطرابات تعم بغداد عندما عينت العاصمة اسطنبول الوزير اسماعيل باشا عليها سنة ١٧٠٠ م/ ١١١٢ ه، وكان من ناحية اخرى اعجز عن صد وحرب الايرانيين. (٥٤) واستقرت بغداد بعد ذلك تحت حكم الوالي حسن باشا الذي عين عليها عام ١٧٠٤ م/ ١١١٦ هـ وحكمها طويلاً لمدة دامت احدى وعشرين سنة، (٥٥) ويعد المؤسس الاول لحكم المماليك لولاية بغداد مستمداً نفوذه من السلطة المركزية العثمانية.

تحطم الترف الصفوي على يد الافغانيين الذين سيطروا على حكم ايران، واضمحل الصفويون، وبقوا يمارسون ادوارهم السياسية في الظل (٥٦).. وقاد تحالف الحكومة العثمانية مع الروس سنة ١٧٢٤ م/ ١١٣٧ هـ بحكم الظروف الدولية في الشرق، وسيطرة الجيش العثماني على كرجستان وداغستان (٥٧) لتفجير حدة المواقف السياسية في المنطقة، واعلنت استانبول الحرب على ايران في السنة

ذاتها، وذلك بعد الاضطرابات الدموية التي احدثها العنف الطائفي لأيران، فقاد الاتراك حملتهم نحو جورجيا وحاصروا عاصمتها تفليس، وامتدادات جغرافية على الشرق والجنوب منها. (٥٨)

وصلت اوامر البلاط العثماني الى بغداد لكي يأخذ العراق دوره الحربي واستعداده للهجوم والامتداد شرقاً في عمق ايران، فاطاعت الموصل من خلال القوات التي جهزتها، والذخائر التي اعدتها (٥٩). . في حين تردد والي بغداد حسن باشا ان يدخل غائلة الصراع مباشرة، (٦٠) ولكن السلطنة شددت أوامرها لحسن باشا، (٦١) فقاد قواته المشتركة من بغداد والموصل، ووصل كرمنشاه، (٦٢) وسيطر على اردلان وكردستان، وتوغلت الحملة العراقية في ايالة اصبهان، (٦٣) بدخول سنة ١٧٢٤ م/ ١١٣٧ هـ. وفي اثناء ذلك، توفي الوزير حسن باشا بعد ان بلغ من الكبر عتيا، فتولى القيادة ولده احمد باشا. .

٤ ـ الاحتلال العراقي لهمدان واحوال ايران:

تولى احمد باشا قيادة جيوش ابيه، ورضخ البلاط العثماني فاقر تعيينه والياً على بغداد الولاية الاستراتيجية الشاسعة، واصل احمد باشا حربه في ايران، (٦٤) فاحتل همدان في نفس العام، (٦٥) بعد ان فجر اسوارها، وخاض حرباً دامية في شوارعها على مدى ثلاثة ايام، وانتهى الامر بعقد الهدنة بين العثمانيين والافغانيين حكام ايران، التي اعترفت ايران بموجبها ان همدان ولاية عثمانية. (٦٦) ورغم ذلك، الا ان العلاقات بين الدولتين بقيت ساخنة، فقد توغل رتل كبير من جيش ولاية الموصل جنوباً في بلاد البختياريين (٦٧) وذلك خلال سنة ١٧٢٥ م/ ١١٣٨ هـ، وفي السنة التي اعقبتها ١٧٢٦ م، حاول اشرف خان شاه ايران ان يأخذ بغداد، فاستعد له العراق، فصرف نظره عن ذلك بعد ان شذبت كافة المناطق العراقية من ذيول الايرانيين، (٦٨) ولم تتلاش حدة التوتر نظراً لتحركات حرب كل من الدولتين هنا وهناك.

بينما كان احمد باشا يعالج امر استعداداته الحربية بتحالفه مع قوى الموصل واطرافها المجاورة ضد ايران وذلك سنة ١٧٢٧ م/ ١١٤٠ هـ، وصلت اوامر السلطنة القاضية بفتح باب المفاوضات من جديد، والدخول في علاقات سلمية، وقد انتهت بمعاهدة كان من ضمن بنودها اعتبار كل من همدان وكرمنشاه واردلان

ولورستان من الاقاليم العثمانية، كما اخذ العثمانيون خطوطاً جديدة في الشمال على نقاط مرسومة حتى اردبيل وبضمنها تبريز. وقد اعترف بذلك حكام ايران من الافغان، وقضى الصلح المعقود بين الطرفين مرحلة سلام، وتبادل البلاطان العثماني والايراني علاقاتها الدبلوماسية والهدايا، (٦٩) ولكن اشرف خان نقض الصلح سنة ١٧٢٨ م، وتوجه الى بغداد فاستطاع واليها ان يصده، ثم اعتذر اشرف خان من السلطان العثماني. (٧٠)

لقد كان نصراً كبيراً، سلماً وحرباً، للدولة العثمانية في ان تقتطع اجزاءً شاسعة من ايران، ومن خلال الجهود العراقية.. ولكن الاوضاع السلمية لم تستمر، اذ انتهى كل شئ بسقوط الحكم الافغاني لايران سنة ١٧٢٩ م/ ١١٤٢ هـ، وعاد البيت الصفوي للحكم مرة اخرى، ولم يمض على الافغانيين في ايران الا عشر سنوات، حين برز الى الوجود قائد قبلي من افشار خراسان اسمه نادر، (٧١) ليعيد للصفويين قوتهم السياسية، ولايران هيبتها، ففي هذه السنة بالذات، جاء مع قواته من الافشار والكرد لنصرة العرش الصفوي فعينه الشاه الصفوي الذي كان يعيش في الظل على قيادة جيوش طهماسب، فاستطاع ان يقهر الحكم الافغاني خلال السنة المذكورة، وعلى دفعتين الاولى عند مهماندوست Mehmandost، والثانية في منطقة مرجاخار Murchakhar فشتتهم بصورة نهائية، (٧٢) وذبح خانهم اشرف، (٧٣) ثم امتد ليسيطر على كامل افغانستان سنة ١٧٣٠ م/ ١١٤٣ هـ، (٧٤) وعاد فأرجع العرش الصفوي لايران الذي لم يلبث ان احتواه خلال وصايته عليه باسم نادر قولي، ثم انهاه بصورة كلية بعد فترة قصيرة، ونصب نفسه امبراطوراً على ايران بأسم نادرشاه.

٥ ـ ايران تستعيد انفاسها من جديد:

بعد ان استعاد العرش الصفوي انفاسه بتولي الشاه طهماسب مقاليد الامور، فاتحت ايران البلاط العثماني في استانبول باعادة الولايات الغربية دوبلوماسياً (٧٥).. وفي حين كانت المفاوضات بين اخذ ورد، كان نادر قولي خان الرجل القوي في ايران قد اسرع في تعبئته العسكرية لأن يعيد للحرب اوزارها مع العثمانيين..

في ربيع ١٧٣٠ م/ ١١٤٣ هـ، بدأت الاشتباكات العنيفة بين الطرفين التي انتهت بانتصار الايرانيين ودخولهم همدان، [٧٦] وانسحبت القوات العثمانية الى كرمنشاه ومنها عبرت حدود العراق القديمة، وتفرقت في زهاب واطراف خانقين [٧٧]. . ولقد اسعف الموقف كل من والي بغداد احمد باشا ووالي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي [٧٨] بتقدمهما مع جيوشهما المشتركة فاستعادا كرمنشاه، ثم تقدم الجيش العراقي الى همدان فعسكر قربها، وواجه جيشاً ايرانياً قرب كوريجان Korijan [٧٩] في ١٦ ايلول ١٧٣١ م/ ١١٤٤ هـ، فخسر الايرانيون المعركة، وفر نادر قولي، واحتلت همدان وثبت فيها الحكم العثماني مجدداً. . مما حدا بالسلطان العثماني ان يرسل فرمانه مهيباً من خلاله بكل من اعمال الباشوين المذكورين. [٨٠]

ودخلت الدولتان الكبريان في مفاوضاتها من جديد، ولكن بقي نادر قولي يأبى الصلح وقد وقع الجانبان معاهدة لم يكن فيها اية اطماع عثمانية، بل اعتدلت استانبول فيها، على امل ان تعود الحياة الدبلوماسية والاحترام المتبادل، اذ ارجعت تبريز واردلان وكرمنشاه وهمدان والحويزة جميعها الى يد الشاه الايراني، وعليه فقد انسحب احمد باشا وجيوشه المشتركة الى حدود العراق القديمة التي كان قد رسمها السلطان مراد الرابع قبل ما يقارب القرن من الزمان، اي سنة ١٦٣٨ م/ ١٠٤٨ هـ. [٨١]

العراق والعهد النادري الايراني العاتي

١ ـ اوليات الموقف:

رغم كل من التنازلات التي قدمتها استانبول لايران، الا ان اطماع نادر قولي بقيت متأصلة، فلقد انتفض على الشاه طهماسب الذي قبل بتوقيع المعاهدة، التي نقضت بعد ان رافقها خلع الشاه طهماسب، [٨٢] وتنصيب الصبي اليافع عباس ميرزا شاهاً لايران وجعل نادر قولي من نفسه وصياً على عرشه. . وارسل نادر قولي خان الى والي بغداد يهدده ويطالبه بحق له في اراضي العراق، وانه سائر باعتباره وصي عرش ايران على رأس جيشه ليتنسم هواء بغداد العليل، وليتفيأ بظلال قصورها، [٨٣] وذلك في خريف سنة ١٧٣٢ م.

لقد كانت الأسباب التي ادت الى نقض المعاهدة هي دينية وسياسية، كما يجمع على ذلك عدد من المؤرخين. ولقد ادى كل من نقض المعاهدة وتهديد ايران للعراق بالذات الى ان اخذ والي بغداد يشدد قبضته على مواقع حدود ولايته، وممراتها وخصوصاً خط: درنه ـ مندلي ـ بدره، ثم عزز حامياته في زهاب وقصر شيرين، واعلمت استانبول بالاوضاع العراقية، فاعلمتهم بأن حملة امبراطورية كبيرة يقودها الوزير طوپال عثمان باشا في طريقها الى بغداد لتخليص بغداد من محنتها. (٨٤)

٢ ـ حملة نادر قولي خان على العراق سنة ١٧٣٢ ـ ١٧٣٣ م:

لم تمض الا فترة قصيرة على انفجار الموقف بالغاء المعاهدة من طرف واحد (٨٥) واعلان الحرب، فاستأنف نادرشاه تحركاته وقيادته لجيوشه نحو العراق سنة ١٧٣٣ م/ ١١٤٥ هـ (٨٦) والبالغ عددها مائة الف مقاتل (٨٧) فاحتل كرمنشاه التي لم تزل تحت السيطرة العثمانية، ولما تنسحب بعد منها القوات العثمانية بموجب المعاهدة آنفة الذكر (٨٨). . ثم تقدم نادر قولي خان فاحتل زهاب، في حين كانت قوات عسكرية من الموصل قد وصلت مشارف بغداد، والتي يبلغ عددها الف مقاتل كان قد جهزها وارسلها والي الموصل الحاج حسين باشا بطلب مستعجل من والي بغداد احمد باشا (٨٩). . ويبدو ان هذه القوات قد سلكت في طريقها المسلك البري غرب نهر دجلة كونها وصلت مباشرة الى بلدة الكاظم القريبة من بغداد، وقد سارع والي بغداد لادخالهم داخل اسوار بغداد نتيجة للاضطرابات واعمال الشغب التي حدثت في الكاظم. (٩٠)

تقدم نادر قولي خان عابراً الحدود العراقية بعد ان قتل وشرد المئات من السكان الآمنين، (٩١) وانفصلت قطعات من جيشه وتفرقت الى اربعة اقسام تقدمت في مسالك اربعة نحو كركوك وهي على التوالي: قره تبه ـ كفري ـ طوز خورماتو ـ داقوق. (٩٢) وعاثت في الجميع فساداً، وقتلاً وتشريداً ونهباً، وقد استبسلت كركوك رغم الخسائر الفادحة التي الحقت بها وبقراها، وقد عاود نادر قولي خان ضرب كركوك في حركات عسكرية ثلاث (٩٣) في حين كان هو مع الرعيل الكبير من قواته قد ضرب حصاره حول بغداد.

٣ ـ حملة نركز خان على الموصل سنة ١٧٣٣ م/ ١١٤٥ هـ ونتائجها:

تخبرنا «تذكرة شعراء امد» لـ علي اميري ـ بالتركية (٩٤) ـ، ان قوات نادر قولي قد سيطرت على كركوك في رجب ١١٤٥ هـ، وبعد ثلاثة اشهر من وقائعها اي في ١٥ شوال ١١٤٥ هـ (٩٥) ارسل نادر قولي قواته الايرانية التي قدرت بـ ثمانية آلاف مقاتل (٩٦) وتحت قيادة القائد البهادري نركز خان (٩٧) الذي وصل الموصل، واتخذ له ميداناً بجوار قصر «على قدوم» (٩٨) الواقع خارج اسوار المدينة جنوباً، ويظهر ان هذه الحملة قد سلكت الطريق البري غرب دجلة، وانها ارسلت خصيصاً لكسر شكيمة الموصل، وانها لم تكن من القوات التي خصصت لاحتلال كركوك.

كانت قيادة ولاية الموصل تحت ادارة الحاج حسين باشا قد اتخذت تدابيرها العسكرية بأن نظمت قواتها من ميمنة وميسرة وقلب، وخرجت لملاقاة قوات نركز خان، وقد شارك فيها قطاعات عديدة من ابناء المدينة (٩٩).. وقد قاد الوالي بنفسه قلب الهجوم على الفرس، واستمرت المعركة عنيفة وشديدة من الصباح حتى العصر، حقق فيها الوالي وقواته نصرهم، وسحقوا الجيش الفارسي، وخر نركز خان صريعاً، (١٠٠) وفني القسم الاعظم من قواته وعادت قوات الولاية الى الموصل ودخلتها منتصرة، وامامها الاسرى مربوطين بالسلاسل. وفرّ من تبقى من الفرس وتبعثروا في البراري. (١٠١)

٤ ـ حصار بغداد ونتائجه المحزنة:

فرض نادر قولي حصاره على بغداد بعد سيطرته على كافة ضواحيها وتوابعها من المدن الفراتية، (١٠٢) اضافة الى استلابه لكل اقتصاديات المنطقة، واحتفل بعيد نوروزه بين جنده في ١٩ آذار ١٧٣٣ م/ ١١٤٦ هـ، (١٠٣) في حين كان احمد باشا يخشى الوضع الداخلي المتأزم، لاسيما وان الحصار قد طال امده وان الجيش العثماني المنقذ لم يصل.. اما الجيش داخل بغداد فكان يتجاذب اطلاق النار مع الفرس في مناوشات تكون خفيفة مرة وعنيفة اخرى، (١٠٤) لاسيما عندما انشى جسراً على دجلة، بعد ان امتلأ نهر دجلة بزوارق جيش الاعداء (١٠٥).. وهكذا اصبحت بغداد الشرقية، تلك المدينة الكبيرة، ذات القصور العريقة، والقباب الملونة البهية، والشوارع الطويلة، والبيوت الكثيرة، والمدارس القديمة، والمعابد

ودور الحكومة والأسواق. . كلها وداخل تلك الاسوار القوية العالية لمدينة بغداد اصبحت تحت قبضة الحصار الايراني الشديد، والذي كانت وطأته تقسو يوماً بعد آخر، وشهراً بعد شهر. لقد مارس نادر قولي حرباً اقتصادية شعواء بسيطرته على دجلة شريان بغداد، وبوابة جسرها فقطع كل الموارد عنها، ولم تسلم حتى اشجار النخيل الباسقة فقد جردها الاعداء سعفاتها الجميلات، وقطفوا اثمارها اليانعات وبدأ سكان بغداد يقاسون الجوع المرير يوماً بعد آخر، ثم بدأت المجاعة الرهيبة تكتسح المدينة، بغلاء اسعار المواد الغذائية بصورة بشعة [١٠٦]. . واخذ الناس يموتون افواجاً، وحكومة الوالي احمد باشا تنتظر النجدة العثمانية تحت قيادة طوبال عثمان باشا الذي كان يسير نحوها.

٥ ـ الوزير طوبال عثمان باشا ينقذ بغداد العريقة واطرافها:

يقف المؤرخ لونكريك في كتابه الشهير عن تاريخ العراق الحديث، وقفة تأمل طويلة عند محنة بغداد التراجيدية بما استشرى فيها من قساوة وويلات ابان حصارها من قبل الايرانيين، وكيف انجدها قدر التاريخ بعدم وقوعها فريسة بأيديهم بعد جوع وضيق. . . فلو لم يخلصها طوبال عثمان باشا «لكان تاريخ بغداد والعراق وتركيا قد سلك حقاً مسالك اخرى». [١٠٧]

كان طوبال الوزير المحنك، والقائد العسكري الالمعي، وخادم البلاط العثماني المخلص يزحف بجيشه بعد ان خوّله ذلك البلاط صلاحيات عظمى باعتباره سر عسكر الشرق لصد الخطر الايراني، [١٠٨] وانه الوزير الاعظم السابق لدى الامبراطورية، [١٠٩] ومنحه استخدام كافة موارد الايالات الشرقية. . وقد استغرق زحفه قرابة ستة أشهر، وصل الموصل في عدد يقدر بثمانين الفاً من القوات، وقد تزود في هذه المدينة، [١١٠] وساق رحاله نحو كركوك التي تلقى فيها كتاباً له من نادر قولي خان يتمنى فيه لطوبال الاسراع لملاقاة حتفه [١١١]. . استعد الرجل وانطلق بعد ان التحقت به العديد من قوات الامبراطورية، ومنها قوات مصرية. [١١٢] خلال هذا الزحف الكبير لم يجد هذا الجيش قرية مأهولة نتيجة لما فعلته القوات الايرانية خلال الشهور الاولى. [١١٣] وباقتراب طوبال وجيشه، استطاع ان يخدع نادر قولي، ويوهمه بميقات وصوله، [١١٤] ثم حدثت الملاقاة بعد ان ترك نادر قولي مع اغلب جيشه بغداد. . وفي صباح ١٩ تموز التقى الجيشان

العظيمان، [115] وبدأت الحرب العاتية بين الطرفين المتراجحين في اعدادهما، وكان الموقف في صالح الايرانيين في البداية، بعد ان ارتدت تشكيلة من الاكراد تقدر بالفين بين جيش طوبال، واحدثت المدافع الايرانية ثغرة في خط الاتراك للوصول الى النهر، مما حدا بطوبال ان يدعو الاحتياطي المؤلف من عشرين الف نفر [116] . . وكانت الهجمة الكبرى بتقدم الوحدات الانكشارية [117] . . واستمرت الحرب تسع ساعات، [118] تفوقت فيها قوات طوبال امام نكوص الفرس، [119] وغربت الشمس باندحار نادر، [120] وانتصر الاتراك وغنموا مما لا يعد أو يحصى، رغم فقدانهم لآلاف الشهداء الذين واروهم الثرى، ونقلت جرحاهم الى الموصل للتداوي والعلاج [121] وفرّ نادر قولي من حدود العراق الى ايران، [122] بعد ان خسر ثلاثين الف قتيل، وثلاثة آلاف اسير [123] . . من الخطط الذكية التي استعملها طوبال عثمان باشا في حربه هذه، اتخاذ موقعه الحربي مطلاً على النهر، وجعله للنهر وراءه في مواجهته للاعداء في القفر، [124] والاحالة دون وصولهم للماء، واذا ما عرفنا ان الحرب قد وقعت في التاسع عشر من تموز، وما يتميز به هذا الظرف من حرارة قاسية، وشمس محرقة . . ادركنا كم قتل العطش من الاعداء .

مذ سمعت بغداد باخبار الانتصار العثماني الكبير على الفرس، حتى ضجّت حاميتها العسكرية مهاجمة من تبقّى من الايرانيين الذين كان نادر قولي قد تركهم للمحافظة على الحصار . . ثم فتحت ابواب بغداد الكبيرة لتستقبل البطل الذي خلصها، وخرج فتيان وفتيات المدينة لاستقباله، [125] وتدفقت على مركز بغداد المؤن والموارد [126] ولم يمض طوبال داخل بغداد الا وقتاً قصيراً لما كان عليه وضعها المهلك القاسي . [127]

٥ ـ مصرع طوبال عثمان باشا وموقف والي بغداد :

لم يندمل جرح بغداد بسرعة، فقد سببت المجاعة الرهيبة وخلال الحصار الطويل الذي يزيد على سبعة اشهر [128] لموت ما يزيد على مائة الف من البشر جوعاً [129] وذلك داخل الاسوار فتراكمت الجثث في البر والنهر [130] مسببة الامراض الفتاكة التي زحفت بعد بدأ المجاعة، نتيجة تلوث الماء والهواء، والنتانة في الاسواق وأفنية البيوت [131] . . واصبحت أجسام من تبقى حياً كأشباح في

ظلمة ليل، وقد عمتهم فرحة النصر، واصبح طوبال عثمان منقذ بغداد الرجل الرمز لها، والبطل اللامع صاحب الانتصارات الباهرة لدى البلاط في استانبول. (١٣٢) ويذكر احد المؤرخين بأن الوالي احمد باشا حاكم بغداد قد خشي من عظمة طوبال عثمان باشا في داخل العراق فاقترح عليه ان يسرح جيوشه، (١٣٣) وهذا ما فعله طوبال عثمان باشا، وأدّى ذلك الى ان يضع هذا الوزير الكبير ـ دون ان يدري ـ نهايته المأساوية بيده.

بعد ان تماثلت بغداد للشفاء، انسحب طوبال عثمان بعد ان سرّح غالبية قطاعات جيوشه الى ايالاتها، (١٣٤) وزحف مع ثلّة من جيشه الانكشاري نحو الشمال، (١٣٥) وخيم قرب كركوك في حين بدأ والي بغداد احمد باشا استعداداته توقعاً اكيداً منه ان زحفاً ايرانياً في طريقه راجعاً للمرة الثانية لأخذ بغداد، (١٣٦) وتحطيم الجيش العثماني. وهذا ما حدث فعلاً فقد استطاع نادرا ان يؤلف خلال عدة اسابيع جيشاً كبيراً، زحف به على العراق، ولكنه جعل هذه المرة وجهته نحو كركوك حيث يخيم خصمه العثماني اللدود الوزير طوبال عثمان باشا وما فتأ الاخير مذ وصلته اخبار الزحف الايراني نحوه يستنجد بالعاصمة ولكن بعد فوات الاوان، (١٣٧) اذ لم يستطع الا ان يجمع تحت لوائه بعض قوات الاقاليم المتاخمة، ومن ضمنها الموصل وديار بكر التي اجتمعت مع انكشارية طوبال لتواجه القوات الايرانية الكبيرة في سهل ليلان قرب كركوك.. فدخل الطرفان صباح يوم السادس والعشرين من تشرين الاول ١٧٣٣ م/ ١١٤٦هـ، (١٣٨) في حرب قوية غاية في الشدة والبأس، وكان القائد طوبال عثمان باشا سر عسكر اقاليم شرق الامبراطورية يقاتل ببسالة نادرة ممتطياً صهوة جواده الابلق الرشيق، وقد اوقع وجيشه الصغير خسائر فادحة بالاعداء (١٣٩).. وفي لحظات حاسمة خرّ طوبال عثمان نفسه صريعاً على ارض المعركة وبصورة شجاعة ومؤثرة (١٤٠).. وتحطم جيشه (١٤١) واندحر قواده العظام، واستطاع والي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي الذي كان بمعية طوبال عثمان باشا ان ينسحب من الساحة مع من بقي من جنوده تحت جناحه الى حصن الموصل متخفياً تحت جنح الظلام (١٤٢).. وغنم الايرانيون ما خلفه الجيش العثماني، (١٤٣) ووقف نادر قولي وصي عرش ايران يتأمل طويلاً، امام جثة طوبال باشا التي صبغتها الدماء.

انتكست النفوس في كل من اسطنبول وبغداد والموصل لهذه الاخبار المريرة التي عصفت بالواقع مرة اخرى، رغم ان بغداد كانت قد اتخذت تدابيرها على يد

واليها . . اما استنبول العاصمة فقررت تعيين عبدالله باشا الكوبرلي بمنصب سر عسكر اقاليم الشرق عوضاً عن طوبال عثمان باشا، (١٤٤) وانضم ايضاً تحت قيادة هذا الوزير الجديد باشوات الاقاليم المعنية . . . واثناء تحركاته الحربية ، اقام هذا السردار بالموصل وتجهز منها بالخيول والمؤن والعتاد، قدم الى واليها الحاج حسين باشا رتبة الوزارة التي منحها السلطان ، ثم ترك الكوبرلي الموصل متوجها نحو كركوك (١٤٥). . . لقد جرى تعيين عبدالله باشا الكوبرلي سنة ١١٤٧ هـ، اي بعد مدة زمنية من اندحار طوبال عثمان باشا .

٧ ـ المعاهدة العراقية ـ الايرانية ودور والي الموصل :

عاش نادر قولي منتشياً بنصره الذي حققه على جيش طوبال عثمان باشا ، حتى وردت اليه انباء الاضطرابات الخطيرة المتصاعدة التي عصفت داخل بلاده ايران لصالح الصفويين ، فرجع بعد ان عقد الصلح مع احمد باشا والي بغداد عبر مفاوضات هامة وسريعة ، فاعتبرت من جديد حدود السلطان مراد الرابع اساساً لبناء علاقات كل من الطرفين المتنازعين (١٤٦). . وتبودلت الهدايا بينهما، وافرج عن الاسرى الذين قبض عليهم في المعركة التي صرع فيها الوزير طوبال عثمان ، وانسحب نادر قولي من العراق تماماً. (١٤٧)

وصلت وثيقة المعاهدة المعقودة الى اسطنبول للتصديق، فلم يهتم البلاط العثماني لها، فلقد كان غليان العاصمة فائراً، وموقف رجالات البلاط هائجاً لمصرع البطل الوزير طوبال باشا، (١٤٨) وكان من النتائج الأولى لذلك هو نقل والي بغداد احمد باشا ولاول مرة بعد حكم يتجاوز عشر سنوات لبغداد (١٤٩) تخللها العديد من الاعمال الحربية الكبرى. . . وهناك اشارات تاريخية تشير الى سبب ذلك النقل المفاجئ هو نقمة البلاط عليه لأنه اعتبر المسؤول عن اندحار طوبال عثمان باشا (١٥٠). . في حين توجهت انظار البلاط هذه المرة الى والي الموصل الذي منح بعد عدة اشهر رتبة الوزارة ذات الثلاثة اطواغ، (١٥١) وفي السنة التي تلت ذلك عهدت السلطة المركزية الى حسين باشا بادارة ولاية بغداد نفسها. (١٥٢) ومن اهم الاسباب التي دعت الى ذلك هو موقف ولاية الموصل العسكري مع طوبال عثمان باشا، اضافة الى مساهماتها الاقتصادية الكبرى في تموين كافة الحملات ، واسعافاتها الطبية والبشرية على مدار سنة ١٧٣٣ م/ ١١٤٦ هـ.

٨ ـ الانتكاسة العثمانية الجديدة:

استطاع نادر قولي ان يقضي على العصيان المسلح، وخنق الثورة في ايران [١٥٣] ثم مضى نحو الحصون الشمالية ـ الحدودية لكل من الامبراطوريتين، فكان موفقاً في حصاره لكل من تفليس العاصمة الجورجية، واريفان العاصمة الارمينية وذلك خلال سنة ١٧٣٤ م/ ١١٤٧ هـ. [١٥٤] وفي ١٨ حزيران ١٧٣٥ م، التقى الجيشان العثماني والايراني قرب قارص [١٥٥] بعد ان تقدم السردار عبدالله باشا الكوبرلي الوزير العثماني القدير ووالي مصر سابقاً، بجيشه وقد شاركت قوات من ديار بكر والموصل معه ليواجه جحافل نادر قولي الايرانية.. ووقعت المعركة الفاصلة التي استمرت ساعات طوال سحقت في نهايتها الجيوش العثمانية بصورة مخيفة افتقدت فيها حياة السردار الكوبرلي وعدة حربه الجرارة، [١٥٦] فانفتحت امام نادر قولي مسالك كل من كرجستان وداغستان الاستراتيجية، في وقت حافظت قوات كل من ولايتي ديار بكر والموصل على مسالكها الاستراتيجية بعد هجمات ايرانية متكررة. [١٥٧]

تلقت استانبول العاصمة هذه الاخبار بمرارة وأسف شديدين، [١٥٨] وعادت لتهتم بأمر معاهدة سنة ١٧٣٣ م، وخوّلت الوزير احمد باشا الذي كان قد عقدها مع الايرانيين اجراء المفاوضات، فسار احمد باشا على رأس وفد من المفاوضين.. في وقت وجد نادر قولي نفسه قد احرز انتصارين عظيمين على خصومه العثمانيين وخلال فترة قصيرة، مما دعاه الامر ليحمّل في المفاوضات شروطاً كبرى.. فلم يتوصل الطرفان الى أية نتائج لفترة اشهر عديدة. [١٥٩]

اهتم نادر قولي خلال الفترة المذكورة بعد اعلان شروطه للعثمانيين في حركات حربية كبيرة على امتدادات قوقاسيا.. وعاد ليحتفل في آذار ١٧٣٦ م/ ١١٤٩ هـ، بانتصار المذهب الخامس الذي جعل منه مذهباً رسمياً للدولة وقد جمع حوله المتطرفين الايرانيين مع العناصر التركمانية من القزلباش القدماء مع سنيي خراسان واللور والاكراد والافغان، [١٦٠] وليجد في محصلة معادلته جيشاً ودولة واحدة، ولا يجد من ينحاز من شيعة ايران الى النظام الصفوي القديم، وكان ان عقد مجلسه الامبراطوري ليزيح الشاه الصبي عباس ميرزا عن عرش ايران، وليعلن نفسه شاهاً على البلاد دون منازع، وليسمى منذ الآن بنادرشاه بعد الغائه وبصورة نهائية العرش الصفوي، [١٦١] وابتداء العهد النادري أو

النادرشاهي وبصورة رسمية رغم ان نادراً كان متولياً لجميع سلطات البلاد منذ عزل الشاه طهماسب سنة ١٧٣٢ م. (١٦٢)

عاد الامبراطور الجديد نادرشاه الى مفاوضات " - " مع العثمانيين ليطالبهم من خلالها بشروطه النهائية، التي كلفت البلاط العثماني استرداد حدود العراق القديمة للسلطان مراد الرابع واعتراف نادرشاه بها، اعترافهم ببعض شروطه، وبعض البنود الاخرى، (١٦٣) ورغم ذلك الا ان العثمانيين لم ينفذوا من طرفهم البنود التي طالب بها نادرشاه ومنها تعيين امير ايراني خاص بالحج.. واقرت المعاهدة في نهاية الامر بين الطرفين، وعادت للعراق كل من زهاب وقصر شيرين واطرافها ولواحقها ومسالكها.

٩ ـ شروط نادرشاه والتهاب الموقف السياسي:

خلال السنوات القليلة التي اعقبت معاهدة ١٧٣٦ م، التي اقتص تثبيت بنودها فترة طويلة (١٦٤) من المفاوضات السياسية، واعتراف ايران بالحدود الشرقية القديمة لجناح الامبراطورية العثمانية المتمثل بالعراق.. تحولت آلة الحرب الايرانية الى اطراف الهند فقد سيطر نادرشاه على أفغانستان والهند خلال ١٧٣٨ ـ ١٧٣٩ م، (١٦٥) في حين عاد الوزير احمد باشا بن حسن باشا الى عاصمة ولايته بغداد التي استقبلته بشوق ولهفة. (١٦٦) اما نادرشاه فقد عاد ليقود حملة ايرانية على ترانس ـ قوقاسيا وداغستان والعبث في جورجيا خلال ١٧٤١ ـ ١٧٤٢ م. (١٦٧) وقبل ان يصطدم نادرشاه بالعثمانيين مرة اخرى، اراد ان يكسب ود السلطان سنة ١٧٤٠ م من خلال اهدائه للسلطان محمود الاول عشرة من الفيلة، وقد ارسلها من ايران الى استنبول عبر مسلك: الموصل ـ حلب (١٦٨).. ولكن لم يلبث نادرشاه ان الغى ما كان قد اتفق عليه من طرف واحد وتوترت العلاقات السياسية في المنطقة، وبدت الاقاليم الشرقية تراقب تطورات الاوضاع عن كثب.

لقد قادت نزعة السيطرة عند نادرشاه واطماعه الايرانية الجامحة على الاقاليم الاستراتيجية ثم تصاعد النزعة المنصرية لأن يعلن عن شروط جديدة امام بلاط

استنبول، منتزعاً فتيل شرور الحرب مما سبب تدهور العلاقات. . وقد وصلت الشروط الايرانية امام السلطان العثماني محمود الاول، وتتلخص اهم المطاليب الايرانية: (١٦٩)

١ ـ هدم اسوار بغداد.
٢ ـ تنازل الدولة العثمانية عن كل من ولايتي ارمينية وديار بكر (المتمحورتان شمال ـ شرق الدولة، ولهما اهمية كبيرة).
٣ ـ موافقة السلطنة العثمانية على تعيين امير ايراني للحج.
٤ ـ اعترافها بامور دينية اخرى.

ولم يلتفت السلطان العثماني الى هذه الشروط، باعتبارها اموراً يراد منها اذكاء الحرب من جديد، ومد سلسلة الصراع الدموي بين الطرفين. . ولقد ناقش مجلس (العلماء) في العاصمة استنبول، الامور الدينية المتعلقة بمطاليب الشاه الايراني، وقرروا انه في حالة استجابة الشاه فان مخاطر كبيرة سوف تلحق بذلك. (١٧٠) وقد حمل الرد العثماني (١٧١) في عملية المفاوضات كل من منيف ونصيف التركيين اللذين وصلا نادرشاه بينما كان مستقراً قرب ديربنت Derbent وذلك في كانون الثاني ١٧٤٢ م وقد اعلماه بأن السلطان العثماني قد رفض بصورة قطعية المطاليب الايرانية، مما حمل نادرشاه ان يقرر الوصول بشخصه الى استنبول القلب العثماني. ويعلق المؤرخ اولسن على هذا القرار: هل كان قرار نادرشاه في الذهاب فاتحاً عسكرياً أم سياسياً مسترضياً؟ (١٧٢). . ويقف هذا المؤرخ وقفة طويلة محللاً الاختلافات الايديولوجية المعقدة بين الطرفين المتنازعين. (١٧٣)

بدأت مباراة كل من الدولتين في استعداداتها الاولى، فقد اوقف نادرشاه جيوشه المتقدمة نحو روسيا، في حين كانت موسكو قد حركت تسعة افواج عسكرية من القوات وارسلتها الى استراخان، (١٧٤) الميناء الرئيسي على قزوين في دلتا نهر الفولغا. . اما الجيوش العثمانية فلقد تحركت نحو الحدود مع الفرس، (١٧٥) وعززت الحاميات في بغداد وارضروم، (١٧٦) في حين كان موقف والي بغداد غامضاً لدى البلاط العثماني. (١٧٧)

لقد التهبت روح الحرب عند نادرشاه بصورة فعالة وديناميكية، في تجهيزه اعظم القوات واقواها مقارنة بحملاته الاخرى السابقة خلال تاريخه الحربي لايران، ويبدو ان قرار الحرب قد اتخذه نادرشاه تنفيذاً لما قطع من وعد على نفسه

بأن يصل استنبول، وجاء هذه المرة أيضاً عبر اختراقه للعراق . . ووجهته الحقيقية هي الموصل التي يقبض من خلال سيطرته عليها على جميع مسالك العراق، وينفتح الطريق امامه نحو كل من اناضوليا وبلاد الشام. (١٧٨) وتلك هي الاسباب التاريخية التي قادت مع طبيعة ظروف المرحلة الى تأجيج نزعات الصراع بصورة كبيرة مع تطور الاحداث، وسخونة المنطقة التي تمتد من اعالي قوقاسيا حتى اعماق الخليج العربي عبر بلاد العراق والاقاليم الشرقية للاناضول. . ويبدو واضحاً انه من المستحيل على اية دولة الرضوخ امام مثل هذه الشروط التي فرضها نادرشاه من الناحية السياسية التي اعتبرت اسباباً مباشرة لتجريد الحملة الايرانية الكبرى على العراق، في حين لم يتحرك البلاط العثماني للمواجهة الامبراطورية مع ايران، فبقي العراق «اقليمياً» لوحده يواجه «ايران نادرشاه» مع تعقد الظروف وعقم الدوبلوماسية والنوايا التي يريد خصمه اللدود تحقيقها.

استنتاجات تاريخية

من خلال دراسة مقدمات حصار الموصل التاريخية، وتطور تاريخ العراق السياسي، وعلى الاخص خلال العقد الاول من القرن الثامن عشر، وتحليل طبيعة وابعاد الصراع في المنطقة، نستنتج في المحصلة الامور الهامة التالية:

١ ـ تطور حلقة الصراع المرير بين العثمانيين والفرس أدّى لأن يتخذ في هذه الحقبة التاريخية طابع الحرب الاقليمية ـ الامبراطورية في صد العراق امتدادات ايران عن نفسه، بين انتصار وانحسار فقد استطاع ان يحتل عدة مدن ايرانية مهمة مثل كرمنشاه وهمدان ويمتد في عمق كبير في ايران اثناء الحكم الافغاني لها. . أو ان تنحسر فاعليته حتى عن اراضيه فتقع مدنه وخطوطه ومسالكه تحت سيطرة ايران أو وطأة الحصارات العسكرية والاقتصادية.

٢ ـ بروز نادرشاه، ذلك الخان والامبراطور الشرس الذي تصاعد في بلاط الصفويين ثم قضى عليهم، وسيطر على مقاليد الحكم في ايران ورغم الحروب الاهلية الداخلية في ايران فان هذا الشاه اشعل المنطقة جميعاً بالحروب والمعارك الطاحنة وعلى نحو دموي ولن ينصفه التاريخ بما صنع من احداث قاسية سببها ايقاده لفتيل التطاحن المذهبي في مختلف الاقاليم، ثم اطماعه الشريرة وخصوصاً استماتته القاتلة في السيطرة على العراق من شماله حتى جنوبه؛ مستخدماً الغطاء الديني لاغراض سياسية بحتة ضد شعب العراق بكل فئاته وطوائفه.

٣ ـ كان لقدر العراق ان يبرز خلال هذه الحقبة التاريخية الصعبة ثلاثة من القادة الابطال، والذين لعبوا ادواراً مختلفة وفي فترات متباينة ضد اعتداءات ايران وهم كل من الوزير احمد باشا والي بغداد فاتح همدان سنة ١٧٢٤ م، وكان شخصية غريبة الاطوار في مواقفه التاريخية وعلاقاته السياسية. والصدر الاعظم السابق طوبال عثمان باشا ابن تركيا، وقد خلّص العراق من براثن نادرشاه في حملة الاخير على العراق سنة ١٧٣٣ م. ثم الوزير الحاج حسين باشا الجليلي والي الموصل وابنها، وهو الذي خلصها من نادرشاه في حصار الاخير لها ـ وهو ما سيعالجه هذا البحث في فصله الثالث ـ، وذلك اثناء حملة نادرشاه الكبرى على العراق سنة ١٧٤٣ م. اضافة الى جهود هذا الوالي السابقة على النحو الذي رأينا سلفاً، في صده لحملة نركزخان الايرانية عن الموصل ومشاركته بغداد والامبراطورية ضد ايران.

٤ ـ كان العراق خلال هذه الحقبة التاريخية المتواصلة حتى انتصار الموصل في ساحته الجغرافية قد شغل ميداناً حقيقياً للصراع عبر منافذه الشرقية، وقد تمثل ذلك بغارات الحدود.. الحرب المنظمة، حصارات مدنه الكبرى.. الحرب الاقتصادية واستنزاف طاقاته البشرية وموارده الطبيعية والسيطرة على انهاره ومسالكه التجارية واطرافه وتخومه. رغم الفجوات الزمنية التي عاش خلالها في ظل علاقات دوبلوماسية محمومة ومتوترة.

٥ ـ ثبات ورسوخ الحدود الشرقية ـ القديمة للعراق، واعتراف ايران رسمياً بها لعدة مرات ـ على النحو الذي رأينا ـ. وتعتبر الفواصل الطبيعية من امتدادات الجبال الشاهقة هي الحدود بين كل من الدولتين.. ويدخل ضمن الحدود كمناطق عراقية كل من: قصر شيرين ـ كرند ـ درنه ـ زهاب (زهاو) ـ ساربولى زهاب وامتداداتها جنوباً في المناطق البختيارية والعربية شرقي شط العرب. وقد اشتهرت هذه الحدود سياسياً ومن خلال المعاهدات بحدود السلطان مراد الرابع بعد الفتح العثماني الثاني للعراق سنة ١٦٣٨ م.

٦ ـ نكث ايران للعهود والمواثيق الدولية قد اصبح امراً مألوفاً، وبدون اسباب حقيقية كما يتراءى ذلك للمؤرخ ولمن يعني بجذور العلاقات السياسية بين دول المنطقة. وقد رأينا ذلك متمثلاً بما انتهت اليه الاتفاقات التي جرت عام ١٧٢٧ م بعد الحرب الايرانية الشرهة عام ١٧٢٣ م/ ١١٣٦ هـ. ثم اتفاق عام ١٧٣٢ م الذي انتهى الى توقيع معاهدة ١٧/١٠/١٧٣٦ م، والغائها

من قبل نادرشاه في اعلانه لمطاليبه السياسية وشروطه التعجيزية امام البلاط العثماني.

٧ ـ شغلت بغداد اهمية سياسية كبيرة حتى حصارها من قبل الايرانيين عام ١٧٣٣ م . . اذ ادت تطورات الاحداث لأن تزداد الاهمية السياسية للموصل اضافة لما كانت تحتله من مكانة اقتصادية ـ عسكرية، وعلى الاخص بعد صدّها لحملة نركزخان الايرانية عليها عام ١٧٣٢ م، وتوثق ارتباطها بالسلطة المركزية، واستقرت ادارياً في السنوات الاولى من الحكم المحلي لها . . في وقت تضاءل موقف بغداد بعد نقل واليها الوزير احمد باشا منها وذلك لمواقفه المتأرجحة في خلقة الصراع الدائر وزحمته الحربية وعلى الاخص من طوپال عثمان باشا، ثم رجوع هذا الوالي واسترداد مكانته السياسية العالية.

٨ ـ حمل العراق على كاهله خلال هذه الفترة معظم الاحداث الجسام لمنطقة الشرق الادنى . . وكانت طبيعة تلك الاحداث التاريخية تسير بديناميكية متطورة تارة ومنتكسة اخرى في خط تراكمي يعج بالتحديات السياسية والعسكرية والاقتصادية منذ عشرينات القرن الثامن عشر نحو المواجهة الكبرى مع ايران والتي مثلها حصار الموصل في الاربعينيات منه، وقد مثل الحصار المذكور ـ كما سنرى ـ اعلى درجات الحسم في سلسلة تطورات الصراع العثماني ـ الايراني من طرف، كما وكان آخر اعمال نادرشاه الجبارة، من طرف آخر، رغم فشله المرير، هذا اذا علمنا بأن الحملة الايرانية الكبرى لنادرشاه التي قادت الى حصار الموصل تعد اعتى واعظم حملة ايرانية قادها نادرشاه خلال حياته، وعرفها العراق خلال تاريخه الحديث.

٩ ـ تعدد الاسباب وتشابكها وتنوعها والتي قادت الى تجريد نادرشاه لحملته الكبرى على العراق سنة ١٧٤٢ ـ ١٧٤٣ م . . تلك الاسباب المباشرة وغير المباشرة التي تبدأ بصورة فعلية بعد اندحار السردار عبدالله باشا الكوبرلي قائد جيوش اقاليم الشرق امام نادرشاه قرب اريفان عاصمة ارمينية سنة ١٧٣٥ م/ ١١٤٧ هـ. ولم تقتصر الاسباب التاريخية أو حتى الشروط التعجيزية لنادرشاه على الطابع الديني والمنحى المذهبي، بل شملتها قضايا سياسية واقتصادية ثم الاطماع المتأصلة بجغرافية المنطقة والسيطرة العسكرية على اهم الاقاليم والتخوم والمسالك، وما لحق ذلك كله من عطل في الدوبلوماسية، وباءت جهود السلام بين الطرفين العثماني والايراني بالفشل،

مما ادى لأن يجرد نادرشاه حملته ويبدأ بالزحف على العراق، وسنجد وقفة الشعب العراقي كاملاً ضد نادرشاه واطماعه السياسية الكبرى.

(ملاحظات ونقدات)

1 — Von Hammer—Purgstall, Geschichte der Osmanischen Reich, Band 4, Wein 1828, P. 594.

2 — Ibid.; see also:

عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، جـ ٤، بغداد ١٩٣٥، ص ١٨٣.

ياسين الخطيب العمري، زبدة الآثار الجلية في الحوادث الارضية، انتخاب الدكتور داؤد الجلبي، تحقيق الدكتور عماد رؤوف، النجف ١٩٧٤، ص ٦٥.

4 — Hammer, op. cit., Band 4, PP. 594—97;. see also (Islam Ansiklopedisi, Cilt 7, P. 297); (ومعلومات متفرقة من مخطوطة عالم اراي..)

وانظر (ابراهيم بجوى، تاريخ...، استانبول ١٢٨٣ هـ، جـ ٢، ص ٩٦).

٥ ـ زبدة...، ص ٦٥.

٦ ـ محمد امين الخطيب العمري، منهل الاولياء ومشرب الاصفياء في سادات الموصل الحدباء، تحقيق المؤرخ سعيد الديوه جي، الموصل ١٩٦٧ جـ ١، ص ١٣٦.

٧ ـ ع. العزاوي، المصدر السابق، جـ ٤، ص ١٨٣.

٨ ـ ياسين الخطيب العمري، الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون، (مخطوط) نسخة (Paris) من الكتاب الاول ـ (عربيات رقم ٤٩٤٩)، ورقة 252 a.

٩ ـ عن تفاصيل فتح السلطان مراد الرابع لبغداد عام ١٦٣٨ م. راجع:

Hammer, op. cit., Band 4, P. 596; Lorimer, Gazetteer of the Arab Gulf, I, (Historical Part), IB, Holand 1970, PP. 1183—5; S.H. Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, Oxford 1925, PP. 68—74.

١٠ ـ ياسين الخطيب العمري، منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء، تحقيق المؤرخ: سعيد الديوه جي، الموصل ١٩٥٥، ص ١٧٤.

١١ ـ المصدر نفسه، ص ١٧٤.

١٢ ـ الزبدة...، ص ٧١.

١٣ ـ ع. العزاوي، المصدر السابق، جـ ٥، ص ١٠٧. ومن الجدير بالذكر انه، خلال هذه السنة اجتاحت الموصل موجة غلاء وقحط شديد. انظر، الزبدة...، ص ٧٣.

14 — Percy Kemp, Mosul and Mosuli Historions of the Jalili era (1726—1834), —Ph. D. thesis—Oxford Bodilian Library, P. 56.

15 — Ibid.

١٦ ـ فصّل ذلك المؤرخ فون هامر باعتماده على المصادر التركية. انظر
(Hammer, op. cit, 3,201).

17 — Longrigg, op. cit., P. 113;

وانظر ما ذكره د. عماد عبدالسلام رؤوف في: الموصل في العهد العثماني ـ فترة الحكم المحلي ـ، النجف ١٩٧٥، ص ٣٣، ملاحظة رقم (١) نقلاً عن، مرتضى نظمي زاده، كلشن خلفا، ٩٤ ب. وراجع تفاصيل الفترة التاريخية عند الشيخ عبدالرحمن السويدي، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء (تاريخ بغداد)، تحقيق الدكتور صفاء خلوصي، بغداد ١٩٦٢. ونشر الاثري القسم الخاص بحصار بغداد، راجع: ذرائع العطيات.. بغداد، ١٩٨١.

18 — Halil Inalcik in his artical, "The Ottoman Economic Mind and Aspect of the Ottoman Economy", Journal titled, Studies in the Economic History of the Middle East, ed. by M.A. Cook, London 1970, P. 213.

19 — Longrigg, op. cit., P. 3; see also, Robert W. Olson, The Seige of Mosul and Ottoman—Persian Relations 1718—1743, Indiana University 1975, Chap. titled "The Strategic Importance of Mosul", PP. 11—12.

20 — E. Monroe, The Middle East, (Survey), London 1954, P. 256.

21 — Kemp, op. cit., P. 56; see also,

د. عماد رؤوف، المرجع السابق، ص ٢٩٨.

22 — Ibid.

٢٣ ـ انظر خريطة ولاية الموصل في الكتاب الجغرافي ـ التاريخي المتخصص:
D.E. Pitcher, An Historical Geography of the Ottoman Empire from the earliest times to the end of the sixteenth century, Leiden—Brill 1972, Map No. (XXXII).

٢٤ ـ العوامات أو الاكلاك، هي السفن الصغيرة المصنوعة من الجلود المنفوخة. راجع اهميتها وتفاصيل عنها عند الرحالة كرستيان نيبور في كتابه الشهير:
C. Niebuhr, Reisebeschreibung nach Arabian und andern —— —— Umliegende, Landern 1908, vol. 2, PP. 286—89; see also, Johrnal of the American Oriental Society (JAOS), second vol., New York—London 1851, P. 113.

25 — John Ussher, London to Pesopolis, including Wanderings in Daghestan, Georgia, Armenia and Persia, London 1865, —the last chap. —PP. 196 ——.

٢٦ ـ راجع الفهرس الجامع للمؤرخ الموصلي الشهير ياسين العمري لأسماء القرى والتوابع لمركز الموصل وولايتها واطرافها مع تخصص في بعض معلوماته في كتابه عن تاريخ الموصل المحلي(المنية . . ، ص ١٢٨ ـ ١٦٨).

٢٧ ـ عن الخصائص الاقتصادية ـ الزراعية ، ووصف المنطقة . راجع:
(JAOS), op. cit., second vol., PP. 106—112.

٢٨ ـ استنتاجات عن تحليلات جغرافية متنوعة .

29 — The Encyclopaedia of Islam, I ed., vol. III, (مادة نادرشاه), P. 810.

٣٠ ـ ميرزا مهدي خان استر آبادي ، جهانكشاى نادرى، باهتمام سيد عبدالله انوار، تهران ١٣٤١ ، جاب بهمن، ص ٤٢.

31 — Sir P. Sykes, A History of Persia, London 1930, vol. II, P. 247.

32 — Ibid.

33 — J. Fraser, The History of Nadir Shah, London 1742, PP. 24—31.

34 — Ibid., see also, Sykes, op. cit., vol. II, P. 248.

٣٥ ـ ما توصل اليه المؤرخ سايكس، ومن المحتمل انه قد اطلع على هذه المصادر.
انظر: (Sykes, op. cit., vol. II, P. 248).

36 — L. Lockhart, Nadir Shah, London 1938, P. 64.

37 — Ibid.

٣٨ ـ اعتمدت في كتابتي لهذا المجمل التاريخي المتعاقب لسني التطور السياسي والاحداث الكبرى التي اقتص كل حدث فيها سنة من حياة نادرشاه السياسية والعسكرية على المصادر التالية:
The Ency. of Islam, op. cit., vol. III of the first addition, PP 810—812; انظر ما يختص بالعلاقات العثمانية في الانسكلوبيديا التركية
Islam Ansiklopedisi, 9 Cilt—in progress, (مادة نادرشاه), Istanbul 1964, PP. 21—31; see also, W. Jones, History of the life of Nadir Shah, King of Persia, London 1773,
وهو الكتاب الذي اوجزه صاحبه بالانكليزية عن ترجمته الافرنسية الموسومة:
(Histoire de Nadir Chah, London 1770; also, Shaik Ali Hazin, Ta'rikh—i Ahwal, ed. and transl. by Belfour, London 1831, PP. 162—282.

اضافة الى كتابات كل من فريزر وسايكس ولوكهارت

٣٩ ـ يخطئ المستشرق (V. Minorsky) في مقالته عن نادرشاه في الانسكلوبيديا الاسلامية عند ذكره ان اغتيال نادرشاه جرى في ٢٠ حزيران/ ١١٤٧ م؟، والصحيح هو (سنة ١٧٤٧ م). انظر وقارن :

The Enc. of Islam, 1st. ed., vol. III, P. 813.

٤٠ ـ تفاصيل هذه المعلومات التاريخية في المذكرة الرسمية ـ الجغرافية (بالانكليزية)، تحت عنوان IRAQ الصادرة في شهر سبتمبر ١٩٤٤ م (Naval Intellrgence Division ———) London, P. 257. (Survey book).

41 — Mortimer Durand, Nadir Shah, London 1908, P. 76.

وانظر وجهة النظر الايرانية لمسببات استفحال الصراع عند: (ابو تراب سردادور)، تاريخ نظامي وسياسي، دوران نادرشاه افشار، تهران —— (بالفارسية).

٤٢ ـ تفاصيل تاريخية متخصصة عن حكم السلطان محمود الاول في الانسكلوبيديا التركية :

Islam Ansiklopedisi, vol. 7 in progress, Istanbul 1955—7, PP. 158—165, (مادة محمود الاول)

٤٣ ـ عن تفاصيل حركة العصيان الانكشاري وعلاقاتها السياسية في احداث الشرق الادنى. راجع : R. Olson, op. cit., Chap. IV, PP. 89—108.

٤٤ ـ عن تفاصيل معاهدة (كارلوفتش Karlowitz). انظر:

Artical titled "Ottoman Diplomacy at Karlowitz" in (JAOS), 87, No. 4, (Oct.—Dec. 1967), PP. 498—512.

45 — S. Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, vol. I, Cambridge 1976, PP. 244—5.

46 — Ibid.

٤٧ ـ عن معاهدة بلغراد الشهيرة، مفاوضاتها وبنودها الاستراتيجية. انظر:

Uzuncarsli, Osmanli Tarihi, vol. 4, Pts. I, Ankara 1956, P. 290; see also, Shaw, op. cit., vol. I, P. 245.

48 — Longrigg, op. cit., Chap. No. VI titled "Battles of Giants", PP. 123—162.

49 — Ibid.,

وانظر صفحات متعددة من كتاب السويدي المذكور سلفاً عن تفاصيل نشوء ورسوخ حكم الوزير حسن باشا لبغداد.

٥٠ ـ د. عماد ع رؤوف، المرجع السابق، ص ١٨١ . وانظر:

R. Kemp, op. cit., PP. 121—7; see also, R. Olson, op. cit., PP. 168—9.

51 — Karl K. Barbir in his Introduction of the book titled: Ottoman Rule in Damascus 1708—1758, U.S. of America, Princeten Univ. 1980, PP. 3—10.

٥٢ ـ علي اميري، تذكرة شعراء آمد ـ بالتركية ـ مطبعة آمدى ١٣٢٧، عدد (٤)، ص ٢٦٠ ـ ٢٦٥. ومن الجدير بالذكر بأن المؤلف هو دفتردار حلب الاسبق، ثم مؤسس المكتبة الوطنية.

53 — Kemp, op. cit., P. 127.

٥٤ ـ ياسين الخطيب العمري، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، طبعه علي البصري مع تعليقات على الهامش خارجة عما لآداب النشر من اصول، كتبها احد الادباء الذي لم يذكر الناشر البصري اسمه، بغداد ١٩٦٨، ص ١٧٦.

٥٥ ـ السويدي، المصدر السابق، ص ٢٦ ـ ٣١.

56 — Cambridge History of Iran, ed. by W.B. Fisher, vol. 1, Cambridge 1968, P. 323.

57 — Sykes, op. cit., vol. II, P. 258.

58 — Islam Ansiklopedesi, vol. 7, op. cit., P. 158.

59 — Longrigg, op. cit., P. 130.

60 — Ibid.

٦١ ـ السويدي، المصدر السابق، ص ٩٤.

62 — Olson, op. cit., P. 49.

(نقلاً عن تاريخ كوجك زاده جلبي)

وانظر كتاب: رسول حاوي الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء، ترجمة عن التركية موسى كاظم نورس، بيروت ـــ، ص ١٨.

٦٣ ـ د. عماد ع رؤوف، المرجع السابق، ص ٩٦. (نقلاً عن تاريخ الكوراني).

٦٤ ـ وصل خطي ـ همايون البلاط العثماني الى الوزير احمد باشا يأمره فيه ان يستمر في عملياته الحربية ويحافظ على المكتسبات التي حصلها والده، وان يحافظ ايضاً على وحدة الجيوش الانكشارية. انظر: Olson, op. cit., P. 50

٦٥ ـ لقد استغرق حصار همدان ٨٥ يوماً. انظر: (Ibid.) ويتابع المؤرخ (اولسن) نقولاته بالقول ان اسطنبول احتفلت على مدى ثلاثة ايام اثر فتح همدان الايرانية. (نقلاً عن خوجه زاده جلبي).

66 — Hammer, op. cit., 7/318.

67 — Longrigg, op. cit., P. 132.

٦٨ ـ غاية المرام...، سبق ذكره، ص ١٧٩.

٦٩ ـ انظر بخصوص المفاوضات السياسية، وبنود هذه المعاهدة. راجع:
Hammer, op. cit., 7/318—19.

٧٠ ـ غاية المرام. . . ، ص ١٧٩.

٧١ ـ انظر تفاصيل حركة وتصاعد النفوذ العسكري ـ القبلي لنادر كولي في كتاب (الاستر آبادي المذكور اعلاه، الفصل الاول).

72 — Sykes, op. cit., vol. 2, P. 259.

٧٣ ـ لقد تقهقرت الجيوش الافغانية وقتل اشرف خان قرب شيراز، وذلك في ١٧٢٩/١٢/٢٤ م. راجع: Olson, op. cit., P. 55.

٧٤ ـ تجد التفاصيل المحلية والاقليمية عن هذه المرحلة من تاريخ افغانستان عند نامة احمد شاه بابا، بنام سلطان مصطفى ثالث عثماني، تعليق وتحشية، غلام جيلاني جلالي، افغانستان كابل ١٣٤٦ ش، دولتي مطبعي، ص ٨٣ ـ ٩٢، (بعض التعليقات من وجهة نظر ايرانية متطرفة).

75 — Longrigg, op. cit., P. 135.

76 — W. Jones, op. cit., P. 32.

77 — Hammer, op. cit., 7/381—3; also, Longrigg, op. cit., P. 135.

٧٨ ـ راجع الترجمة الوافية لحياة والي الموصل الجليلي الحاج حسين باشا التي كتبها الدكتور سليم النعيمي في هوامش تحقيقه لكتاب محمد بن مصطفى الغلامي الموسوم، شمامة العنبر والزهر المعنبر، بغداد ١٩٧٧، الملاحظة رقم (٢)، هوامش صفحات ٨٨ ـ ٩٠، وقارن الدوحة. . ، المذكورة سلفا، ص ٢٧ مع الشمامة المذكورة اعلاه، الهوامش نفسها.

79 — Longrigg, op. cit., P. 136, (نقلاً عن الاصل صبحي); see also, Olson, op. cit., P. 90.

تقع كوريجان Kurijan، شمال همدان بنحو عشرين ميلاً.

٨٠ ـ راجع نص الفرمان العثماني عند تاريخ صبحي (الرواية الاصلية):

Subhi Tarih, published in Istanbul 1198 A.H. 1783—4 A.D., PP. 50—51.

81 — Ibid.. (نقلها هامر عن صبحي، ونقلها لونكريك عن هامر، انظر: (Longrigg, op. cit.. P. 68.)

وراجع التحليل التاريخي للمعلومات الجديدة التي حصلها اولسن عن المعاهدة نقلاً عن وثائق (Kinnoul): وهي رسائله المؤرخة في ١٧٣٣/١/١٣ م.

٨٢ ـ خلع الشاه طهماسب بعد ايام من وصول نادر قولي خان الى اصبهان في ٢٥/آب/١٧٣٢ م، (Olson, P. 93). وكان ولده عباس ميرزا يبلغ من العمر ثمانية اشهر، (Lockart, P. 13). في حين يذكر هامر ان عمره كان يبلغ اربعون يوماً، (Hammer, 7/424).

83 — W. Jones, op. cit., P. 41; see also, Hammer, op. cit., 7/424—25.

84 — Longrigg, op. cit., P. 137.

85 — Muhammad Ali Hikmat, Essai sur l'Histoire des Relations Irano—Ottomanes de 1722—47, Paris 1937, P. 92—3;

وفي الكتاب نقاشات طويلة عريضة حول علاقات كل من الدولتين.. تلك العلاقات المرتبطة بالفلسفة الدينية والامور السياسية لكل منهما.

٨٦ - لقد بدأت عمليات حرب نادر قولي ضد العراق منذ سنة ١٧٣٢ م، ولكن بصورة متفرقة، وخصوصاً في اصقاع شمال العراق. انظر:

(Hammer, op. cit., 7/425)

87 — Jones Hanway, The Revolutions of Persia Containing the History of the Celebrated Usurper Nadir Kouli, vol. 2, P. 75.

88 — Ibid., vol. 2, P. 76; وقد نقل عنه المؤرخ لونكريك ذلك
cf. Longrigg, op. cit., P. 139.

٨٩ - ياسين العمري، مخطوط (الدر المكنون..)، نسخة (Paris)، ورقة 307a.

٩٠ - المخطوط نفسه، وانظر تفاصيل اكثر من المعلومات في (الدر المكنون..) نسخة (British Museum) المرقمة (Add 23312) ورقة 307a.

٩١ - تفصيلات محلية عن حركات نادر كولي الحربية في المعلومات التاريخية التي كتبها احد شهود عيان الاحداث في هوامش احدى المخطوطات السريانية وقد عربها ونشرها دير نوسيس صائغيان في مجلة (لغة العرب) العراقية، عدد (٧)، سنة ١٩٢٩ م، ص ٣٧٩ - ٣٨٣. ثم اعاد تعريبها ونشرها مؤخراً الاب د. بطرس حداد في مجلة (بين النهرين) الموصلية، العدد (٣٣)، الموصل ١٩٨١، ص ٩١ - ٩٩، وقد اعتمدت المرجع الاخير.

٩٢ - المرجع نفسه، ص ٩٤.

٩٣ - المرجع نفسه، ص ٩٥.

٩٤ - علي اميري، المصدر السابق، ص ٢٦١؛ وانظر نسخة (Paris) من مخطوط (الدر المكنون..)، ورقة 294a.

٩٥ - ان التاريخ الهجري ١٥/ شوال/ ١١٤٥ هـ يقابل بالميلادي ١١/ نيسان/ ١٧٣٣ م، ويخطئ المؤرخ اولسن بجعله اياه ٣١/ آذار/ ١٧٣٢ م (cf. Olson, P. 95) اما المؤرخ سليمان صايغ فانه يخطئ بذكره ان الهجوم على الموصل قد جاء بعد سقوط بغداد والعكس هو الصحيح اي قبل حصار بغداد بوقت طويل، والخطأ الآخر الذي يقع فيه صايغ ان الهجوم الايراني على الموصل قد وقع سنة ١٧٣٢ م. انظر (سليمان صايغ، تاريخ الموصل، جـ ١، القاهرة ١٩٢٤ م، ص ٢٥٧).

٩٦ ـ المنهل . . ، جـ ١ ، ص ١٤٧ ؛ سالنامة الموصل ، ١٣١٠ عربي ، بالتركية ، ص ٢٦٩ ؛ صايغ ، تاريخ . . ، جـ ١ ، ص ٢٧٦ ؛ اميري ، المصدر السابق ، ص ٢٦١ . وانظر:
Olson, op. cit., P. 95.

٩٧ ـ المصادر المذكورة اعلاه ، علماً بان كلاً من المؤرخين هامر ولوكهارت يخطئان في ذكرهما ان قيادة جيوش الاطراف على كل من الموصل وكركوك كانت تحت قيادة نادر كولي نفسه .(cf. Hammer, 7,427 with Lockhart, P. 64.)

٩٨ ـ قصر علي قدوم : هو القصر الذي بناه والي الموصل علي كدوم سنة ١٠٩٨ والذي تولى الموصل مرتين ، وينحدر هذا الوالي العربي من قبيلة طي ، ويعرف عند الباب العالي بـ (عرب علي باشا) ، وقد اشتهر قصره هذا بـ (الايوان) ، وموقعه في الميدان الذي يقوم في منطقة الغزلاني العالية على الناحية الجنوبية من الموصل والمطلة على حاوي الموصل الذي يقوم عليه مطار الموصل اليوم . راجع عن محليات هذا الوالي في مخطوط (الدر المكنون) ، نسخة (Paris) ، ورقة 284a ؛ ايضاً ، المنية . . ص ٧٧ . ولقد ذكر محققها الديوه جي : ان ابا علي قدوم كان من ربيعة وانه ـ اي الوالي ـ قد توفي سنة ١٠٨٥ هـ ، (المنية . . ، ص ٧٧ ، ملاحظة رقم ١) ، في حين نعلم انه من طي وقد تولى الموصل مرة اولى سنة ١٠٩٦ هـ ، وتولاها ثانية سنة ١٠٩٨ هـ ، وتوفي سنة ١١٠٨ هـ . (مخطوط قرة العينين . . لياسين العمري 21b ؛ (Ali Pasha Arabci; Islam Ansiklopedisi, I. Cilt —— Istanbul 1941, PP. 324—25).

٩٩ ـ المنهل ، جـ ١ ، ص ١٤٧ ؛ اميري ، المصدر السابق ، ص ٢٦١ . وانظر
Olson, op. cit., P. 95.

١٠٠ ـ المنهل ، جـ ١ ، ص ١٤٧ ؛ سالنامة الموصل ، المذكورة اعلاه ، ص ٢٧٠ . ايضاً .
Olson, op. cit., P. 95.

101 — Ibid.

102 — Hammer, op. cit, 7/427—8; Olson, op. cit., P. 104; see also (دوحة الوزراء . . ، ص ٣٨)

١٠٣ ـ دكتر رضا زاده شفق ، نادرشاه ، سلسلة انتشارات انجمن اثارنلي (٣٩) بالفارسية ، اسفندماه ١٣٣٩ ، جاب تابان ، ص ٩٤ .

104 — Hammer, op. cit., 7/428.

105 — Ibid.; also, Longrigg, op. cit., P. 139.

١٠٦ ـ ما ذكره المؤرخ ياسين العمري عن نهب الايرانيين لرساتيق وبساتين بغداد (زبدة . . ، ص ٨٨) ، وقارن (الدوحة . . ، ص ٣٠) . وانظر عن الاحوال الاقتصادية واسعار المواد الغذائية داخل اسوار بغداد في المعلومات السريانية التي مررنا بذكرها . (المرجع السابق ، ص ٩٧) وانظر Longrigg, op. cit., P. 139.

107 — Longrigg, op. cit., P. 140.

108 — Olson, op. cit., P. 96.

١٠٩ ـ شغل الوزير التركي طوبال عثمان باشا المولود في اليونان، والمتخرج من كليات اسطنبول منصب الوزارة العظمى للامبراطورية خلال ١٧٣١ ـ ١٧٣٢. وانظر
(Shaw, op. cit., vol. 2, P. 241).

110 — Olson, op. cit., P. 96.

وقد غادر طوبال عثمان باشا الموصل في ١٨/ حزيران/ ١٧٣٣ م، وقد استغرق طريقه من الموصل حتى ارض المعركة ٣١ يوماً، فقد وقعت المعركة الفاصلة مع الايرانيين في يوم ١٩/ تموز/ ١٧٣٣ م. انظر (Hammer, op. cit., 7/429—431)

111 — W. Jones, op. cit., P. 36.

نقلاً وترجمة لكتاب الاسترباذي بالايرانية والمذكور اعلاه، قارن ص ٢٠٩. وقد نقل لونكريك عن جونز المعلومات ذاتها.

١١٢ ـ الزبدة. . .، ص ٩٠، وتؤيد ذلك المعلومات السريانية، المرجع السابق، ص ٩٧.

١١٣ ـ هامش المعلومات السريانية، المرجع السابق، ص ٩٧.

١١٤ ـ شرح تفاصيل ذلك التكتيك العسكري، المؤرخ لونكريك نقلاً عن هامر انظر:
Longrigg, op. cit., P. 141.

١١٥ ـ يذكر المؤرخ ياسين العمري بأن المعركة قد وقعت في مكان يقال له (العظيم) من نواحي شهرزور (مخطوط الدر المكنون، نسخة (Paris) ورقة 294b). ومن المحتمل ان الموقع بالضبط كان عند ملتقى نهر العظيم بدجلة. والذي يبعد ١٥ ميلاً جنوب بلد. ويختلف بعض المؤرخين في تحديد موقع المعركة ومنهم المؤرخ فون هامر (Hammer, op. cit., 7/431) ويذكر محمد امين زكي ان المعركة وقعت عند مصب (شط الادهم) في دجلة. انظر (محمد امين زكي، تاريخ الكرد والكردستان، القاهرة، ١٩٣٦، ص ٢٢٧).

116 — Hammer, op. cit., 7/430; see also, Longrigg, op. cit., PP. 141—2; Islam Ansiklopedisi, Cilt 2 in Progress, (مادة مدينة بغداد), P. 207.

117 — Ibid., see also, Mary Lucille Shay, The Ottoman Empire from 1720 to 1734, Reprinted in New York 1978, PP. 144—5

118 — Ibid.

119 — Ibid.

120 — M.A. Hikmat, op. cit., P. 126

121 — Tarih Subhi, op. cit., P. 206

122 — Ibid.

١٢٣ ـ يذكر تقرير (Nicodene) الذي يورده هامر بأن حامية بغداد قتلت ثمانية آلاف جندي فارسي، ويتابع لونكريك ذلك بالضبط عن هامر (cf. Longrigg, op. cit., P. 143, with Hammer, 7/432) ويخطئ المؤرخ اولسن في ملاحظته عن ذلك من خلال مقارنته فقد ذكر قائلاً «بان تقرير (Nicodene) قد بلغ العدد عنده ستة آلاف قتيل وتابعه بذلك لونكريك». انظر (Olson, op. cit., P. 111, n. 50). في حين يبالغ المؤرخ لوكهارت في ذكره ان حامية بغداد قتلت اثني عشر الف فارسياً. انظر (Lockhart, op. cit., P. 74).

١٢٤ ـ هامش المعلومات السريانية، المرجع السابق، ص ٩٧.

١٢٥ ـ تحرك الوزير طوبال عثمان باشا نحو مدينة بغداد الجريحة بعد خمسة ايام من انتصاره الكبير فقد دخلها يوم ٢٤/ تموز/ ١٧٣٣ م، وهو يحيّ مستقبليه بتواضع شديد. (Hammer, op. cit., 7/430)

126 — Ibid.

١٢٧ ـ هامش المعلومات السريانية، المرجع السابق، ص ٩٨، والذي يذكر بأن فترة بقاء طوبال عثمان باشا ببغداد هي ثلاثة أيام فقط.

128 — Hammer, op. cit., 7/426.

١٢٩ ـ يذكر المؤرخ هامر معتمداً على تقرير (Nicodene)، بأن عدد قتل المجاعة داخل اسوار بغداد قد بلغ ١٢٠ الفا من البشر. انظر: Ibid., P. 428; also, Hanway, op. cit., 2/36.

١٣٠ ـ رميت اكثر من عشرين الف جثة في نهر دجلة من قتلى المجاعة الطاحنة في بغداد. انظر (Ibid)، ايضاً كتاب المؤرخة الامريكية ميرى لوسلى شاى في تفصيلاتها عن هذه الحوادث، (Shay, op. cit., P. 145)

١٣١ ـ هامش المعلومات السريانية، المرجع السابق، ص ٩٨.

132 — A. Hikmat, op. cit., P. 129.

١٣٣ ـ انظر: دوحة...، ص ٣٥؛ زبدة...، ص ٩٠، التي يشرح صاحبها المؤرخ ياسين العمري في مخطوطه الكبير (الدر المكنون) بأن الوالي احمد باشا قدم نصيحته الى طوبال بتسريح الجيوش نظراً لقدوم الشتاء وعليهم بالرجوع اليه بعد انقضائه فتفرقت الجيوش الى الاقاليم والانحاء والتخوم البعيدة. انظر (الدر المكنون...، نسخة Brit. Mus.)، ورقة 317b).

١٣٤ ـ يذكر لونكريك ان طوبال عثمان باشا بعد ان زار بغداد بقي مستريحاً ثمانية ايام قربها قبيل مغادرته نحو الشمال (Longrigg, op. cit., P. 143)، ولكن معلومات كركوك السريانية، والتي تعتبر اقرب المصادر الى الحدث تذكر بأن وصول طوبال باشا الى كركوك كان في ٢٧/ تموز، اي بعد ثمانية ايام من المعركة بالذات. انظر (هامش المعلومات السريانية، المرجع السابق، ص ٧٨) من هنا نعلم بأن طوبال باشا قد زار بغداد واستراح بعد ذلك ٨ أيام فقط.

١٣٥ ـ زحف طوبال باشا بمن تبقى من جيشه الانكشاري مع الوحدة العسكرية ـ المصرية (زبدة. . ، ص ٩٠)، والبالغ ٥٠ الفاً، (Hammer, 7/433). ويذكر ياسين العمري بان الفرقة المصرية قدمت الى الموصل ثم التحقت بطوبال في كركوك (الدر المكنون. . ، نسخة (Brit. Mus)، ورقة 317b.

136 — Longrigg, op. cit., P. 144.

137 — Ibid., see also, M.L. Shay, op. cit., P. 146.

١٣٨ ـ يخطئ المترجم جعفر خياط في مقابلته للسنة ١٧٣٣ م، في ترجمته لكتاب لونكريك، ويجعلها سنة ١١٤٢ هـ، في حين انها تقابل ١١٤٦ هـ.الترجمة الموسومة اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، بغداد ١٩٦٢، ص ١٤٣.

١٣٩ ـ عن هامش المعلومات السريانية، المرجع السابق، ص ٩٩.

١٤٠ ـ مخطوط (الدر المكنون. .)، نسخة (Paris)، ورقة 294b.

١٤١ ـ مخطوط (الدر المكنون. .)، نسخة (Brit. Mus.)، ورقة 318a. ويذكر مؤلفها بأن الفرقة المصرية قد ابيدت عن آخرها كونها من المشاة.

١٤٢ ـ المخطوط نفسه، ورقة 318a. وانظر (Shay, op. cit., P. 147) ويبدو خطأً ان الوزير عبدالله باشا الكوبرلى قد كان على رأس قواته المصرية اثناء المعارك التي خاضها طوبال باشا، فقد ذكر المؤرخ ياسين العمري ذلك، ولكنه خلط في نهاية الامر، ذاكراً بأن كلا من الوزيرين طوبال والكوبرلى قد قتلا في المعركة الاخيرة. (الدر المكنون. . ، نسخة (Brit. Mus.)، ورقة 318a)، علماً بأن الوزير الكوبرلى قتل في معركة اخرى سنأتي عليها، انظر: E.S. Creasy, History of the Ottoman Turks, Beirut 1961, PP. 352—53. (نقل كريسي معلوماته عن هانوى، وقد الّف كتابه اعلاه في القرن التاسع عشر).

١٤٣ ـ مخطوط (الدر المكنون)، نسخة (Paris)، ورقة 295a.

144 — Olson, op. cit., P. 97.

145 — Longrigg, op. cit., P. 146.

١٤٦ ـ ادناه ـ بايجاز ـ مضامين بنود المعاهدة العراقية ـ الايرانية، والتي استغرقت مفاوضاتها الاخيرة للفترة ٩ ـ ١٩/ ديسمبر/ كانون اول/ ١٧٣٣ م.

١ ـ اعادة الحدود العراقية القديمة لسنة ١٦٣٩ م.

٢ ـ اطلاق سراح الاسرى بين الطرفين اضافة الى مبادلة المدافع.

٣ ـ يسمح للايرانيين زيارة العتبات المقدسة قرب بغداد دون دفع اية ضريبة للموظفين العثمانيين.

لغرض التوسع في تفاصيل المعاهدة ومفاوضاتها وبنودها، ارجع الى:
Uzuncarsili, op. cit., vol. 4, PP. 226—7; Hammer, op. cit., 7/434—6; Lockhart, op. cit., P. 75; Olson, op. cit., P. 96.

147 — Ibid.

148 — Ibid

١٤٩ ـ مخطوط (الدر المكنون)، نسخة (Paris)، ورقة 295a.

١٥٠ ـ نسخة المخطوط نفسها.

١٥١ ـ نسخة المخطوط نفسها.

١٥٢ ـ د. عماد عبدالسلام رؤوف، المرجع السابق، ص ١٠٢.

153 — The Ency. of Oslam, 1St ed., III, P. 811.

154 — Ibid.; and details about that see, Brosset, Histoire de la Georgia, II/1, Chap. titled "Nadir in Tiflis'e gelisi", PP. 129—136.

١٥٥ ـ لقد اتخذ نادر قولي هذا الموقع الاستراتيجي مركزاً له، اما الوزير الكوبرلي فقد توقف قرب اريفان الارمينية، عند سهل (بغاوارد) Baghaward، ويطل هذا المكان على نهر Arpacayi، انظر:

Hammer, op. cit., 7/450—451; The Ency.of Islam, 1St ed. 1ed., III, P. 811.

١٥٦ ـ علي اميري، المصدر السابق، ص ٢٦٥. وراجع التفصيلات التاريخية عند Hammer, op. cit., 7/459—460; Shay, op. cit., P. 146.

١٥٧ ـ علي اميري، المصدر السابق، ص ٢٦٥ ـ ٦. وانظر بهذا الخصوص جهود والي ديار بكر عبدالله باشا جتة جي المشتركة مع جهود الموصل.

158 — Uzuncarsili, op, cit., vol. 4, P. 230.

ويذكر المؤرخ الامريكي (اولسن)، بأن السلطان اقال الوزير الاعظم حكيم اوغلو اسماعيل باشا لأنه كان السبب في اندحار السردار عبدالله باشا الكوبرلي في حربه الفاصلة ضد الايرانيين ويخطئ اولسن بتسمية الوزير الاعظم، إذ يسميه حكيم اوغلو ابراهيم باشا. انظر تحليل ذلك في: (Olson, op. cit., P. 98.)

159 — Islam Ansiklopedisi, 9/26.

160 — Olson, op. cit., PP. 98—9.

161 — Sykes, op. cit., vol. 2, P. 249.

١٦٢ ـ عقد نادرشاه معاهدته مع الروس بعد ان تولى سلطانه، وقد تضمنت المعاهدة ستة بنود قوية امنت مصالحه الكبرى في الامتدادات العليا. انظر:

Olson, op. cit., PP. 99—100.

١٦٣ ـ تضمنت طاولة المفاوضات جدولاً من المقترحات الايرانية القوية وخصوصاً من الناحية الدينية، اوجزها كالآتي:

١ ـ تعيين امير حج ايراني اسوة بكل من الركب الشامي والركب المصري العربيين للحجيج.

٢ ـ الاعتراف بالمذهب الجعفري على انه المدرسة الخامسة في الاسلام.

٣ ـ تبادل الاسرى بين الطرفين.

٤ ـ تنصيب كل من الدولتين قناصلها الذين يسمون بـ «الشاه بندر» وذلك في كل من العاصمتين وان على مساعد القنصل الايراني ان يذهب مع الحجاج الايرانيين الى مكة. انظر تفاصيل ذلك عند:

Uzuncarsili, op. cit., vol. 4, P. 231; (Hammer, op. cit., 7/463—4).

وانظر بالفارسية من وجهة النظر الايرانية كتاب: دكتر بهاءالدين بازاركاد، كرنو ثورى تاريخ ايران، تهران ١٣٤٥، ص ١٥٦ ـ ٧.

١٦٤ ـ لقد استغرقت المفاوضات اكثر من سنة بعد مصرع الكوبرلي اذ كانت آخر جلساتها قد افتتحت في ٣٠/ آذار/ ١٧٣٦ م، وقد انفضت في تاريخ ٢٤/ ايلول/ ١٧٣٦ م، بعد عقد ثمان مؤتمرات. انظر:

Uzuncarsili, op. cit., 4/233; Olson, op. cit., P. 101; Islam Ansiklopedisi, 9/27—8.

١٦٥ ـ انظر فقرة (نادرشاه)، فصل (٢) من هذا البحث.

166 — Longrigg, op. cit., P. 148.

١٦٧ ـ انظر فقرة (نادرشاه)، فصل (٢)، من هذا البحث.

١٦٨ ـ محمد خليل المرادي، سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر، بولاق ١٣٠١ هـ، جـ٢، ص ٢٣٧. ومن الجدير بالذكر بأن المؤرخ ياسين العمري قد ذكر هذه المعلومات سهواً ضمن مجريات عام ١١٥٥ هـ، قارن مخطوط «الدر المكنون»، نسخة (Paris)، ورقة 297a.

169 — Longrigg, op. cit., P. 148; see also, Olson, op. cit., P. 118; details in Hammer, op. cit., 7/464—7.

170 — Ibid.

171 — Lockhart, op. cit., P. 224.

172 — Olson, op. cit., PP. 118—119.

173 — Ibid.

174 — Ibid., P. 119.

175 — A. Hikmat, op. cit., P. 152.

176 — Longrigg, op. cit., P. 149.

177 — J. Hanway, op. cit., vol. 2, PP. 176—7.

١٧٨ ـ التفصيلات لبدأ المرحلة الجديدة في تجريد نادرشاه لحملته الكبرى على العراق وحصاره للموصل وانتصارها عليه ونتائج ذلك في القسم الثاني من هذا البحث بعد دراستنا لمقدماته ومعالجتنا التاريخية لتطور الاحداث.

الفصـل الثالـث

الحملـة الايـرانيـة الكبـرى علـى الـعـراق
وحصـار نادرشـاه للموصـل
سـنة ١٧٤٣ م/ ١١٥٦ هـ

١ ـ العلل والاسباب التاريخية :

بعد دراستنا في الفصل الماضي الظروف التاريخية التي تطورت من خلالها العلاقات الدولية لمنطقة الشرق الادنى في السلم والحرب، والاوضاع السياسية التي كان عليها العراق بصورة خاصة ودول المنطقة بشكل عام. يمكننا ان نلخص الاسباب التاريخية التي قادت الى تجريد نادرشاه ايران لحملته الكبرى على العراق وحصاره للموصل :

(١) الاسباب غير المباشرة :

١ ـ عطل الدوبلوماسية السياسية بين كل من الجانبين العثماني والايراني.
٢ ـ استفحال القوة العسكرية لنادرشاه ايران بعد الانتصارات الحربية التي حققها في كل من الهند وافغانستان وقوقاسيا وارمينية.
٣ ـ برود البلاط العثماني امام التهديدات الايرانية منذ ان حاقت الهزيمة الكبرى بالعثمانيين امام نادرشاه ايران والتي كان ضحيتها سردار الشرق العثماني الوزير عبدالله باشا الكوبرى والي مصر سابقاً.
٤ ـ ازدياد حدة الاطماع الايرانية في السيطرة والتوسع على يد نادرشاه في اكتساحه العراق بصورة خاصة، والشرق العربي وتركية بصورة عامة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.
٥ ـ تعاظم القوة البشرية لامبراطورية نادرشاه ايران وانخراطها في ترسانة ايران الحربية تلك القوة البشرية التي جمعتها فصول قوميات واقليات متعددة استحوذ عليها نادرشاه من انتصارات حروبه في شرق وشمال ووسط وغرب امبراطوريته الايرانية.
٦ ـ هدوء الاوضاع السياسية الداخلية في ايران قبل قيادة نادرشاه لحملته الكبرى على العراق.
٧ ـ نضوب حدة التوتر السياسي والحربي بين ايران نادرشاه قبل قيادته لحملته الكبرى على العراق، وبين الدول التي كانت تجاوره في الشرق والشمال، وعلى الاخص روسيا.
٨ ـ توسع النفوذ الايراني في السيطرة على مياه البحار في كل من بحر قزوين والخليج العربي قاد نادرشاه لكي يتقدم بحملته للسيطرة على كل من منافذ البحر المتوسط والبحر الاسود، ولا يتحقق ذلك الا بالسيطرة على العراق.

٩ ـ السيطرة على المسالك الاستراتيجية البرية والنهرية في العراق ليؤمن اتصالاته التجارية مع اوربا، تلك المسالك التي تعتبر حلقة الوصل الفعّال بين كل من الشرق والغرب.

(٢) الاسباب المباشرة:
١ ـ عدم التفات السلطان العثماني لشروط نادرشاه ايران التعجيزية.
٢ ـ التعاون السياسي ـ الدوبلوماسي المشوب بالسر والحيطة بين كل من نادرشاه ايران وبين والي بغداد الوزير احمد باشا ابن حسن باشا.
٣ ـ السيطرة على الموصل باعتبارها بوابة العراق والشرق، والنفاذ منها نحو الاناضول وبلاد الشام، وتنفيذ نادرشاه لوعده بأن يصل اسطنبول.

ومن المفيد ان نذكر في هذا الباب، ان هناك فصلاً خاصاً عن علل الحرب واسبابها بين العثمانيين والايرانيين في سنة ١٧٤٣ م، كتبه اوتيه (الفصل ٣٩) في الجزء الثاني من رحلته (ص ٣٥٨ ـ ٣٦٦).

٢ ـ الزحف الايراني على العراق وموقف والي بغداد:

زحف نادرشاه بجيوشه الجرارة من ايران، ودخل العراق عبر مدخله الشرقي ـ الوسطي: قصر شيرين ـ مندلي بغداد، [١] وكانت مدينة بغداد تعيش في حالة اقتصادية رديئة نظراً للسياسة التي اتبعها واليها احمد باشا بن حسن باشا بسيطرته على كافة وارداتها من البصرة [٢]. كما انها كانت تعيش حالة رعب وفزع لما ستؤول اليه اوضاع الحرب. [٣] في حين كان نادرشاه قد وصل اطرافها الشرقية وضرب حصاراً متباعداً عليها، وبدأت المفاوضات المطولة بين واليها ونادرشاه، وذلك عن طريق المراسلات العديدة. [٤]

ارسل نادرشاه قبيل اقترابه من بغداد رسالة الى واليها احمد باشا يخبره فيها انه يريد التعايش معه بتفاهم، وسوف لن يسمح لجيشه العظيم ان يقوم بأي عدوان على بغداد واطرافها، وان مرماه الوحيد هو الاستيلاء على الاماكن التي لا تخضع له، وان يمضي في انتصاراته في اراضي السلطان الكبير، ولانه صديقه فهو يسأله ابنة من بناته ليتزوجها، وخمسة اشخاص كرهائن. [٥] لقد كانت هذه المطاليب مدعاة سهلة لوالي بغداد كي يتداول امرها مع مستشاريه، [٦] وقرر ان يرسل

سليمان باشا (٧) وهو احد مساعديه محمّلاً بالهدايا الى نادرشاه، وبعد ايام ارسل سفارة اخرى يعلمه فيها انه - اي والي بغداد - كوال لا يمكنه ان يتخذ امراً، أو يعقد معاهدة دون استشارة الباب العالي، وانه يسأله ان يعطيه مهلة لكي يكتب بذلك الى البلاط العثماني (٨). . ومن الغريب ان رسل بغداد كانت تقتل في الطريق (٩) الى نادرشاه، ولما طال الوقت ارسل نادرشاه مرة اخرى الى بغداد للحصول على رد ايجابي بتسليمه بغداد، وعندما وصلت رسله بغداد، احتفل بهم واليها احتفالاً عظيماً، وارسلهم مثقلين بالهدايا من ضمنها مائتا فرس من اجمل الاصناف، وبرفقة ذلك جواب مجهول - على حد ذكر وثيقة القنصل الافرنسي في بغداد، والتي يتابع فيها القول من ان والي بغداد قد ارضى بذلك نادرشاه (١٠) فقام الاخير بارسال هدية نفيسة من الحجارة الثمينة الى والي بغداد، (١١) ويتضح ان معاهدة قد وقعت بين الطرفين.

لقد تناقلت المصادر التاريخية، ذلك الجواب المبهم الذي ارسله والي بغداد مخاطباً نادرشاه «اذا اخذت الموصل فسوف اسلم لك بغداد، وأكون من التابعين المطيعين ومن رجالك ولا يلحقني بعد ذلك عتب من السلطان». (١٢) ويعتبر هذا القرار تكتيكاً غادراً لكسب الجولة على كلا الجانبين، فقد ارسل والي بغداد يناشد البلاط العثماني قائلاً انه ما من احد يستطيع ايقاف زحف الشاه الايراني وصده إلا جيش امبراطوري كبير وتحت قيادة الصدر الاعظم للامبراطورية العثمانية بالذات. (١٣) اما نادرشاه فلقد استفاد من عمالة والي بغداد له في ضربه للموصل من اجل تحقيق خطته الاستراتيجية الهادفة الى فصل العراق كاملاً عن جسم الامبراطورية العثمانية، دون شقه جغرافياً عن طريق بغداد، كما اعتمده التقليد العسكري للحملات الايرانية السابقة على العراق، اذ تقود السيطرة على رأس العراق الى وقوعه صريعاً من شماله حتى جنوبه تحت الوطأة الايرانية الثقيلة، ويصعب عند ذاك تخليصه نظراً للظروف الصعبة التي كانت تعصف بالبلاط العثماني.

كان الظرف التاريخي مدعاة لأن يرسل والي بغداد وكيله محمد كتخداه بغداد برفقة حماية له الى العاصمة اسطنبول، وقد مرّ هذا المندوب بالموصل والتقى بواليها الحاج حسين باشا الجليلي، وقد صرح عن غاية سفره وشرح تفاصيل الموقف (١٤). . ولقد كان لهذه التصريحات صدى توزع بصورة سريعة بين سكان

الموصل، ولقيت معارضة شديدة من قبلهم، اذ نزلوا افواجاً الى الشارع الموصلي مطالبين برأس كتخداه بغداد، [١٥] ولقد تدخل والي الموصل وصدّهم بما يليق، [١٦] وخفف حدة الموقف الذي كاد يؤدي الى ازمة سياسية بين كل من حكومتي بغداد والموصل، وعادت الامور بعد ذلك الى مجاريها، ومراقبة الاوضاع الخارجية المحيطة بالموصل ومضاعفة الجهود لصد الخطر الزاحف نحوهم. . وخرج مبعوث بغداد من اسوار المدينة فاراً مع جماعته. [١٧] ويظهر جلياً ان هذا المبعوث قد صرح بما قرره والي بغداد واتفق عليه مع نادرشاه، مما دعا الى اثارة تلك الغضبة العاصفة بالموصل. [١٨]

بعد وصول هذا المبعوث الى العاصمة، وتقديمه رسائل والي بغداد الى البلاط العثماني، عقد هذا البلاط اجتماعاً في ٢٤ حزيران ١٧٤٣ م/ ٢ جمادي الاولى ١١٥٦ هـ [١٩] آخذاً بنظر الاعتبار كلاً من التماسات وذرائع احمد باشا، ولكن لم تكن استجابة البلاط في اجتماعه هذا الا اصدار فتوى تدين حركات حرب نادرشاه الشريرة، وتدعو الى التحضيرات الكفيلة لوضع الامبراطورية في حالة دفاع قصوى. [٢٠] وخلال تلك الاثناء كان نادرشاه قد سيطر على اماكن هامة ومتعددة من العراق، وبدت الجيوش الايرانية تنتشر على رقعته الجغرافية. . فقد سيطرت على القرنة [٢١] ملتقى دجلة بالفرات، ثم سيطرت بطرية عسكرية على الحلة. [٢٢] وارسلت بعض القوات الى البصرة، ولكن متسلمها رستم اغا حال دون السيطرة من قبل هذه القوة عليها. [٢٣] وقبل ذلك بفترة طويلة، كان نادرشاه قد ارسل بقواته الى اماكن مهمة من العراق ومنها سامراء، كربلاء والنجف الاشرف. [٢٤] كما وارسل بأوامره الى حكومات كل من شيروان، شوستار وديزفول لاجل مساعدة جيشه في احتلال البصرة. [٢٥] هكذا بدا واضحاً موقف والي بغداد احمد باشا الذي عدّ اتفاقه السياسي مع نادرشاه سبباً مباشراً من اسباب حصار الموصل. وبذلك امنت بغداد شرور الحملة الايرانية الكبرى رغم تأثيراتها المزعجة. . تقول وثائق القنصل الفرنسي الذي كان يعيش تلك الاحداث ويرقبها في بغداد نفسها: «ورغم ان لنا هنا نوعاً من السلام مع كولي خان ـ نادرشاه ـ، ومع ذلك فاننا نلاقي ازعاجات الحرب كلها، وحتى ما يشبه الحصار، فالمواد المعيشية نادرة جداً، بحيث ان كمية قليلة من القمح. . تباع حالياً بما يقارب ١٨ ليرة والمواد الاخرى كلها تأتينا بواسطة المعسكر الفارسي الذي يستنفذه جميع مواد المعيشة. وقد وصل عدد من التجار الاجانب. . الذين يسافرون بطريق نهر

دجلة، وعليهم النزول الى مدينة البصرة لشراء البضائع الغنية من الهند والتي يحملها رسل من الفرنسيين والانكليز. الا ان الباشا ـ والي بغداد ـ استولى على قسم من هذه المواد متذرعاً بحاجته اليها في زمن الحرب...».

٣ ـ تركيبة الجيوش الايرانية وعدتها الاستراتيجية:

لقد كانت جهود نادرشاه قائمة على قدم وساق للسيطرة على العراق، والتقدم منه نحو اناضوليا وبلاد الشام، واتخذ من كرمنشاه قاعدة لبناء ترسانته الحربية العظمى وهي حصيلة امتداداته وحروبه في الهند وآسيا الوسطى، وما كسب من قوى بشرية اثناء سيطرته على شعوب قوقاسيا وداغستان وجورجيا وارمينية واذربيجان ثم ما اضافه لاعداد كبيرة من الفئات والاقليات السكانية في ايران كاللور والبلوج مثلاً ثم الفرس ومن اقاليم شرق ووسط ايران.

بلغت اعداد جيش نادرشاه ٣٧٥ الف جندي. (٢٦) وتنقسم هذه الاعداد الى تركيبتها الفئوية حسب ما هو موضح ادناه: (٢٧)

١ ـ قوات من خراسان	٦٥,٠٠٠
٢ ـ عجم	٤٥,٠٠٠
٣ ـ لورستانيون، بختياريون، عربستانيون وبارسيون (فرس)	٥٠,٠٠٠
٤ ـ اذربيجانيون، جورجيون، شيروانيون، ارمن..	٦٠,٠٠٠
٥ . همدانيون، وكرمنشاهيون	٢٥,٠٠٠
٦ ـ تركستانيون وتركمان الاستبس	٦٠,٠٠٠
٧ ـ غزنويون وافغان وهنود من (كابل، بيشاور، كشمير، مولتان ولاهور....)	٧٠,٠٠٠
total	٣٧٥,٠٠٠ المجموع

استطاع نادرشاه ان يستفيد كثيراً من هذا الاجمالي الكبير في زحفه على العراق فأرسل ٤٠,٠٠٠ رجل في قوة كانت كافية لاستلاب المحاصيل من اطراف بغداد. (٢٨) اما القوة العسكرية التي ارسلها ضد البصرة فكانت تقدر بـ ١٢,٠٠٠ ـ ١٥,٠٠٠ رجل. (٢٩) وتعد هذه الاعداد ضئيلة بالقياس الى القوة العسكرية التي أرسلها نادرشاه الى اناضوليا ضد مدينة ارضروم الاستراتيجية اذ

تراوحت اعدادها بين ٥٠,٠٠٠ - ٦٠,٠٠٠ رجل. [٣٠] اما القوات التي تقدم بها نادرشاه بنفسه على الموصل بعد ذلك فقد كانت اعدادها ٣٠٠,٠٠٠ مقاتل، [٣١] عدا القيادات ثم الاتباع من الخدم والاسرى الذين اكتسبهم اثناء تقدمه في العراق كغيرهم وهم الذين امتهنهم كشغيلة حرب. يقول المؤرخ ياسين العمري بأنه اضافة الى عدد الجيش الايراني المقدّر بثلاثمائة الف مقاتل، فقد لحق نادرشاه بعض البدو من اهل الطمع اضافة الى الاسرى والخدم، [٣٢] وخصوصاً بعد ان اضيفت اعداد اخرى بعد امتلاك نادرشاه لأربيل باعتبارها آخر قلعة سقطت قبل حصار الموصل، ويصل اجمالي العدد الكلي الذي حاصر الموصل عند هذا المؤرخ اربعمائة الف نفر. اما «منهل» محمد امين الخطيب العمري فيذكر انه اضافة الى ثلاثمائة الف مقاتل، فقد بلغ عدد الاتباع والخدام والرعاع والاسرى نصف هذا المقدار، فيبلغ الاجمالي العام ٤٥٠,٠٠٠ نفر عند هذا المؤرخ. [٣٣]

ويخبرنا شاهد عيان حصار وحرب الموصل عما احتواه جيش نادرشاه الجرار عدا الفرس من آلاف الهنود [٣٤] والافغان [٣٥] واللور والقاجار [٣٦] والبلوج [٣٧].. اضافة الى الآلاف من شراذم القزلباش والتركمان. [٣٨]

اذا ادهشتنا المصادر التاريخية عن اعداد جيوش نادرشاه التي ساقها نحو الموصل، فكم يا ترى ستكون عدته الحربية وآليات تلك الجيوش؟؟ لقد رافقته مئات المدافع، والآلاف من الخيول والحيوانات، ثم العشرات من المقالع الحجرية وآلات الحفر، ومستلزمات بناء القلاع والابراج والجسور، ثم الذخائر بشتى انواعها، ومن ضمنها عتاد الجيش واسلحته واطعمته، ولقد استعمل نادرشاه في حربه هذه وخلال حصاره للموصل المدافع التي تسمى بـ (الباليمز) Paleemis، [٤١] وانواع اخرى من المدافع ومدافع الهاون، [٤٢] كما واستعمل القذائف النارية والقذائف الحجرية، [٤٣] اضافة الى مرميات الزانبوركات [٤٤] والبنادق المسماة (ششخوانة) Shesh - Khane. [٤٥]

٤ - ابعاد الزحف الايراني على العراق:

١ - البداية الاولى:

لم يكن الزحف الايراني على العراق قد جاء في دفعة واحدة، بل استكملت ابعاده وحشوده على مراحل.. البداية الاولى في تحركات حروب

١٧٤٢ - ١٧٤٣ م، سجلها نادرشاه نفسه عندما قطع طريقه نازلاً من الاقاليم العليا لاذربيجان، واصلا سونـاندج Shahin Dezh (٤٦) احـدى الحصون الاستراتيجية في اقليم كردستان، (٤٧) وقـد تقدم منهـا نادرشـاه في طريقـه الى كرمنشاه الى الاراضي العراقية، (٤٨) اذ دخل شهرزور عبر حدود كل من الدولتين عند مسلك بنجوين، شمال شرق العراق، وقبل ان يغادر نادرشاه سونانـدج امر بتخزين المؤن استعداداً للشتاء القادم قرب بغداد (٤٩) ثم غادر نادرشاه أراضي شهرزور متوجهاً الى كرمنشاه. (٥٠)

٢ - اكتساح الخط الاستراتيجي الشمالي:

اما البداية الثانية لنادرشاه خلال مجريات حرب الفترة المذكورة فقد كانت ضروس شديدة في اكتساحه العراق شمالاً، اذ ترك اطراف بغداد متخذاً طريق شهرزور القديم شرقي دجلة، مسلكاً له كعادة اسلافه من الغزاة الايرانيين، وقد اجتاحت قواته تلك الاصقاع وما يقوم فيها من قرى ومراكز ومستوطنات دون رحمة اذ تلقت اشرس الضربات، حاصدة للشباب، قاتلة للرجال، مشتتة للنساء والاطفال (٥١).. واتلفت المزارع والحقول والبساتين بين اعمال الحرق والنهب للاموال والمحاصيل، (٥٢) فكان استلاباً شديـداً لاقتصاديـات المنطقـة وقواهـا البشرية ومن خلال هجوم يعد من اعتى ما صادفته عبر تاريخها.

بعد وصول نادرشاه كركوك، فرّ منها منسحباً واليها (ابن حمال) أو حمـال اوغلي، ومحافظها احمد باشا الحلبي الى الموصل وكانا في حالة مزرية، وخرجا منها الى ديار بكر. (٥٣) وفرض نادرشاه حصاره على كركوك التي احترقت قلعتها بنيران قنابله (٥٤) على مدى بضعة ايام، (٥٥) فاستسلم اهلها اثر خيانة كل من ابن بداغ وحسن افندي الكركوكي، (٥٦) وقد اتخذ نادرشاه من الاخير مبعوثاً له ليحمل بيده الانذار الايراني الاول الى الموصل.

دخل نادرشاه كركوك وسيطر عليها، (٥٧) وعاث فيها فساداً، وقتل ٥٠٠ رجل من المدافعين عنها، (٥٨) واستولى على اموالها وذخائرهـا، واذلّ رجالهـا، وامتهن الآلاف الآخرين ضمن فصائـل شغيلة حربـه (٥٩).. وغادر نـادرشاه كـركوك في ٣ ايلول ١٧٤٣ م/ ١٤ رجب ١١٥٦ هـ، (٦٠) وبـدأ مسيرتـه الى

الموصل التي مضى في طريقه اليها عبر مرحلتين، .(٦١) فقد وصل اربيل بعد قطعه للزاب الصغير، وحطم عنده مدينة التون كوبرى بشدة. (٦٢) وضرب نادرشاه قلعة اربيل العالية فاستسلم اهلها بعد اربع ساعات من القصف المدفعي، (٦٣) فسيطر نادرشاه عليها واضاف بعض رجالها الى جنوده بعد ان عبث بالبلدة واموالها، (٦٤) ثم توجّه الآن بوجهته صوب مدينة الموصل الرابضة، عابراً في مرحلته هذه كلاً من نهري الزاب الكبير والخازر.

٥ ـ السيطرة الايرانية على اطراف العراق وتخومه:

١ ـ الخط الداخلي:

لم يقتصر زحف نادرشاه على شمال العراق للمرور في خط حربي ذي امتداد واحد ولم يقتصر نادرشاه في سياسته السيطرة على المدن والمراكز الاساسية، بل شملت امتداداته السهول والوهاد والجبال وما يتوزعها من قرى وحقول ومياه..
ففي البداية الاولى من تحركات حربه في شهرزور الشمالي، ارسل نادرشاه قطعات من جيشه الى نقاط متعددة من هذا الاقليم ومنها نقطة ساوج بولاق Saouj Boolak (٦٥) المدينة الكردية الراكنة في احشاء الجبال، والواقعة على المسلك الجبلي الذي يقطع الحدود العراقية ـ الايرانية شمال شرق العراق. لقد عاثت قوات نادرشاه بهذه المدينة فساداً، واكتسحت تحت قيادة نادرشاه نفسه مدن شهرزور، فهدمت مبانيها، ونهبت ممتلكاتها، وسلبت جوانبها ورساتيقها (٦٦)..

ـــ بعد سيطرة نادرشاه على كل من كركوك واثناء زحفه على الموصل ومروره بالتون كوبرى وشي بعضهم نادرشاه بجماعات اليزيدية الذين تنتشر قراهم على اطراف نهر الزاب الاعلى، ويعزى ذلك الى اسباب دينية والعقيدة التي تتمسك بها هذه الجماعات. (٦٧) فاقتحم نادرشاه بيوتها الآهلة، واحرقوا حواصلها الزراعية، وقتلوا رجالها وشبابها، وتشتت اطفالهم ونساؤهم بأيدي القوات التي ارسلها نادرشاه اليهم، وكانت جلّ هذه القوات من الافغانيين القساة.. وكانت تقدر اعدادها باثني عشر الفاً من الجنود تحت قيادة ابن اخي الشاه علي قولي خان، (٦٨) ولكن يبدو ان اليزيديين كانوا قد اخذوا بعض الاستعدادات لذلك الهجوم، باحتمائهم بالجبال القريبة دون ان يأووا الى المدن القريبة منهم أو الى مركز الولاية، نظراً للاسباب المذكورة اعلاه.

ايضاً، استلبت قوات نادرشاه الافغانية قرى عقرة، ومنها قرية الحميدية الجميلة بسفوحها وبساتينها ومياهها الرقراقة. (٦٩) واستطاعت جيوش نادرشاه اثناء زحفها من اربيل الى الموصل ان تكتسح وتدمّر العشرات من القرى والاديرة (٧٠) التي تنتشر بين الزاب الاعلى والموصل فهناك برده راش القرية الكبيرة الواقعة بين الزاب الاعلى والخازر. اما المنطقة الجغرافية الهامة التي نالت تدميراً كاملاً فهي منطقة «مرج الموصل» المحصورة بين جبل مقلوب ـ زيبار الزاب الاعلى شمالاً، أو خط عين سفني ـ عقرة كقاعدة لمثلث تنحصر داخله الاراضي الواقعة شرقي دجلة جنوباً الى النمرود أو ملتقى الزاب الاعلى بدجلة كرأس مثلث، ويؤلف طرفه الشرقي خط ملتقي الخازر والزاب ـ عقرة. ان اهم القرى التي تعرضت لمأساة الغزو الايراني الرهيب، هي: كرمليس، بعشيقة، القوش، برطلة وقرة قوش.. وتحطيمها مع لواحقها. (٧١)

وتعرضت الاديرة في هذه المنطقة من مرج الموصل لاسوأ الاعمال، ومنها دير مار اوراها الذي سرقت اعماله وذخائره. (٧٢)

٢ ـ الخط الخارجي:

ارسل نادرشاه قوات من جيشه نحو جزيرة ابن عمر، فاحرقوا في طريقهم مدينة زاخو واطراف قصبتها من القرى والربايا، (٧٣) وتوغلوا في منطقة الجزيرة، (٧٤) مسيطرين على الخط الجغرافي الهام الذي يهيمن على المسلك العمودي للعراق برياً ونهرياً، واحرزوا مالاً وعتاداً وفيراً. (٧٥) ويتضح ان نادرشاه قد ابتغى من ارساليته لهذه القوات الفارسية على النقاط الجغرافية لشمال العراق، الامور التالية:

١ ـ فتح الطريق له للزحف نحو الاناضول بعد سيطرته على الموصل.
٢ ـ قطع اي نوع من امدادات العثمانيين العسكرية والاقتصادية للموصل بسيطرته على هذه المنافذ الشمالية، وفرض طوق اقتصادي عليها، اذ ربما كان في نيته ان يقيم حصاراً طويل الامد على الموصل. (انظر ملحق رقم ٢).
٣ ـ توظيف هذه المنطقة ضد كل من خصومه المحليين في الموصل واتراك السلطنة في استانبول، بالاستفادة بشرياً واقتصادياً من سكان المنطقة ومؤنهم ومحاصيلهم.

لقد حقق نادرشاه اغلب هذه المطاليب بصورة فعلية عن طريق قواته في الاطراف البعيدة.

٣ ـ اطراف الموصل:
قبيل الحصار واثناءه، تعرضت القرى المحيطة بالموصل الى اعمال العنف التي فرضها الحصار، ومنها: تلكيف وباطنايا وتل اسقف ويارمجة وغيرها [٧٦]. .
وقد تعرض جامع النبي يونس وقريته لاستباحة الغزو الايراني، ولم تسلم حتى حاجيات هذا المكان المقدس وآثاره وحتى سجاده وحصرانه من النهب والسرقة [٧٧]. . اضافة الى ذلك، فلقد ظفرت قوة عسكرية من ٥٠٠٠ مقاتل بقبيلة «ابي سلمان» العربية التي كانت تحط بمضاربها على اطراف الموصل فحصدتها شرّ حصاد، [٧٨] واغلب الظن ان ذلك قد جرى في الاطراف الشرقية من الموصل، وفي الايام الاولى من فرض الحصار.

٦ ـ الانذار الايراني الاول وموقف الموصل:

عند وصوله مياه نهر الزاب الاعلى، حرر نادرشاه انذاره الاول الى قيادة ولاية الموصل بعد اجتماعه بمستشاره الديني وجنرالات وخانات جيشه، وحمل الكتاب حسن الكركوكي والذي ترأس وفداً من اربع شخصيات [٧٩]. . وقد وصلوا شواطئ دجلة الشرقية فالتقطتهم عيون الرصدة واتت بهم دورية خاصة [٨٠]. .
فقدموا انفسهم لوالي الموصل كموفدين من شاه ايران مع رسالة من مستشاره الديني موجهة بالعربية الى مفتي الموصل، وقد تضمن الانذار الايراني تحذير كل من الوزيرين الجليلي والقازوقجي بتقديم طاعتهما لنادرشاه، وان يستقبلاه بالحفو والعظمة حيث لا ينفع بعد ذلك الندم، كذلك تحريض الناس على الاستسلام [٨١]. . . .

عقد والي الموصل اجتماعاً رسمياً حضره رجالات الولاية والشخصيات الدينية واطلعهم مطاليب الشاه [٨٢]. . ثم نادى بعقد مؤتمر شعبي كبير لكافة سكان البلد، [٨٣] فتدفقت الجموع الغفيرة خارج اسوار الموصل بحضور كل من الوزيرين الكبيرين والامراء والاعيان والعلماء والادباء، ورجالات الولاية الرسميين من القواد العسكريين والموظفين، اضافة الى الشخصيات الدينية. .
وكافة ابناء البلد من الاصناف والزراع والصناع والحرفيين والكبير والصغير. .
محتشدين على بقعة شاسعة مطلة على دجلة، قرب الجامع الاحمر جنوبي المدينة.
واستمع الجميع بانصات الى رسالة شاه ايران مع كل وعيدها وتهديداتها، وانذاراتها الشديدة، فضجّت تلك المجاميع الغفيرة من الآلاف المؤلفة بأصواتهم

الحادة بالرفض وعدم التسليم، وأقر هذا المؤتمر الاستشاري الكبير بالصمود والذود عن حصن الموصل، والدفاع عن الشرف والممتلكات حتى آخر نفس، ومنازلة الشاه المغرور حرباً، ورده في نحره خدمة للدولة العليا [٨٤]. . ولقد بلغ الامر رفضاً واحتداداً في هذا الاجتماع التاريخي، ان اهل الموصل تعهدوا اذا ما غلبهم الفرس، يتجرّد من بقي حيّاً من الرجال بقتل جميع نساء الموصل كيلا يقعن بأيدي الفرس [٨٥]. . وانفض الاجتماع بعد ان اعلن الوالي على الملأ طرده لمبعوث الشاه، وان قرار الحرب ساري المفعول، وبايعت الناس على ذلك فرداً فرداً بمصاحبة قرع الطبول وانتشر الجميع ليعززوا مواقعهم، واكمال حاجياتهم. [٨٦]

لقد كتب الجواب على رسالة نادرشاه في نفس الوقت، اذ املاها الوزير الوالي بنفسه على مفتي الموصل الذي وقعها ووجهها الى المستشار الديني لنادرشاه. . وكان جواباً قاسياً ذا عبارات شديدة مقارنة الى مضمون الرسالة نفسها، كما وانطوى الجواب على اعتزاز كبير بالنفس والارض، وكتب ذلك بأسلوب رجولي. . انظر هذا المقتطف من جواب والي الموصل الى نادرشاه: «انرتاع بالقراع ونحن الاسود الضارية والسباع الكواسر العادية، اسيافنا صقيلة، وسطواتنا ثقيلة، وحلومنا رزينة، وقلوبنا كالحديد متينة، وبلدتنا بحمد الله حصينة. . . فيا لله العجب كيف منّا الطاعة تؤملون، والدخول في ربقة الخيانة تطلبون. . .». [٨٧]

والخلاصة: ان الموصل رفضت رفضاً باتّاً أي نوع من انواع الخضوع والاستسلام لنادرشاه، أو حتى المساومة على شروطه [٨٨] التي قدّمها والتي طلب فيها:

١ ـ تقديم الطاعة له وتسهيل امر السيطرة.
٢ ـ السيطرة على الموصل بصورة كاملة مع ايالتها، والمرور من خلالها الى كل من ماردين وآمد.
٣ ـ تقديم الموصل خمسمائة الف درهم نقداً لنادرشاه.

٧ ـ موقف البلاط العثماني:

لعل المرء يتساءل عن موقف البلاط العثماني في مثل هذه الظروف التي كانت تعصف بمقادير العراق الذي يمثل من خلال ولاياته العظمى الثلاث بغداد والموصل والبصرة، اهم رقعة استراتيجية من الممتلكات العثمانية امام تحديات وامتدادات امبراطورية نادرشاه الايرانية ضمن عمليات الصراع الطويل بين الدولتين.

كان السلطان محمود الاول الذي حكم للفترة ١٧٣٠ ـ ١٧٥٤ م، قد وصلته اخبار الزحف الايراني، فجهّز حملة عسكرية ضد الفرس تحت قيادة سرخوش علي باشا الذي امتد في حركته الى مدينة ديار بكر، وما ان بلغه تقدم نادرشاه نحو الموصل، لم يباغت لأن يسعفها بل احجم عن ذلك خشية بئس المصير المجهول الذي كان يقدر الجميع وقوعه. (٨٩) كانت التقارير قد وصلت من الموصل الى البلاط العثماني (٩٠) الذي اخذ ينظر الى سلسلة الاحداث بجدية اكبر، خصوصاً عندما اخبرتهم التقارير ان كركوك قد سقطت بيد الفرس، (٩١) وان الموصل كما افادت رسائلها البلاط العثماني تعيش حالة من القلق الشديد، (٩٢) رغم استقبال الوالي حسين باشا الجليلي للمحافظ حسين باشا القازوقجي والي حلب الذي قدم الموصل مع ٢٠٠٠ نفر من الرجال (٩٣). . وكان السلطان قد عينه ليتولى نيابته بالموصل اضافة لادارته ولاية حلب. (٩٤)

تحدثنا احدى وثائق اسبينول **Aspinwall** نائب سفير انكلترا لدى الدولة العثمانية عن الوضع الحرج للبلاط العثماني. وهذه بعض نصوصها:
«ان المجابهة في الشرق قد اصبحت في ازمة. . ان المراقبين في الحدود متأكدون ان جميع المناطق التي يشملها كل من اقليم (Assyria) الموصل، واقليم (Chaldea) بغداد ليست في حالة تسمح لها الوقوف بوجه الفرس». (٩٥) وان البلاط العثماني يعيش قلقاً شديداً وبصورة متكافئة حول ما سيفعله الاكراد والنساطرة والارمن في الحوادث اثناء الحرب (٩٦). . وتتابع هذه الوثائق معلوماتها حول الآثار السيكلوجية التي كفل بخلقها الزحف الايراني العاتي. يقول آسبينول: «لقد تأكد الآن وبصورة واثقة ان الموصل محاصرة من قبل الفرس (٩٧). . وقد وصلت تقارير اخرى تفيد بحالة الذعر المتصاعد في حلب (٩٨) «اذ يدرك الحلبيون انه اذا سقطت الموصل فسيتبعها سقوط حلب

لا محالة»، وهذا الذي زاد من شدة القلق والازمة في استانبول، (٩٩) اذ كان آخر امل للبلاط العثماني ان تقوم قوات القلاع في المناطق على الحدود أو في التخوم القريبة بالدخول في معركة مع الجيش الايراني، وان تهرع لنجدة وتخليص الموصليين، وايقاف زحف نادرشاه على الموصل. (١٠٠) الّا ان مثل هذا لم يحدث، ولم يقف مع الموصل في محنتها الّا والي حلب بأمر من السلطان (١٠١). . وظهر انه من الاستحالة على السلطة المركزية عمل اي شيْ آخر، لتترك احد أقوى ممتلكاتها، واعتى حصونها يواجه مصيره الذي سيقرر في لحظات السقوط مصير منطقة الشرق الادنى ككل، ناهيك عن موقف والي بغداد الذي بدا وكأن مهمته رصد الاحداث يوماً بعد آخر لما ستؤول اليه الامور، وهو المشهور بدهائه السياسي في علاقاته مع جميع الأطراف وتاريخ حروبه ضد الايرانيين. . من ناحية اخرى كان البلاط العثماني مطمئناً ومقدّراً لقيادة ولاية الموصل التي كان يمثلها الحاج حسين باشا الجليلي الذي اشتهر كذلك بحروبه ضد الايرانيين، والخدمات التي قدمها بهذا الشأن في اطراف عديدة من شرق الامبراطورية.

٨ ـ استعدادات الموصل الكبرى:

كانت الموصل تحت قيادة واليها الحاج حسين باشا، قد ادركت النوايا الشريرة لنادرشاه قبيل تحركه نحو بغداد، اذ تسربت لها انباء الترسانة الحربية التي كان نادرشاه قد هيأها خلال وجوده في كرمنشاه، واثناء تجاذبه مع البلاط العثماني في شروطه التعجيزية سنة ١٧٤١ م/ ١١٥٤ هـ، (١٠٢) وبدا الامر اكثر وضوحاً عندما بدأ الزحف الايراني نحو العراق. . ويبدو ان الموصل قد ادركت هذه المرة ان خطة نادرشاه تستهدف رأس حربة العراق والسيطرة من خلالها عليه وعلى جميع منافذه والتقدم منها شمالاً وغرباً، فاتخذت تعد لاستعدادات كبرى ضمن امكانياتها المحلية التي وفرتها ظروف الولاية في المركز وتوابعه.

تخبرنا مذكرات دومينيكو لانزا Domenico Lanza ان ظروف الرخاء الاقتصادي الذي تنعم فيه الموصل هو محصلة الخواص الطبيعية التي حظيت بها، واهم هذه الخواص خصوبة التربة ووفرة المياه والموقع الجغرافي. . . . ونتج عن ذلك كثرة محاصيلها الزراعية واعتمادها القوافل التجارية، ومدينة تسويقية بالدرجة الاولى. (١٠٣) ولعل ما يفيدنا ظروفها الاقتصادية قبيل الحصار.

خلال سنة ١٧٤٢ م، اي قبيل حصارها بسنة واحدة، مرّت بالموصل موجة غلاء، وقلة في المحاصيل الزراعية نظراً لما قادت اليه شحة في الامطار، كما وانعدم الضرع في اماكن متعددة، مما ادى الى اضطرابات سكانية (١٠٤).. ويبدو ان الموصل استفادت كثيراً عندما توقفت قافلة تجارية فيها في نفس العام (حزيران ١٧٤٢ م)، وكانت قافلة كبرى تحوي على اكثر من ثمانمائة شحنة أو حمولة لمختلف البضائع، وقد تحقق من خلالها اموال طائلة (١٠٥).. ثم سارت القافلة الى حلب، ولكنها لم تسلم من اعمال السلب والهجمات التي تعرضت لها في الطريق (١٠٦).. وخلال نفس العام المذكور احترق جسر الموصل، مما اثر في احوالها العامة، ولقد سارع الوالي حسين باشا الى اصلاحه. (١٠٧)

يصف وليم جونز William Jones الموصل اثناء حديثه عن حصارها عام ١٧٤٣ م، ومن وجهة نظر ايرانية بحتة بانها مدينة كبيرة وثرية، (١٠٨) في حين يخبرنا مصدر تاريخي آخر ان المحاصيل الزراعية التي جنيت قبيل الحصار بفترة قصيرة لم تكن وفيرة بأي حال من الاحوال. (١٠٩) من طرف آخر كان قد وصل الى مركز ولاية الموصل مبالغ من المال تقدر بـ ٢٠ الف قرش من العاصمة استانبول (١١٠).. هذا في حين كانت قوات نادرشاه تنهب القوت والغلال من قرى واطراف بغداد. (١١١)

خلال زحف نادرشاه على الموصل، كانت الاستعدادات الحربية الكبرى في مركز الولاية قائمة على قدم وساق والتي تتوضح في الجوانب التالية:

١ ـ الاعداد الروحي:

الذي تميز بشتى صنوفه واظهر تلاحم القيادة مع جميع القوى السكانية في التوابع، والفئات الاجتماعية في الداخل لمواجهة الخطر المحدق، ولقد نتج عن هذا الاعداد ان اشترك الجميع في الاعمال المناطة بهم، (١١٢) كما تضافرت مجهوداتهم على حد سواء، فلقد كان كل من الحكام والشحاذين في خندق واحد، (١١٣) الانكشارية والاهلون في ساحة تدريب مشتركة، الكبار والصغار في عملية بناء مشتركة الحفارون، البناؤ ون، الحدادون، الكراؤ ون، السقاؤ ون، الدباغون، السراجون.... المتصوفة والعلماء ورجال الفكر والدين، (١١٤) كلهم يعملون، في حين كانت الموسيقى العسكرية تعزف احياناً الحاناً شجية على مسامعهم (١١٥) استعداداً ليوم الفصل الكبير.

٢ ـ الاعداد الدفاعي :

يعد هذا الجانب ذا اهمية كبيرة، واستغرقت عملياته فترة طويلة بدءاً بالزحف الايراني حتى الايام الاولى من الحصار، [١١٦] ولقد اشترك في عملياته الخاص والعام على حد ذكر احد المؤرخين [١١٧] والذي يضيف مساهمة كل من الامراء والعلماء والنساء وحتى الاطفال.. وتأتي عمليات الاعداد الدفاعي على النحو التالي الذي يقسم كل جانب منه الى اقسام، وعلى كل قسم رئيس يشرف عليه: [١١٨]

١ ـ اصلاحات سور المدينة المحيط بها، وسد ثلماته وثغراته، وتجديد اقسام متهدمة منه، ثم تقويم مزاغله وفتحاته العليا، وتحصين مواقعه وابراجه، وابوابه واماكن المدافعين العليا. [١١٩] وفي ٢٥ حزيران، غادر الرحالة اوتيه الموصل، وقد شاهد بعينيه اعداداً كبيرة من العاملين في ترميم الاسوار والابراج.

٢ ـ حفر الخندق المحيط بالمدينة خارج السور، وتجديد اعماقه، وكري اقسام كبيرة منه. [١٢٠]

٣ ـ حفر عشرات الآبار العميقة لاغراض الدفاع داخل الخندق، ولمسافات محددة اذ تقدر المسافة بين بئر واخرى نحو خمسة اذرع، [١٢١] وتقوم مهمة هذه الآبار لحماية نسف السور بالبارود، اذ تقوم بامتصاص قوة ذلك. [١٢٢]

٤ ـ انتقلت عمليات الاعداد الدفاعي الى ابعد من ذلك في ازالة كافة التلول والمرتفعات المحيطة بخارج سور المدينة ولمسافات متباعدة، لمنع العدو من اتخاذها مواقع اشراف أو اسناد للاشراف على داخل المدينة ومراقبة مركزها الداخلي، أو يساعده علوها في بناء ابراجه ومتاريسه الهجومية، فسوّيت تلك المرتفعات وازيلت برمتها. [١٢٣]

٥ ـ هيأ المدافعون الآلاف من الاكياس وملأوها بالتراب، واخرى مهيأة للاستعمال، وذلك لاغراض سد الثلمات والفجوات التي قد يحدثها القصف المدفعي. [١٢٤]

٦ ـ رفع جسر الموصل وكافة السفن والعوامات والاكلاك.. من نهر دجلة ومن حوافيه على جانبي النهر. [١٢٥] ويبدو ان جسر الموصل قد رفع منذ فترة طويلة من فرض الحصار، وقبل ورود الانذار الايراني الاول اذ عبر حامله بواسطة طرادة نهرية ارسلت له خصيصاً.

٣ ـ الاعداد العسكري:

تبدو المعلومات التاريخية قليلة في هذا الجانب، نظراً لما قادت اليه طبيعة الظروف. . اشغل الوالي الجليلي منصب القائد الاعلى لجيش الموصل، واتخذ برج قلعة باش طابيه [١٢٦] مقراً لقيادته، وقد تألف جيش دفاع الموصل من: [١٢٧]

١ ـ الانكشارية المتكونة تشكيلاتها من خمس اورطات، (افواج عسكرية).
٢ ـ اهالي الموصل من رجال المدينة وشبابها.
٣ ـ الجند الخاص للوالي.
٤ ـ قوات من ولاية حلب.
٥ ـ قوات قوج باشا الكردية. وهي من عشائر السوران (كما يذكر «الدر المكنون»).

من ناحية اخرى، سحبت المدافع وجرت آلياتها الى الاسوار، والمراكز الحساسة، وبنيت الابراج لمواجهة المدفعية المعادية، وحددت مراكز المقاتلين. [١٢٨] ويعتبر غالب الاعداد الحربي من امكانيات الولاية المحلية ذاتها.

٤ ـ الاعداد الاقتصادي:

رغم الظروف الاقتصادية الرديئة بالنسبة للمحاصيل الزراعية التي طرأت على الموصل قبيل الحصار، الا ان احتياطات كبيرة اتخذها في هذا الجانب كل من سكان المدينة مع توابعها [١٢٩]. . فقد ملأت المخازن بالحبوب والمواد الغذائية الجافة استعداداً لمواجهة الحرب الاقتصادية طويلة الامد التي ربما تواجهها المدينة في حصار طويل الامد، رغم ان الموصل قد استقبلت وحمت داخل اسوارها سكان القرى المحيطة بها، والذين قدموا خدماتهم لها في نقلهم الغلال والاخشاب [١٣٠]. . الى داخل الاسوار، وكانوا يتدفقون في مجاميع كبيرة وهم في رعب شديد، من الموت والدمار. [١٣١]

وضمن هذا الاعداد، اهتدى الوالي الجليلي الى خطة يقوم بموجبها بحفر قناة مائية تمتد من نهر دجلة ليجري الماء فيها بين كل من السور والقلعة الداخلية (ايج قلعة)، [١٣٢] وذلك لمنع العدو من السيطرة المقابلة على المجرى العام للنهر والتحكم بمياهه القريبة، اذ ربما يلعب نادرشاه لعبته في قطعه الماء بصورة تامة عن المحاصرين. لقد نجح مشروع الوالي، ولكنه لم يكن يدري بأن نادرشاه سوف يحوّل كامل الشعبة المائية الرئيسية لدجلة وقطعها الى الشعبة الثانية التي تجرى بعيداً عن المدينة.

٩ ـ معركة الكوماندوز البطلة ودروسها:

طلع فجر يوم الثالث عشر من رجب، وظهرت معه طلائع الجيوش الايرانية، ووصلت قرية يارمجة [١٣٣] (١٠ كم) جنوبي ـ شرقي الموصل، شرقي دجلة، [١٣٤] وانتشرت جموعهم كالجراد فقد كان يقدّر عددهم عشرة آلاف مقاتل ايراني، [١٣٥] وبدت تروح وتغدو على السهل الشرقي الغربيني لنهر دجلة المقابل للموصل، [١٣٦] كما عبر قسم منهم النهر الى جانبه الغربي. واراد قادة الموصل اختبار قوة كل من الجانبين من ناحية، وتعزيز مواقعهم الحربية واضعاف معنويات الفرس من ناحية اخرى. وكان قسم من الايرانيين قد عبروا الى جزيرة تتوسط نهر دجلة، وساقوا امامهم مواش وابقار من الجاموس كانت ترعى هناك [١٣٧]..

فكان ان جرّدت قيادة الموصل حوالي سبعمائة فارس من قوات الموصل وابطالها، [١٣٨] وبدت تشكيلتهم العسكرية على النحو الآتي:

١ ـ قائد السرية عبدالفتاح بيك اخو الوالي. [١٣٩]
٢ ـ القواد الزعماء الذين يعتبرون من الفرسان [١٤٠] وعلى رأسهم مراد باشا ابن الوالي.
٣ ـ مغاوير انكشاريون وفدائيون من اهالي الموصل [١٤١] اضافة الى فوارس اكراد من اتباع قوج باشا حاكم كوى سنجق [١٤٢] وقد وصفهم كتاب «المنهل» بـ «اسود عوابس»، [١٤٣] وقد شارك ايضاً البعض من الجنود الحلبيين. [١٤٤]

عبرت هذه القوات الخاصة نهر دجلة، والتقت مع الايرانيين، ودارت رحى معركة دامية غاية في الشراسة والعنف، [١٤٥] واستبسلت تلك القوات من الكوماندوز استبسالاً ليس له نظير، اذ قابل كل مغوار مائة ايراني ـ كما تقول احدى الروايات التاريخية ـ. [١٤٦]

لقد استمرت المعركة حامية الوطيس، ولكن سرعان ما استطاع عشرون الفا من الاعداء الالتفاف حول القوات الخاصة المشار اليها وتطويقها من الوراء ليقطعوا بينها وبين النهر ثم ليبيدوها بالكامل، ولكنها استطاعت ان تجد لها ثغرة من بين الصفوف فشقت منها طريقها بشجاعة ودهاء، فوقع بينها بعد قتال ضار المزيد من الشهداء، ورجعت مسرعة قاطعة نهر دجلة، ودخلت البلد، ثم سدّت الابواب من ورائها [١٤٧].. بعد ان نجحت في مهمتها نجاحاً كبيراً... وانزلت بالايرانيين خسائر فادحة فلقد قتلت مائة وخمسين ايرانياً، [١٤٨] وغنمت بعض

المدافع، ومقداراً من الاقترامات (١٤٩). . وكان ان استشهد من بينها خـزندار الوالي الذي ذهب ليؤدي دوره جندياً كبقية الجنود، كما استشهد عشرون آخرون من الشهداء، وأسر ثلاثون من الابطال، (١٥٠) وتقول «سالنامة الموصل»: بأن الايرانيين قد قبضوا على خمسة وعشرين من القوات الخاصة، وهم من بين اكراد (الدلو واللواند)، والبعض من اغوات (الاندرون) الانكشارية، اضافة الى اثنى عشر نفراً من اكراد قوج باشا. (١٥١) ولم يتورع الفرس عن قتل الاسرى. . اذ جاء على لسان المؤرخ ياسين العمري قوله «واسـر بعضهم. . ثم قتلوه ومات شهيدا». (١٥٢) ولقد قتل في هذه المعركة جيلول خان احد قواد نادرشاه، ودفن في قرية قرب الموصل. (١٥٣)

ومن المعتقد ان مسرح هذه المعركة كان على مسافـة متباعـدة من النهر في الطرف الشرقي المقابل لمدينة الموصل اي نينوى الجنوبية في ساحة جغرافية كبيرة تمتد بين التلول وبين حوافي النهر، فلقد كانت وقائعها تجرى على مرأى من والي المـوصل الـذي كان يـراقبها من غـرفة العمليـات (١٥٤) للقيادة في بـرج قلعته المتغطرسة باش طابيه والشاهقة المطلة على نهر دجلة. أو ان تكون المعركة قـد وقعت في منطقة جنوبي ـ شرقي الموصل لمسافة اقرب اليها من يارمجة. اما احد نصوص وثيقة رسمية فيقول بأن الايرانيين «قد سيروا هم ايضاً عساكرهم فعبروا دجلة». (١٥٥) ونستفيد من هذا النص كون اما ان المعركة قد جرت على ارض الجزيرة التي تتوسط نهر دجلة، والمقابلة للمدينة تماماً اذ لا يفصلها الا شعبة من النهر، وهي الارض المتميزة باحراشها وادغالها (١٥٦). . وان عبور الفرس قد عنى بالشعبة الثانية منه. (١٥٧) واذا استثنينا ذلك فان قصد النص ربما ان قسـماً من الايرانيين قد كانوا غرب النهر وعبروا دجلة نحو شرقه لملاقاة سرية الكوماندوز البطلة.

نستفيد من فصول ونتائج هذه المعركة الجوانب التالية:

١ ـ اختبار القوة الايرانية من النـاحية العسكـرية، ومـوازنة ذلـك مع المـوقف العسكري في الداخل.

٢ ـ تلقين العدو درساً منذ بداية الامر، وتوضيح الصورة الكافية عن الـوضع السيكولوجي للمدافعين وقوتهم العسكرية الكامنة في الداخل وذلك امـام افراد جميع العدو.

٣ - لقد كانت المعركة اشارة عملية لكل من طرفي الصراع معلنة ان الفتيل بدأ يحترق ولا سبيل لايقافه، وانه سينفجر بصورة هائلة دفاعاً عن الوطن فاما الحياة واما الموت لواحد من الطرفين.

٤ - تكتسب المعركة اهميتها بغلبة التكافؤ العددي لصالح العدو، ورغم ان النسبة تشكل ٢,٣ الى ١٠٠ اذا افترضنا ان عدد افراد العدو في هذه المعركة هو ٣٠ الفاً وهم طليعة الجيش الايراني المقدر بـ ٣٠٠ الفاً، ضد ٧٠٠ بطلاً من الكوماندوز، أو بمعنى آخر ان كل بطل قابل ٤٣ ايرانياً.

٥ - تكتسب المعركة اهميتها توبوكرافياً كونها وقعت على ساحة لها طبيعتها الصعبة، والتي فرضت على قوة الكوماندوز اعلى درجات الحسم، فلم يكن امامها الّا خيار الضرب من حديد، لأن العدو من امامهم واعماق دجلة من ورائهم.

٦ - تكتسب المعركة اهميتها تاريخياً، كحركة عسكرية حسم موقفها المستميت العديد من النتائج، وبمقارنة هذا الحصار الكبير للموصل باوضاع حصارات تاريخية شهيرة لمدن هامة في العصور الحديثة على سبيل المثال: القسطنطينية عام (١٤٥٣ م)، (١٥٨)، فينا (عام ١٦٨٣ م)، (١٥٩) مالطه (١٥٦٥ م)، (١٦٠) بغداد (١٦٣٨ م) (١٦١) وغيرها، لقادنا ذلك الى فرادة الحدث، وضراوته في ايذاء العدو، وان الضربة الخاطفة قد جاءت من داخل الاسوار وليس من خارجها.

١٠ - الانذار الايراني الثاني ومواصلة الزحف نحو الموصل:

واصل نادرشاه زحفه بعد اكتساحه اربيل، وعبر كل من الزاب الاعلى والخازر، وتمشيط قواته لكافة القرى والتوابع والحقول المنتشرة هناك (١٦٢). . وفي اليوم الثاني بعد معركة الكوماندوز البطلة، تدفقت الجيوش الايرانية الجرارة وضربت خيامها عند قرية يارمجة يوم (٢٢ رجب/ ١١ ايلول)، (١٦٣) وانزل نادرشاه نفسه رحاله فيها. . ثم انتشرت الجيوش على امتداد الحوافي الشرقية لنهر دجلة وشواطئه الخضراء لمسافات عريضة ومتباعدة شرقاً، وكان كالجراد في ارتاله الجاثمة والمتحركة، وكالغبار في سواده الاعظم (١٦٤) اذ تكاملت اعداد الجيوش الايرانية الهائلة وما يلحق بها من الاتباع. . وتحولت تلك الاراضي الخضراء الى مساحات داكنة، ومناظر قاتمة، وبدت تلك السماء الزرقاء الصافية غبراء عاصفة يعلوها الدخّان الكثيف.

ارسل نادرشاه سفيراً آخر من اهالي اربيل واسمه محمود الى الموصل وقد وردها حاملاً الانذار الايراني الثاني من نادرشاه ومجلسه الحربي، وكان الانذار يتكون من رسالتين موقعتين من ملا باشي علي اكبر المستشار الديني لنادرشاه، . . كانت الرسالة الاولى موجهة الى الوزير الجليلي والي الموصل، اما الثانية فلقد وجهت الى المحافظ الوزير القازوقجي . . وحملت كل من الرسالتين انذار نادرشاه الاخير لكل من الاثنين يحملهما مسؤولية الحرب وخطاياها، اضافة الى تهديدات شخصية بوجوب تقديم الطاعة وتسليم قلعة الموصل.

لقد بقي موقف كل من الوزيرين ثابتاً لم يتزعزع أو يلين، بل ازدادا منعة وصموداً وتحدياً، اذ كان جوابهما غاية في الصرامة بأن الاستسلام محال، ولا يمكن للموصل ان تخضع لطغيانه حتى وان كلف ذلك آخر نفس فيها، وان حدهما السيف معه. . . . وقد بلغ اعتداد قيادة والي الموصل بأن طرد المبعوث الايراني، وهددت القيادة نادرشاه نفسه وتحدتْهُ انه ان ارسل سفيراً آخر للموصل فسوف يرسل رأسه جواباً منها اليه. (١٦٥)

يظهر من تسلسل الاحداث وربطها بموقف الموصل والانذار الايراني وجوابه، ان قيادة الموصل قد بلغ موقفها الآن بالذات طابع الحرب الامبراطورية رغم اختلاف وعدم تكافؤ قوى الصراع بين الطرفين، وذلك من خلال مخاطبة شاه ايران الكبير بمثل هذه اللهجة القوية التي لم يعرفها في حياته ابداً، وهو الامبراطور الذي بنى تاجه الدموي من خلال سيطرته على بلاد واقاليم وشعوب كثيرة، مدوياً بصوته في اعماق الهند، وآفاق قوقاسيا. . . دونما انتكاسه. لقد اكتسبت ولاية الموصل باصدارها مثل هذه القرارات الحربية صفة الخروج عن الطوق الاقليمي، في دفاعها عن الشرق الادنى وولاياته وحصونه العثمانية بصورة عامة، والدفاع عن العراق واستراتيجيته الجغرافية - الاقتصادية بصورة خاصة.

بعد ورود الانذار الايراني الثاني اتخذت الموصل استعداداتها الاخيرة لساعات المواجهة المرتقبة اذ اخذ الجميع من المدافعين الاماكن المخصصة لهم، بعد ان شحنت عزائمهم ومعنوياتهم واستعداداتهم النفسية، اضافة الى الكوامن الدينية المتأصلة في عروقهم ومواردها المتعلقة في صدورهم، وانهم بلا ريب يدافعون عن مدينة الانبياء والاولياء.

١١ - تطويق الموصل وبدء الحصار العاتي: -

اشتد طوق الحصار على الموصل بصورة اكبر عندما اصبح صبح النهار الثاني على وصول نادرشاه، وقد بدأت سراياه تنتشر في كل حدب وصوب حول الموصل وبمختلف الاتجاهات (١٦٦) وفي وقت كانت هندسة نادرشاه وآلياتها منهمكة بنصب جسر على نهر دجلة (١٦٧) وقد امضى نادرشاه نفسه خمسة ايام يصول ويجول في الجانب الشرقي دارساً طبيعة الوضع الجغرافي للمنطقة، والاراضي المحيطة بالموصل، والقلاع في داخلها، كما تراءت له ابراجها الداخلية ايضاً والمنصوبة لاغراض الدفاع والحرب. . كما وكثف جهوده ورتّب عدته، ونظّم قواته. (١٦٨)

في اليوم السادس من وصوله ٢٨ رجب/ ١٧ ايلول، اكتمل نصبه للجسر على دجلة، وقد وصف وليم جونز W. Jones هذا الجسر بأنه كان جسراً قوياً محكماً، (١٦٩) وبدأت الجيوش الايرانية بالعبور من خلاله الى الطرف الغربي - الايمن من النهر، متدفقة مع عدتها الحربية. ولم تسعفنا المعلومات المتوفرة عن المكان الذي نصب فيه هذا الجسر، وقد اقام نادرشاه جسراً ثانياً على دجلة، (١٧٠) وذلك اثناء حدّة المعارك القاسية بين المهاجمين والمدافعين، وهو الجسر الذي ارتبط بحاوي الكنيسة شمالي شرقي الموصل. (١٧١)

احاطت الجيوش الايرانية بالموصل من جميع الجهات على نحو متباعد. . وفي بداية شهر شعبان/ ٢٠ - ايلول، اقتربت قطعات الهندسة الآلية اكثر فأكثر نحو اسوار المدينة الصامدة، وقامت حولها اثني عشر برجاً هجومياً مقابلة لبروج الموصل الداخلية، (١٧٢) واقاموا على هذه الابراج سبعة عشر من المتاريس، (١٧٣) والمدافع الكثيرة، والهاونات الكبيرة والتي بلغ تعدادها ١٦٠ مدفعاً ثقيلاً، و ٢٣٠ مدفع هاون، كما شملت ١٤ بطرية. (١٧٤)

دهش المحاصرون داخل الموصل لما قام به الاعداء من بناء التلول العظيمة خلال ظرف قصير، وقد استفاد الغزاة كثيراً من البساتين المحيطة بالموصل، فقد قطعوا اشجارها، واحالوها الى ارض بوار، ناقلين اخشابها نحو المتاريس. وكانت شغيلة الحرب هذه في اعمال الحفر واعداد البروج ونقل المدفعية ومستلزماتها من مجاميع الاسرى (١٧٥) الذين كان قد استحوذ عليهم نادرشاه من مناطق متعددة من شمال العراق.

فرغ نادرشاه من كافة ترتيبات الهجوم في ٥ شعبان = ٢٤/ ايلول/ ١٧٤٣ م اي بعد اسبوع كامل من عبوره دجلة. اما الجيش المزدحم الذي عبر دجلة فقد توزعت قطعاته مطوّقة الموصل، في الايام الاولى من العبور تركّز الآلاف من الجند قرب جامع قضيب البان في الطرف الغربي خارج سور الموصل، وعندما فرغ نادرشاه من ترتيباته الهجومية وصلت جيوش ايرانية اخرى نحو الموصل وتركّزت جنوبي الموصل خارج السور عند الجامع الاحمر، وتواردت فرقة كبيرة اخرى من الجيش وتوقفت عند قصر يحيى (١٧٦) خارج السور على خط باب العراق (راجع في تحديد المواقع المحلية المذكورة آنفاً في خريطة الموصل المرفقة رقم (٤) ـ نسخة المتحف البريطاني ـ).

هكذا انهى نادرشاه كافة عمليات زحفه وعبوره واستعداداته جميعاً بنجاح لبدء الضربة القوية الاولى، ولم يواجه نادرشاه اي ضربة من المدافعين لحد الآن، وربما كان تكتيك قيادة الموصل يقضي باستدراج كافة عدة وعدد ايران استعداداً ليوم الحسم من ناحية، ثم تكثيف جهود الدفاع وعدم تشتيتها بين بحر من الرجال والقوة والسلاح من ناحية اخرى. ولكن لدينا معلومة تاريخية لمؤرخ شاهد عيان، تؤكد عكس هذه النتيجة، وهي معلومة تاريخية يتيمة لم تؤيدها المصادر التاريخية الاخرى. اذ تذكر المعلومات التاريخية التي سجلها الشاعر يونس الموصلي في قصيدته بالتركية، بأن والي الموصل الوزير الحاج حسين باشا الجليلي قد امر رجال المدفعية في الولاية جميعهم، ان يقصفوا جميع المتاريس والتحصينات التي كان العدو الفارسي يقيمها، واستمر اطلاق النار من الصباح حتى المساء، دون ادنى تلكؤ، ولكن القائمين ببناء المتاريس استمروا بعملهم رغم الخسائر التي سببها القصف المدفعي للموصل. وكانوا قد وضعوا على رأس كل مترس خاناً من خاناتهم، واصطنعوا من الاسرى عمالاً لانشاء تلك المتاريس. وبلغ عددها خمسة عشر مترساً، وضع في كل منها الف رجل، ثم جيء بالمدافع والهاونات. (١٧٧)

ان تطويق مدينة الموصل كان امراً عسيراً على نادرشاه وجيوشه، نظراً للتعقيدات التي تميز بها الموقع الاستراتيجي لها في غرب نهر دجلة، اذ كانت التلول البعيدة تحيط الموقع. لقد استطاع نادرشاه ان ينصب متارسه في غربي المدينة وجنوبها وعلى منطقة سهلية غنية ببساتين الفستق. .

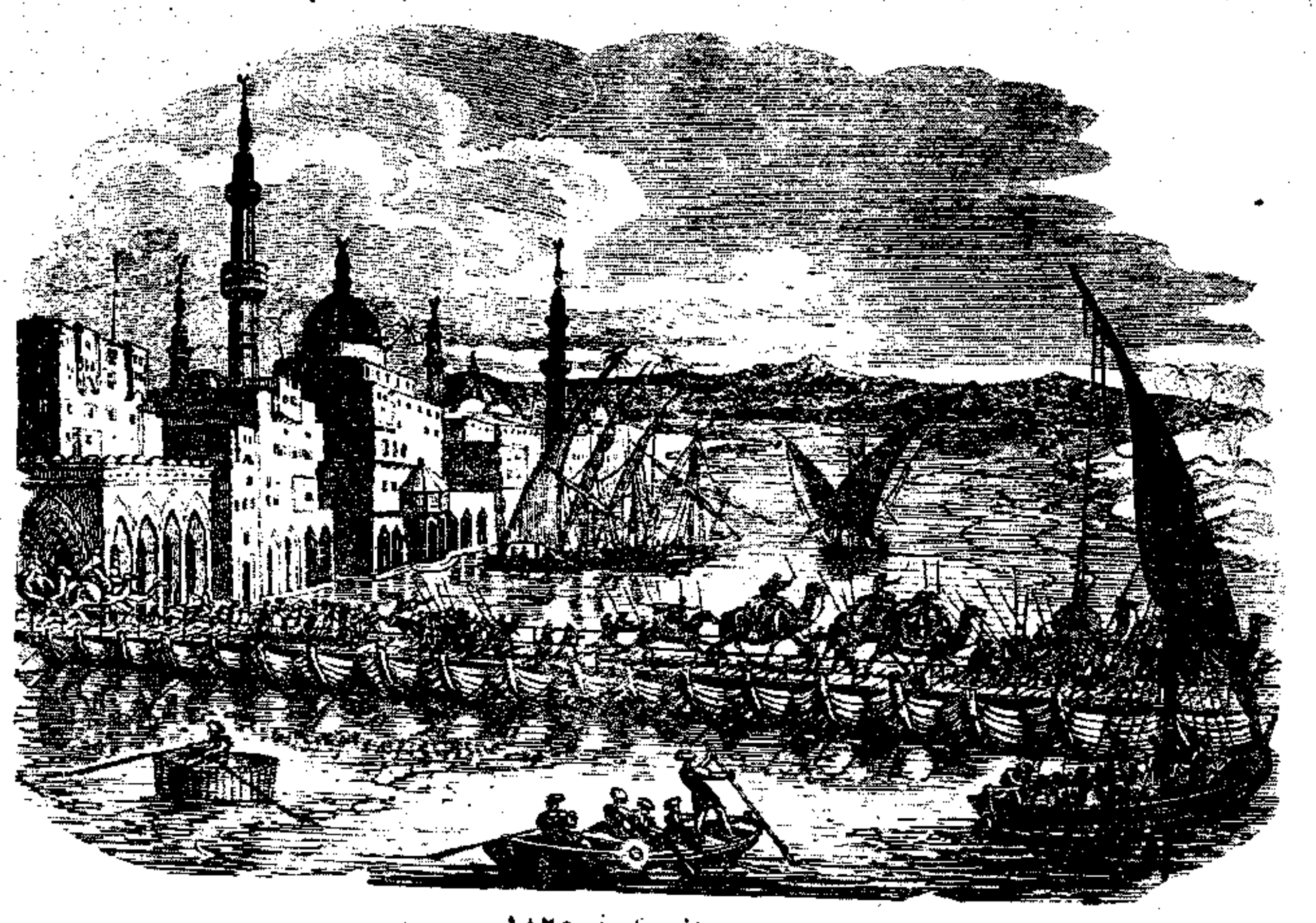
لقد وجه متاريسه نحو شرق المدينة وشمالها المتميز بالارتفاع النسبي والذي تقوم عليه «قليعات المرصد»(= المدينة القديمة) «وهي المطلة على النهر مباشرة اطلالة مرتفعة، في حين يشكل نهر دجلة فاصلا جغرافياً منيعاً، فالجانب الشرقي الذي يقابل الموصل القديمة لا يستوي مع ارتفاعات الجانب الغربي، مما يجعل جيش الموصل هو المسيطر استراتيجياً على مختلف النواحي المحيطة في شرقي النهر، أو في جنوبي المدينة. لقد قدم الموقع الجغرافي للموصل خدمات عسكرية - استراتيجية باهرة، عكستها النتائج الكبرى التي خرج بها الحصار - الخطير.

١٢ - الهجوم الايراني الكاسح على الموصل:

١ - القصف المدفعي الشديد:

اصدر نادرشاه اوامره بالهجوم المدفعي الهائل من برج عملياته الحربية الذي اتخذه على رابية القاضية في الطرف الايسر من دجلة والذي جعله مقراً له للمراقبة ولمجلس حربه، ففي فجر يوم الجمعة، ومع انبثاق خيوط النور من ٦/ شعبان/ ١١٥٦= ٢٥/ ايلول/ ١٧٤٣ م اشتعلت النار، وهاجت السماء، واهتزت الارض بمن عليها، واخذت القذائف تنصب بلا حساب على المدينة واسوارها وجنباتها الداخلية وقلاعها من المدافع وهاوناتها. . وقد وصف اكثر من مصدر وثائقي حالة الموصل المحصورة داخل اسوارها في تلك اللحظات الحاسمة من تاريخها المرتبط بحياة العراق، وهي تتلقى آلاف حمم القذائف المتساقطة اكداساً عليها فتحيل الارض الى بحر من نار. . واترك وصف ذلك اليوم لأحد المؤرخين الذي كتب يقول: «. . كان يوماً عبوساً قمطريراً بحيث يرى الناظر ان السماء امطرت ناراً على الارض، وهاجت الحرب، وماجت الارض، وعلا الصراخ، وكثر الرعيد كالصواعق». (١٧٨)

قابلت الموصل ذلك بمدافعها ايضاً مع اطلاق الرصاص، واستمر القصف المدفعي الايراني الشديد ثمانية ايام بلياليها، كان الهول فيها عظيماً. . الدور تتحطم وأسطحها تتخرق، والاحجار تتطاير، والاجساد تتمزق، واصبحت الدنيا تراباً وغباراً مع انصباب القذائف ونيرانها على الشوارع، البيوت، الجوامع، القلاع، الخانات، الاسوار، دوائر الحكومة والباشوية، الازقة، المساجد، المدارس، الاسواق والحارات (١٧٩). . . .



جسر الموصل في ١٨٢٥



سوق في الموصل سنة ١٢٣٢هـ = ١٨١٦م (رحلة بكنكهام)



موكب خروج الباشا من جامع السراي ١٢٣٢هـ = ١٨١٦م (رحلة بكنكهام)

لقد كان تأثير القنابل المنصبة على المدينة وشظاياها قوياً جداً في دماره (١٨٠). . وقد بلغ عدد القنابل التي اسقطت خلال ثمانية ايام خمسين الف قنبلة. (١٨١) واستمر حال هذا الهجوم الثقيل حتى ليلة ١٥ شعبان، (١٨٢) دون ان يتزعزع موقف اصحاب الدفاع وبقوا يحتفظون بمعنوياتهم العالية، وصمودهم البطولي.

٢ ـ الثغرة وعلاجها الحاسم: اللحظة التاريخية الحرجة

لم تقتصر مدفعية نادرشاه اثناء إلقاء حممها المتواصلة الثبات في مكان واحد، فبعد ثلاثة ايام من بدء الهجوم ركّزت المدافع نيرانها نحو غرب المدينة بعد ان كانت في جنوبها وحدث ان تهدم جانب من السور الغربي قرب باب سنجار، فعولج امره، واصلح في ليلة واحدة باهتمام يفوق التصور، (١٨٣) واستخدمت الاكياس الرملية التي كانت قد اعدت مسبقاً، (١٨٤) وعادت المدافع والآليات والهاونات هذه المرة لتصب قذائفها على شمال المدينة وسورها الشمالي المتصل بقلعة «باش طابية» العالية، (١٨٥) التي تجثم قاعدتها في جرف من الهاوية على دجلة، وتتصل من خلال قاعدة اخرى على سطح مرتفع عال، ويشمخ برجها ونوافذه بحوافره واخاديده مطلاً على كامل الاطراف في داخل المدينة وخارجها. . .

استمر القصف الايراني دون رحمة، وقد بدا كثيفاً ومركزاً على هذه القلعة المنيعة والسور المتصل بها، وقد وقعت عليها آلاف القذائف، فتداعت بروجها، وتهاوت بعض جوانبها (١٨٦). . اما السور الذي يتاخمها فقد تصدعت اقسام منه، وبدت ثغرة عريضة واضحة للعيان في جانب منه، اخذت تتوسع شيئاً فآخر بحيث تمكّنت خيّالة الاعداء من اجتيازها، وتدفقت عبرها رجالهم من المشاة تبغي الوصول الى قلب المدينة، وبرج قيادتها (١٨٧). . . ولم تفد في هذه اللحظات مقاومة المدافعين في هذا المكان المتداعي، فكان موقفاً غاية في الخطورة، لم يسعفه، وينقذ المدينة منه الاّ مجيء الوالي نفسه على وجه السرعة الخاطفة، معززاً المقاومة وقتال الاعداء، (١٨٨) فاستطاع ان يدفع بالمهاجمين الى الوراء، وصد التداعي الحاصل في وقت اشتدت فيه مدفعية الاعداء بالتركيز على الثغرة. . وبدأ البناة والشغيلة في اعمال البناء لسد هذه الثغرة الخطيرة، وكان الذين يتقدمون للعمل السريع تأخذهم شظايا القنابل المنصبة في هذا المكان بالذات صبّا

فيتطايرون، وتتمزق اجسادهم اشلاء، فهرب البعض وتراجعوا من هول النار وشراراتها وشررها [189]. . وكاد يعصف الامر ويختلط الحابل بالنابل، الا ان الوزير الوالي صاح بالجميع بأعلى صوته يثير حميتهم وغيرتهم على شرفهم ودينهم ووطنهم وينادي: «هذا يوم الفوز. . ابواب الجنة قد فتحت لمن يسقى كأس الشهادة. .»، [190] فاندفع الجميع دون تردد والنار والاحجار تتساقط فوق رؤوسهم، والوالي معهم بعد ان هانت عليهم نفوسهم، وضجّوا بتهاليلهم القدسية. . «وعادت الجثث تتقطع، والرؤوس تتدحرج، وهم مع الوزير في يوم تذهل فيه كل مرضعة عمّا ارضعت. . وعادوا بعد ان كانت الهزيمة قاب قوسين أو ادنى كلما انفتح جانب من السور سدوه بغرارات التراب ووضع اجسام القتلى عوضاً عن الحجارة»، [191] بحيث تمتزج اوصال من تتلقفه النيران مع البناء، فتعالى السور الشمالي للبلد من جديد من اجساد الشهداء والتراب المضرّج بدمائهم. . وتم علاج تلك الثغرة بأعجوبة، اذ يندر ان تحكم القبضة من جديد على الوضع امام خطر قد تحقق فعلاً من قبل العدو. [192] وسدّت الثغرة باحكام بعد ان تكدست عندها اشلاء الصرعى. [193]

ويتضح لمؤرخ الحصار، الدور القيادي للرجل الذي انقذ الموقف، وحسم امر الثغرة، وصد التداعي، ولم يتطلب ذلك الا ساعات قلائل، ولو فات ما حدث لقضي على السور الشمالي بأجمعه وتهاوى حطاماً، ولكان قد انتهى امر المدينة وبسرعة خاطفة، ولفعل فيها نادرشاه ايران ما لم يفعله هولاكو التتار ببغداد سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م.

٣ ـ موقف الموصل ودور قيادتها:

بعد انقضاء ثمانية ايام بلياليها كاملة من الهجوم المدفعي العنيف، وما تعاقب خلاله من احداث دامية، وهول نفسي شديدمن تأثير قوة الانفجارات والشظايا المتطايرة، وانهيال الاحجار فوق الرؤوس. . لم تكن العيون تغفو، ولا السماء تصفو، ورغم كل هذا وذاك الا ان الموقف العام بقي ثابتاً، وبقي القرار الواحد ساري المفعول وكان الصمود يجتلد النفوس، وبدا الجميع وحدة متراصة. . كل يعمل من موقعه الدفاعي المسؤول عنه، وكانت القيادة المتمثلة بكل من الوزيرين الوالي والمحافظ تتفقد الاحوال، وتزرع الهمم، وتبث روح الصبر والجهاد، وتفتش الطابيات والاسوار والابواب والمزاغل ليل نهار دون راحة

أو نوم، ويعاون الوالي في تلك المهام كل من اخيه وولديه وبقية الزعماء والامراء والقواد، كما ان القيادة كانت تعقد مجلسها الدفاعي المشترك للتشاور ومتابعة الامور ومراقبة الاوضاع عن كثب (١٩٤).. وكان من اهم التكتيكات العسكرية التي اتبعتها قيادة الموصل، شحذ عزيمة المدافعين وتشجيعهم بأن ايام ورود جيوش الامداد العثمانية الكبرى من الدولة قد قربت، (١٩٥) اذ كان لذلك اثره المعنوي في الحفاظ على جلادة القلوب، ومتانة الموقف الداخلي من الناحية العسكرية.

١٣ ـ الحرب الاقتصادية:

خلال ايام الهجوم المدفعي العنيف الذي كان يدور رحاه.. كانت قوات ايرانية تجوس القرى والمراكز والتوابع والجوامع والمزارات والاديرة المأهولة بمن تبقى فيها من السكان والمنتشرة حول الموصل، وتفتك فيها فتكاً شنيعاً، مستغلة مواردها، ومستلبة محاصيلها وثرواتها الحيوانية، وناهبة لما تحتويه بيوتاتها الصغيرة من الذخائر والمؤن.. وقد سبب كل ذلك شقاءً اقتصادياً مريراً. ولم تسلم حتى المعابد المقدسة وبيوت الله، وما تحتويه من سجاد وستائر وشموع.. وقد قتل المئات من الفارين، وامتهن الاسرى من الباقين في عمليات حصار الموصل، ولم يبق نادرشاه شيئاً حياً الا واحرقه أو استعمله في صالح حربه، اذ لم تسلم حتى اعواد الاشجار بعد ان احرقت اوراقها الوارفة الخضراء. (١٩٦)

كان صيف عام ١٧٤٣ م قد انهى ايامه في بدايات شهر ايلول، وكانت الحاصلات الزراعية من الحبوب وعلى الاخص الحنطة والشعير قد جنيت منذ فترة قصيرة حينما وطأت اقدام نادرشاه كركوك، فلم يتسن للزراع بيع خزين المحاصيل تلك... اما خلال ايام الصيف كما هي عادة الزراع من النهريين المنتشرة قراهم على حوافي دجلة، او البعيدة عنه من خلال جداوله فكانوا يستغلون اراضيهم الرملية الرطبة والغنية في زراعتها بأنواع خاصة من المحاصيل الآنية من ثمار الصيف، والخضراوات الزاحفة وانواع البقول مستفيدين من انحسار المياه عن مساحات رملية واسعة. من هنا ندرك كم كانت ثروة اقتصاديات هذه المنطقة، وكم كانت حصيلة نادرشاه من خلال سيطرته على هذه القرى والمساحات، وما كانت تحويه من خزين الحبوب، وما تكتنز به الاراضي من محاصيل... هذا اذا علمنا بأن نادرشاه لم يتوان عن الاستفادة حتى من القش والتبن الذي جمعه وكدّسه في آلاف الاكياس وذلك في عمليات حرب الحصار. (١٩٧)

وضمن اعمال الحرب الاقتصادية التي مارسها نادرشاه، محاولته الشريرة في قطع مياه نهر دجلة عن الموصل، وذلك من خلال تحويله لاحدى شعبتي هذا النهر والتي تمر محاذية قلعة «قره سراي» شرقي المدينة، (١٩٨) اذ جرت هذه المحاولة عند موضع استراتيجي يقع في الحافة الشمالية لمسافة متباعدة من الاسوار، وعند مفترق كل من الشعبتين، وتفصل كل من الشعبتين (١٩٩) جزيرة كبيرة شاسعة، - اذ كانت طبوكرافية نهر دجلة عند الموصل تختلف بصورة كبيرة عمّا هو الحال في يومنا هذا - فكان النهر يتفرع عند قرية بعويرة (٢٠٠) القريبة من الموصل الى قسمين رئيسيين اثنين: (٢٠١) (انظر خريطة رقم ٣)

١ - الشعبة المائية الاولى:

وهي التي تمر محاذية بأعماقها قلاع الموصل الشرقية على التوالي: قلعة باش طابية - قلعة قره سراى - القلعة الداخلية «ايج قلعة» - الجامع الاحمر. ومن اكبر الاحتمالات ان هذه الشعبة هي القسم الرئيسي من النهر للعمق الذي تتميز به اولاً، ولعراقتها وجغرافيتها التاريخية ثانياً.

٢ - الشعبة المائية الثانية:

التي تأخذ لها مجرى بعيد تتوضح ابعاده من الآثار التي تركها وهو المجرى المحاذي لمرتفعات القاضية، والمار ملتفاً حول اطلال نينوى القديمة غرباً ويلتقي بالشعبة الاولى في الطرف المقابل للسور النهري للموصل، اي بعد ان يترك قلعة قره سراى وراءه. هذا اضافة الى تواجد شعبة ثالثة غير رئيسية (انظر خارطة فيلكس جونز).

تعتبر الشعبة المائية الاولى لدجلة هي المورد الرئيسي لحياة الموصل، واهلها، واقتصادياتها.. ويظهر ان محاولة نادرشاه قد نجحت الى حد ما، في وقت لم تفد خطة الوالي التي حفرت على اساسها القناة المائية حول القلعة الداخلية، اذ يؤكد اكثر من مصدر انه قد لحق من محاولة نادرشاه في قطع المياه ضيق داخل الاسوار ولقد سارع الوالي بدرء خطر الفوضى من نقصان المياه، فأمر بأن تتم السقاية من نهر دجلة في مناطق اخرى وعلى وجه السرعة، وتهيئة مستلزماتها من الاخشاب والدلاء والاحواض ونصاب من العاملين (٢٠٢).. ولكن هذه الخطة باءت بالفشل ايضاً اذ قابلت قوات الشاه الايراني المتربصة ذلك الامر، بما امطرته من

نيران بنادقها وآلياتها الموجهة على حوافي النهر (٢٠٣). . مما حل المواصلة لأن يخفضوا من استعمالاتهم للمياه، ويمتنعوا عن السقاية النهرية، وشدّدوا من تقشفهم باعتمادهم على مياه الآبار الصغيرة والكبيرة داخل المدينة . (٢٠٤)

نستفيد من هذا كله كلاً من الامرين التاليين:

١ ـ عدم فاعلية وجدوى القناة المائية التي كانت الموصل قد امتّها حول القلعة الداخلية، لكي يجري الماء فيها، اذ لم يستفد منها خلال هذا الظرف القاسي.

٢ ـ ان نادرشاه قد سيطر وبصورة مطلقة على حوض نهر دجلة، ومجرى النهر من خلال مياهه اولاً، والملاحة فيه ثانياً، والاراضي التي حوله ثالثاً، واستعمالاته لأغراض الانقاذ الاقتصادي والبشري والعسكري ان طال الحصار اكثر مما كان عليه رابعاً.

١٤ ـ محاولات ايرانية اخرى:

لم تفد جميع المحاولات الحربية والاقتصادية التي اجراها نادرشاه لكي يسيطر على الموصل سواء في دخوله اليها عنوة أو استسلامها، فقرر تنفيذ خطط اخرى. كان احدى مشاريعه الكبرى يقضي بدخول الموصل عبر انشائه لنفق تحت الارض يربط خارج المدينة بداخلها من جهة البر، ولم يكتب لهذه المحاولة النجاح (٢٠٥). . وكانت اسطنبول العاصمة العثمانية قد ارسلت الى الموصل احد اشهر مهندسيها واسمه مصطفى باشا، الذي وصلها اثناء حصارها من قبل نادرشاه، وقد قبض عليه الايرانيون ليستفيدوا من خبراته الحربية ـ الهندسية وقد هلّل له اهل الموصل، كونه احبط مشروعاً غادراً آخر لنادرشاه يقضي بشق نفق تحت نهر دجلة يبدأ من الساحل الايسر وينتهي الى قلب المدينة المحاصرة بعد اختراقه اعماق مجرى النهر ويشق السور الشرقي (٢٠٦) للموصل. (٢٠٧) ومن محاولات نادرشاه الاخرى، اضرامه للنار عند ابواب الموصل وذلك اثناء زحفه الكاسح، فكان ان ردت الريح تلك النار على اصحابها ومضرميها. (٢٠٨)

١٥ ـ محاولة تفجير اسوار الموصل والاقتحام الايراني:

لما يئس نادرشاه من تسليم الموصل له بعد كثافة هجوم المدفعية، وغزارة القذائف التي انصبت عليها، قرر ان يكتسح المدينة اكتساحاً سريعاً من خلال تفجير الاسوار، واستعمال السلالم وتقدم كافة فرقه العسكرية بمساندة المدفعية،

وذلك من الجانب الغربي للمدينة في منطقة تمتد من باب سنجار حتى قضيب البان وعبر السور الذي يربط بين هاتين النقطتين، وصرف ثمانية ايام في اعداد هذه الخطة الحاسمة، واستطاع ان يلغمها بأربعة الغام بارودية كبيرة.. اثنان تحت السور المار بباب سنجار، والآخران تحت السور الذي يقرب من قضيب البان (٢٠٩) (لاحظ الخريطة المرفقة رقم ٤).

استطاع الملغمون ان يعبروا في عملياتهم تحت الارض، ونجحوا في حفر اربعة انفاق كبيرة وطويلة تبتدأ من جانبهم وتتواصل حتى تلتقي بقاعدة السور واساسه؛ ثم الغمت احشاء هذه الانفاق الطويلة بكميات هائلة من البارود. (٢١٠)

كان نادرشاه قد وصل الى ناحية العمليات هذه، بعد عبوره نهر دجلة اذ كان في الطرف الآخر لحد هذه الفترة، وكان يراقب عمليات القصف من برجه الذي اتخذه هناك.. وكان قد ارسل غالبية افراد جيشه وخاناته وجنرالاته وخيالته وقواته من المشاة واصحاب الرماح والبنادق والخناجر والسيوف لكي يستعدوا لاكتساح الموصل بعد تفجير الاسوار من خلال الالغام الاربعة، وقد تقرر ان تكون ساعة الصفر للتفجير والانطلاق مع الخيوط الاولى من فجر ١٥ شعبان، بدءاً بالهجوم الكبير. (٢١١)

يقول تقرير القازوفجي الوثائقي بأن مترصدي الاطراف والانحاء من المدافعين قد التقطت اعينهم التحركات الايرانية العسكرية العظمى في جنح الظلام، والتي كانت قائمة على قدم وساق في ليلة البراءة المباركة، ليلة الجمعة الخامس عشر من شعبان، (٢١٢) وان المئات من السلالم المحمولة كانت تتقدم باتجاه الموصل، (٢١٣) ويحمل كل سلم ثلاثة أو اربعة انفار من الاعداء على مناكبهم (٢١٤).. كما شاهدوا ان جميع الجيوش الايرانية من مشاة وخيالة كانت تعبر نهر دجلة الى الساحل الغربي، (٢١٥) فوصلت اخبار ذلك بسرعة فائقة الى قيادة الوزير الوالي، فاسرع الحاج حسين باشا بتعزيز الموقف العسكري بتهيئة الاسلحة الخاصة وادوات القتال، ومستلزمات معارك الاسوار (٢١٦)..

كانت ليلة قاسية، لم يغمض للمحاصرين جفن فيها، كانوا ينتظرون فيها ساعات الهجوم على غفلة، وما سيحدثه ذلك الهجوم الكاسح وعدته وعدده..

وما ستؤول اليه الامور، (٢١٧) في حين كان اصحاب الالغام من الاعداء في انفاقهم المرعبة يحسبون اللحظات ليضرموا النار في الحشوات عند مطلع الفجر، وكانت آلاف عديدة من جيوش نادرشاه قد عسكرت متأهبة على رقعة واسعة، انتهت تحتها تلك الانفاق وما فيها من ركامات البارود. (٢١٨)

قرابة الساعة الخامسة من صباح الجمعة ١٥ شعبان/ ٤ تشرين الاول، ضجّت الدنيا، واهتزت الارض بمن عليها اهتزازاً قوياً عند انفجار اللغمين العظيمين وبصورة هائلة تحت الارض التي كان يحتشد فوقها الآلاف من جيش نادرشاه استعداداً للهجوم، فتطاير البعض، وتمزق الآخر، وانقلبت الارض رأساً على عقب فطوتهم جميعاً بين احشائها، (٢١٩) ولم يصل سور الموصل المتباعد اية اضرار اذ بقي محتفظاً بقوته وارتفاعاته. (٢٢٠)

لقد كان سبب فشل الخطة وارتداد الانفجار على اصحابه، انه لما حفرت الانفاق وحشاها الاعداء بالبارود، توهموا انهم زرعوها عند السور المتعالي، ولم يتنبهوا الى انهم قد انتهوا في حفرهم الى حيث تقوم أسس سور قديم للموصل تحت الارض التي كان الآلاف من جنود نادرشاه يتأهبون للهجوم الغادر فوقها. .. اما اللغمان الآخران فقد تعطل مفعولهما عن الانفجار بفعل الآبار العميقة المحفورة على امتداد الخنادق المحاذية للسور من الخارج. (٢٢١) لقد دفع فشل محاولة تفجير الاسوار خطراً آخراً كان يهدد المدينة المحاصرة في سورها الغربي، وكلف ذلك نادرشاه غالياً.

١٦ ـ معركة السلالم والاسوار:

لقد وصلت الاخبار المزعجة لنادرشاه الذي كاد يجن جنونه لدى سماعه لها، لا سيما وان الارض قد مادت بعد انفجارها، وابتلعت اربعة آلاف من جنده وطوتهم تحت طياتها (٢٢٢). . ولكنه لم يتوان عما كان قد قرّره في اخذه لمدينة الموصل عنوة واكتساحها، وتذكر «ملحمة الموصل» بأن فشل الاعداء في تفجير الغامهم قد اكسب المواصلة التشجيع والمثابرة. (٢٢٣)

بدأت الجيوش من الاعداء تتقدم مع كامل عدتهم، واسناد المدفعية لهم التي لازالت تدق بمطرقتها الموصل الآلاف من القذائف النارية والحجرية، (٢٢٤) وتواصلت افواج المشاة مع سلالمهم التي تحركوا بها على خط يمتد من باب سنجار

حتى قلعة باش طابية والباب العمادي، (٢٢٥) اي الجبهة الشمالية من المدينة بعد خسران جولتهم في الجبهة الغربية، وفشلهم الذريع بتفجير الاسوار.. وعمدوا اثناء تقدمهم الى السور الشمالي بملأ الخنادق بغرارات القش والتبن، (٢٢٦) ليمكنهم ذلك من نصب السلالم، والتسلق وتسهيل عملية العبور على الاسوار، وتدفقوا نحو السور الشمالي وبدت المعركة غاية في العنف والقسوة على جوانب هذا السور القائم، ولقد حمل المدافعون على الاعداء بالبنادق والمرميات والرماح، (٢٢٧) كما استعملوا الزيوت الحارة المحرقة للاجساد، (٢٢٨) وقد تساقط من ورائها المئات من الاعداء، واستعملت القنابل اليدوية التي امطرها الابطال من المدافعين على الاعجام. (٢٢٩)

لم يصب السور أي شيء من النيران الكثيفة من مدفعية الاعداء، وكان المدافعون يتلقون من يصعد على السلالم بالسلاح الابيض، فتأخذه السكاكين والسيوف، فتطايرت من اثر ذلك المئات من الرؤوس.. كما وتناثرت الجثث من فوق السلالم الى قاع الخندق.. ويصف شاهد عيان المعركة ان الدماء سالت انهاراً كدجلة خارج السور، وكانت الرؤوس المقطّعة مثل حبب دموي يطوف على سطحه، في حين لم يلتفت الاعجام الى قتلاهم وجرحاهم، وتركوهم طعمة للموت أو النزيف والآلام. (٢٣٠) وبقي الموقف ثابتاً حتى عصر ذلك النهار، وصمد المحاصرون جميعاً، وحطمت السلالم، وقد استفاد المدافعون من مزاغلهم وهي الكوى أو الفوهات في اعلى السور، (٢٣١) وعلى امتداد وقفاته، اذ امطروا الاعداء من خلالها بوابل المتفجرات والطلقات والمياه الحارة. (٢٣٢)

كان يوماً تاريخياً حاسماً من عمر العراق، ولم تبخل الشمس بأشعتها الساطعة على اسوار الموصل التي تحطمت عليها جماجم الاعداء، وعلى ارض المعركة التي شربّها الدم، وصبغها الاحمرار. كان الموصليون جميعاً في حلبة الصراع الهائل قائمين، وقد شاركوا فيه بمختلف فئاتهم دون كلل أو تعب أو ارق بعد اسبوعين كاملين من القصف المدفعي الشديد وآثاره الفتاكة، وكانت المعنويات عالية، وقتالهم ضروس وكانوا ينشدون اغاني الكلبند الصوفية (٢٣٣) التي تمتزج فيها التكبيرات الدينية والتهاليل القدسية.. كانت هذه الموسيقى وانغامها تنبعث ضاجة تارة ورخيمة اخرى من جنبات المدينة واسوارها فتحيل الاعداء رغم قوتهم واعدادهم الى ضعف وخور امام رهبة ما يسمعونه، (٢٣٤) بمشاركة طبول الحرب

وعزفها الذي تشاركه اصوات المنائر واجراس الكنائس، واستمرت اغاني الكلبند والتهاليل تقضّ مضاجع الاعداء حتى طلب نادرشاه نفسه ان يتوقف عنها اصحابها وذلك قبيل رحيله فأبوا ذلك. (٢٣٥) وقد سجلت في هذه المعركة جهود وبطولات عدّت من المفاخر الحربية اللامعة.

١٧ - المعركة النهائية الفاصلة وانتصار الموصل: المصير

تواصلت معركة السلالم والاسوار بما صاحبها من عنف وايثار، وما رافقها من هدير ونار وغبار مع تطاير البارود والرصاص والجثث.. ومع توالي ساعات النهار لم يحرز الاعداء أي نوع من التقدم في تسلقهم الاسوار أو في قتالهم بعد أن ابلى المواصلة بلاءً حسناً في الذود عن عرينهم، وقد استشهد اثناء هذه المعارك عثمان اغا الجليلي ابن عم الوالي(٢٣٦) .. وخابت آمال نادرشاه بعد ان حطمت سلالمه، في حين كان يدفع بالمزيد من القوات لتطحنهم عجلة الحرب الدائرة.

بعد فشل الاعجام بالسيطرة على السور الشمالي، اجتمع الآلاف منهم شمال المدينة وراء السور المذكور، واحاطوا بالقلعة، فتكاتفت جهود المدافعين وخرجوا عليهم من داخل الاسوار، ووثب آخرون من فوق الاسوار الى الخندق(٢٣٧) .. وانقضت الكتل المتراصة من رجال الموصل انقضاضاً سريعاً على تلك الحشود من الايرانيين، وجرت معركة ضارية بالسلاح الابيض، تقطعت فيها المئات من رؤوس المعتدين، وسالت الدماء انهاراً غزيرة.. ويعلق احدهم من الذين شهدوا ساعات هذا القتال المحتدم بأن الفرس لم يروا واقعة اصعب من هذه. (٢٣٨) لقد وقف وراء هذه المعركة الباسلة الفاصلة والي الموصل نفسه، وكان يستمطر جيشه ورجاله وابناء بلده الحماسة والغيرة والذود عن الوطن ودين الله والشهادة في سبيل ذلك. (٢٣٩)

لقد استمرت هذه المعركة زهاء ثلاث ساعات ونصف الساعة، اضمحل بعدها العدو الغادر وتقهقر مندحراً، خاسراً آخر جولاته (٢٤٠) .. وقد اضطر قسم كبير منه لأن يلقوا بأنفسهم في الخنادق خلاصاً، فلم يحالفهم قدر النجاة، وتشتت من بقي حيّاً.. وبدأ جيش الموصل المتواضع في عدده بأطلاق النار من الأسلحة النارية واهلك جميع الذين انزووا في الخندق. (٢٤١) ولقد ارادت خيالة العدو التي

تشكل خط الهجوم الثاني ان تحول دون تشتت وتراجع من فرّ من هول هـذه
المعركة، وكان بين الخيالة نادرشاه نفسه اذ كان قد اتخذ له منخفضاً هناك يراقب
من خلاله اوضاع المعارك الدائرة اثناء ذلك اليوم العسير، فأراد منع الفارين
والمنسحبين والاحالة دون التراجع، ثم ما لبث ان اخذ جواده وامتطاه واسرع به
ذات اليمين والشمال ينادي بقواده عساه يستعيد الانفاس من جديد [٢٤٢]...
ولكن فات الاوان، وضاع الامر وانتهى كل شيٌ في صالح المدافعين اذ رفعت
قواته المتبقية من المشاة السيف في وجه الخيالة لتجد لها طريقاً للهروب، وقد
خسرت الخيالة المنهارة جولتها ايضاً [٢٤٣].

لقد تكاملت سبع ساعات على المعارك واختلط النهار بالليل، وفي الساعة
الثامنة ليلاً هبت نسائم النصر العظيم،[٢٤٤] وارتفعت اصوات الشكر لله عالياً
تعانق السماء القريبة التي وقفت مع قلوبٍ من تعلق بها.. وضجّت المدينة في
داخلها نساءً ورجالاً، شيوخاً واطفالاً تسبّح بحمد الله وملكوته، وتعالت مرة
اخرى اصوات منائر الموصل الرخامية الشاهقة، ورافقتها اجراس الكنائس تدق
دقات النصر [٢٤٥]...

يظهر لمن يقف دارساً هذه المعركة، ويحلل نتائجها من خلال المصادر التاريخية
والوثائقية المتوفرة انها كانت معركة حاسمة تتجلى فيها الضراوة كعنصر اساسي من
قبل المدافعين فهي مسألة موت أو حياة ومستقبل بالنسبة لهم، وقد وصفت وثيقة
(أسبينول) Aspinwell هذه المعركة انها مجزرة رهيبة بين الطرفين المتحاربين،
والتي وصفت المدافعين بالافذاذ البواسل، [٢٤٦] وتؤيد ذلك مصادر
اخرى. [٢٤٧] ويظهر ايضاً ان نادرشاه قد قدم في هذه المعركة من مقاتليه طائفة
القزلباش من الشيعة التركمان الذين كانوا يؤلفون ركناً كبيراً في جيشه [٢٤٨]...
كما ويظهر ايضاً ان نادرشاه ـ كما اكده اكثر من مصدر وثائقي ـ قد خسر في هذه
المعركة الفاصلة ويضمنها معركة السلالم والاسوار خمسة آلاف واربعمائة مقاتل من
ذوي العمائم الحمراء التي بقيت ملقاة على ساحة المعركة المضرّجة بالدماء [٢٤٩]
واذا اضفنا هذا العدد الخاسر من قتل نادرشاه الى من قتل في الخنادق أو احترق
بفعل المياه والزيوت الحارة اضافة الى اربعة آلاف قتيل كان نادرشاه قد خسرهم في
صباح نفس اليوم عند انفجار الالغام وانقلاب الارض عليهم بعد خسفها فيكون

الاجمالي العام لخسائر نادرشاه البشرية وخلال يوم واحد من ايام الحصار هو اكثر بكثير من عشرة آلاف قتيل. الامر الآخر الذي تعالجه الذاكرة بأعجاب منقطع النظير هو رهبة وسطوة القوة البطلة وثباتها، والتي شفت غليلها بمنازلة العدو خارج الاسوار، واستبسالها في افنائه وتقتيله ثم اجتياح فلوله المنهارة، ورغم قلة عددها بالمقارنة مع قوى المهاجمين الّا انها بقيت خلال ساعات النهار الطويلة متوقدة حية ومقتدرة لم يصبها تعب أو كلل أو ضعف وخور. (٢٥٠) وقد استشهد من المدافعين خلال معارك ذلك اليوم عدد قليل، اضافة الى بعض الجرحى. (٢٥١) علماً بأن «سالنامة الموصل» تذكر بأن اورطات انكشارية الموصل لم تفقد اي فرد من بين افرادها خلال المعارك الطاحنة. (٢٥٢) من ناحية اخرى، اذا ما قارنا طبيعة هذا الحدث واخصها المعركة الاخيرة الفاصلة بأحداث حصارات تاريخية شهيرة مررنا بها، (٢٥٣) فاننا نجدها فريدة المحصول، اذ لا يستطيع اي جيش من جيوش الدفاع ان يتوثب في عز هجمة الآلاف المؤلفة من الاعداء خارج الاسوار ليقاتلهم ويدحرهم على النحو الذي رأينا. ومن النتائج الهامة الاخرى التي كسبها المنتصرون هي المغانم وما خلفته هذه المعركة من عدة حرب واسلاب، فقد احرزوا عدداً كبيراً من البنادق والسيوف، اضافة الى سحبهم السلالم المتبقية والقائمة على الاسوار، وما تبقى في ارض المعركة من ادوات الحرب الفارسية.. وفاز الفقراء بأسلاب الجيش. (٢٥٤) وبانتهاء الدقائق الاخيرة على هذه المعركة الضروس اسدل الستار على الاهداف التي من اجلها بدأ زحف الحملة الايرانية الكبرى، اذ سدّت هذه المعركة كافة الابواب بوجه نادرشاه.

١٨ ـ المفاوضات:

عاد نادرشاه ادراجه الى مخيمه بعد ان عبر دجلة الى طرفه الايسر مع جيشه المنهار والاعداد الهائلة من الجرحى.. اما ارض المعركة فقد تراكمت عليها تلول الرؤوس المقطعة مع آلاف الاجساد من قتلاه. (٢٥٥) وارخى الليل المتعب سدوله وهدأت الحركة، وهجعت الانفس، وصفت السماء من هيجان التراب، وسطع القمر المتكامل بازغاً في كبدها، واضاء بنوره الوهاج جنبات الموصل واسوارها، ورسم على صفحات دجلة المتموجة وخلجاته المنسابة انعكاساته الهادئة هنا والبراقة هناك.... وما ان طلع صبح اليوم الثاني على تلك المعركة الحاسمة حتى سكن كل شيء، فقد عادت الحياة تستعيد انفاسها، اذ ابطلت النيران، وسكتت

المدافع وتوقفت اصداؤها، ومات ازيز الرصاص، وهجع التراب، وخمدت الحرائق، ووجدت الطيور لها طريقاً لتحلّق عالياً في السماء البعيدة. . وعمّت الفرحة قلوب المدافعين كبيراً وصغيراً وتعالت اصوات صلوات الشكر والتضرع لما تحقق من نصر في اليوم السابق [٢٥٦]. . اما نادرشاه فقد جلس على ذلك التل العالي لضريح قاضي كند، وقد رافقته الخيبة والمرارة وهو ينظر الى تلك المدينة الباسلة التي تقابله في الطرف الآخر من دجلة ولا زالت شامخة بمنائرها وقلاعها وابراجها واسوارها [٢٥٧]. . وما كان مصدّقاً انها مرّغت طغيانه وجبروته في تراب رفعتها الشمالية، وهو الامبراطور الذي ما انكسر ابداً في حروبه العظمى التي خاضها في اعماق الهند واراضي جورجيا وارمينية وجبهات كرمها (القرم)، واطراف تركستان ونيرانه المتأججة مع الروس حول قوقاسيا ومع العثمانيين حول العراق واذربيجان واناضوليا. . فلا ريب في ذلك فهو كما وصفه العديد من المؤرخين الاوربيين كونه «آخر الغزاة الآسيويين العظام» . [٢٥٨] انتبه نادرشاه من آلامه، فطوى نظراته ونهض طالباً ان يحفظ له ماء وجهه في هزيمته خوف استعداء نفس من قاتل بهم تحت قيادته، وحفظاً لهيبته في بلاده نفسها، ثم كسباً لموقف سياسي كـ «متصالح»، اذا ما دخل في مفاوضات سياسية مقبلة مع العثمانيين على المستوى الدولي. هذه هي الاسباب التي ـ اراها ـ دعته لأن يرسل سفيراً من عنده الى والي الموصل الوزير الجليلي والى المحافظ الوزير القازوقجي وبيده كتاب من نادرشاه طلب اليهما فيه «ان يرسلا اليه رجلين من عقلاء اهل البلد، لأنه لنا معكم بعض مكالمات»، كما ذكره حرفياً. [٢٥٩] ولما قرأ طلبه ردّ السفير الى نادرشاه بأن ليس لديهما واهل الموصل امل في الصلح، «اذ ان العزم ماض لاحقاق الحق». [٢٦٠] فرجع السفير الايراني خائباً، فاستفسر نادرشاه منه عن الاحوال الداخلية للبلد واهلها، فاجابه بأنها لم تؤثر فيها ما ألقي عليها من قنابل، وهي عامرة بأهلها الذين لا يزالون اصحاب يقظة وضراوة [٢٦١]. . فدهش نادرشاه، ودعاه الامر لأن يقدم التماساً آخر اشد تواضعاً، واكثر توضيحاً، فأرسل سفارته الثانية الى الموصل وحملت معها كتابين الى كل من الوزيرين المذكورين ايضاً، قال فيهما: «لم يكن مرادي مجرد الحرب، بل تنفيذ مدعياتي الواقعة في خصوص اثبات المذهب الجعفري [٢٦٢] . . . . » وقد ادّعى نادرشاه في كل من الرسالتين انه قد ارسل بهذا الخصوص محمد كتخداه والي بغداد الى العاصمة العثمانية. [٢٦٣] وهنا يظهر الاتفاق الدبلوماسي بين كل من والي بغداد ونادرشاه (راجع فقرة (١) موقف والي بغداد ـ من هذا الفصل). . . ويتابع نادرشاه قوله: «والآن قد شطبت

على صحيفة المقاتلة والمحاربة بقلم مضى ما مضى، وفرغت منها». [٢٦٤] وأكد مرة اخرى بأرسال الرجلين من اعيان الموصل اليه، وقد اعتمد كل من الوزيرين هذا الطلب اساساً لفض النزاع القائم بعد زوال ظنهما بغدر نادرشاه فأرسلا اليه وفداً من ثلاثة اعيان هم قاضي الموصل، ومفتي الشافعية وأحد الزعماء العسكريين [٢٦٥].. فعبروا نهر دجلة ووصلوا الى السرادق الملكي لنادرشاه فتلقتهم حجّابه ودخلوا عليه فأستقبلهم استقبالاً حسناً واثنى عليهم وعلى ثباتهم ومتانة قلوبهم، وأرسل بتحياته الى الوزيرين المشار اليهما [٢٦٦].. وقد جرت محادثات مطولة بين الجانبين ـ كما يتبين ـ وقال للوفد مشيراً الى الوزيرين: «فان

رضيا بالصلح ودفع القيل والقال فهو مطلوبي، واذا كان مرادهما القتال والحرب فليظهرا ما عندهما ومهما اختاراه من احد الامرين يجرران ما يختارانه الى الدولة العلية» [٢٦٧].. وادّعى نادرشاه ادعاءً ليس له صحة من التحقيق بعد ذلك اذ انه حسبما ذكر سيقيم قرب بغداد، منتظراً ملاقاة العساكر العثمانية وان يدخل معها الحرب فان غلب على امره رجع الى بلاده، واذا انتصر فانه سوف لن يتخلى عن الموصل «فهي ملكي» ـ على حد تعبيره ـ، [٢٦٨] ونهض نادرشاه من مكانه وخلع على هؤلاء الرجال الثلاثة من وفد الموصل الهدايا الفاخرة ثم تركوه ودخلوا على مستشاره الديني وشيخ علمائه ملا باشي علي اكبر الذي خرج لاستقبالهم من خيمته ورحب بهم واكرمهم، وجرت محادثات معه اثنى فيها على شجاعة بطل الحصار، وان الشاه يؤمل ان يقتني عدداً من الخيول الممدوحة لحضرة الوزيرين.. ففهم مغزى هذا الطلب كونه بمثابة المصالحة [٢٦٩].. وفي اليوم الثاني رجع الوفد صباحاً الى الموصل، وتحدثوا بما جرى في حين كان الاعداء يرفعون طابياتهم ومدافعهم وهواوينهم.. وارسلوها الى يارجمة. [٢٧٠]

قرر الوزيران اسكات نادرشاه سلمياً بعد ان وصلهم من حديثه، ورفعة لابراج حربه وآلياتها واستعداده للرجوع خائباً خاسراً جميع جولاته بأن ارسلا له ثمانية من الجياد العربية المطهمة، [٢٧١] كما ارسل رأس بلا رخت لكل من خاناته المقربين: مصطفى خان، ومعيار باشي، وميرزا بك، وعبدالكريم بك. فسرّ بذلك نادرشاه سروراً عظيماً واطلق جميع الاسرى الذين كان قد قبض عليهم في تقدمه ومعارك كل من الكومانـدوز والحصار.. وارسلت الاسـرى الى الموصل، [٢٧٢] برفقة هدايا ثمينة منه لقيادة الموصل وحكومتها.

١٩ ـ رحيل نادرشاه وتقهقر الايرانيين:

في اليوم الرابع من شهر رمضان/ ٢٣ تشرين الاول، رحل نادرشاه عن الموصل وتوجه في نفس الطريق الذي سلكه في زحفه العاتي. . وفتحت ابواب الموصل، وتنفس الناس الصعداء عقب حرب الحصار وما تحقق من انتصار الذي صنعته كافة فصائل وقطاعات البلد. . وعاشوا افراح النصر الكبير اياماً طويلة، وهم يعملون لأزالة آثار العدوان الايراني، وما سببه القصف المدفعي في المباني والاعمال.(٢٧٣)

تقهقر نادرشاه مع جيشه ومجلس حربه وزوجاته جنوباً، (٢٧٤) وخيم قرب كركوك فترة ثم انسحب منها الى جنوب العراق ليزور العتبات المقدسة في كربلاء والنجف الاشرف بعد ان بعثر جيشه في اماكن عديدة (٢٧٥). . وقد طلب من والي بغداد احمد باشا ان يجيز أحد علماء السنة الكبار، ليكون حكماً نزيهاً في المناظرة الدينية أو المؤتمر الذي دعا اليه نادرشاه يحضره العديد من علماء الدين في العراق في محاولة لتبديد الاختلافات المذهبية. (٢٧٦) ولم يتوصل المؤتمر في مناقشاته الى نتيجة، في حين كان نادرشاه يفاوض على معاهدة سلام مع احمد باشا، وهو الشخص الوحيد الذي بقي له مفاوضاً. (٢٧٧) ورغم ما يقال ان نادرشاه قد تخل عن مذهبه بعد فشله، (٢٧٨) ولكن ليست هناك أية دلالة تاريخية تؤكد تخليه عن مطاليبه الدينية بعد فشله الذريع في تحقيق مطاليبه السياسية في التوسع والسيطرة على العراق.

عاد نادرشاه الى بلاده بعد اخفاقه في حملته الكبرى على العراق من جميع الوجوه اذ لم يحقق حتى على وثيقة سياسية تحفظ له قدره السياسي. . وكانت أعمال السخط والشغب قد عمّت ايران، (٢٧٩) وكثرت الاضطرابات في انحائها فعاد ليعالج الاوضاع الداخلية المستفحلة وليستعد من جديد لمواجهة العثمانيين، (٢٨٠) ولكن في مكان غير العراق والذي لم يطأ اراضيه مرة اخرى ابداً.

٢٠ ـ نادرشاه بعد فشل الحصار ـ برواية شاهد عيان ـ :

اجلى نادرشاه جيوشه عن الموصل ـ كما علمنا ـ ورجع يجر اذيال الخيبة فوصل قصبة الاعظمية قرب بغداد. وقد عرض الصلح على الوزير احمد باشا والي بغداد، تنازلاً عن شروطه المتقدمة، وفي نفسه رغبة شديدة «وذلك لما شاهد من

ثبات أهل بلدان الاسلام، وقوة عزمهم . . »[٢٨١] فأجابه احمد باشا بالقبول، اذ أرسل اليه مساعديه الامير محمد باشا والامير سليمان باشا، معززاً اياهما بكاتب الديوان ولي افندي، فعقد الصلح بين الطرفين مشترطين عليه الارتحال عن ارض العراق، ويوسلون بذلك الى البلاط العثماني، فان قبل بذلك فيها، والا فأن قرار الحرب سيشعل من جديد كرة اخرى. . فرضي نادرشاه بذلك . .

لقد زار نادرشاه كل من النجف الاشرف وكربلاء، وادعى خلال ذلك انه غدا من اهل السنة والجماعة «اذ اظهر نفسه سنياً» ـ على حد تعبير عبدالرحمن السويدي[٢٨٢] ـ وقد ارسل الى الوزير احمد باشا والي بغداد يطلب منه عالماً من علماء السنة، وقد فهم من طلبه هذا انه يريده للمناظرة مع علماء العجم في جيشه فأختار الوزير الشيخ عبدالله السويدي صاحب كتاب «النفحة المسكية في الرحلة المكية» والتي ينقل ولده عبدالرحمن السويدي عنها المعلومات التاريخية النادرة وقد سجلها في كتابه «حديقة الزوراء».

لقد اجرى الشيخ عبدالله السويدي مع الوزير احمد باشا مذاكرة بخصوص ذلك الامر، محملاً اياه آراءه فيما هو مقبل على طرحه مع علماء العجم. . ويسجل الشيخ السويدي ذلك اللقاء الذي اجراه مع نادرشاه ووصف تفاصيله، اضافة لوصفه نادرشاه الذي كان يجلس في خيمته الكبيرة التي يحيطها سرادق كبير من الخيام، ويحرسه نحو اربعة آلاف مقاتل ليل نهار.

كان استقبال السويدي في غاية الترحيب من قبل حاشية الشاه الذين اصطحبوه لملاقاة نادرشاه، وهم: معيار الممالك حسن خان، ومصطفى خان، ونظر علي خان، وميرزا زكي وميرزا كافي. . وكان معيار الممالك هو وزير نادرشاه، كرجي الاصل. . اخذوا الشيخ السويدي ضمن بروتوكول خاص لتلك المقابلة التاريخية، ومشوا به بين الاروقة. . حتى وصلوا به الى خيمة نادرشاه، فلما وقع بصره عليه رحب به ثم تقدم السويدي اليه، وعن يمينه جميع الخانات، وعن يساره عبدالكريم بك سكرتيره الخاص، يقول في مخطوطته «النفحة المسكية. .» في وصف نادرشاه: «فرأيته رجلاً طويلاً، كما يعلم من جلسته، على رأسه قلنسوة مربعة بيضاء كقلانس (العجم) وعليه عمامة من المرعزى مكللة بالدر والياقوت والالماس وسائر نفائس الجواهر، وفي عنقه قلائد

الدر والجوهر وعلى عضديه كذلك الـدر والالماس واليـواقيت محنطة عـلى رقعة مربوطة بعضده ـ ويلوح وجهه اثر الكد وتقدم السن، حتى ان اسنانه المتقدمة ساقطة، فهو تقريباً ابن ثمانين عاماً، ولحيته سـوداء مصبوغـة بالـوسمة لكنها حسنة، وله حاجبان مقوسان مقرونان، وعينان يميلان الى الصغر قليلاً، الا انهما حسنتان والحاصل ان صورته جميلة، فحينما وقع نظري عليه، زالت هيبته عن قلبي وذهب عني الرعب». (٢٨٣)

كان نادرشاه يجيد اللغة التركمانية، وقد خاطبه سائلاً عن الوزير احمد باشا والي بغداد، ثم عقب قائلاً: «ان في مملكتي فرقتين: (تركستان) و (افغان) يقولون (للايرانيين): «انتم كفار». فالكفر قبيح، ولا يليق ان يكون في مملكتي قوم يكفر بعضهم بعضاً. فالآن، انت وكيل من قبلي جميع المكفرات، وتشهد على الفرق الثلاث بما يلتـزمونـه، وكـل مـا رأيت أو سـمعت تخـبرني بـه وتنقله لـ احمـد خان». (٢٨٤)

ثم خرج من عند نادرشاه، فلقيه في الطريق مفتي الافغان الملا حمزة القلنجائي، فقال له الاخير: «يا سيدي! اياك ان تغتر بقول الشاه، وانما ارسلك الى المـلا باشي ليباحثوك في اثناء الكلام.. فاحترز منه...».

لقد جرت مناورات عديدة وبعض الدسـائس الماكـرة عند اقـامة الشـيخ السـويدي بينهم.. في حين كانت الافراح قد عمت «اهل السنة» وعلى حد تعبيره السـويدي عن تلك الحالة من الفرح قوله: «لم يقع مثله في هذه العصور لا تشبهه اعراس ولا اعياد، والحمد لله على ذلك». (٢٨٥)

عاد الشيخ السـويدي لمقابلة نادرشاه ثانيـة، وادى بروتـوكول المقـابلة من جديد، فقال نادرشاه مخاطباً السويدي: «جزاك الله خيراً، وجزى احمد خان خيراً فوالله! انه، قصر في اصلاح ذات البين، واطفاء الفتنة، وحقن دماء المسلمين، لكنا لا نصدقه ـ وآل عثمان لا يصدقونه، فهو منهم بين الفريقين، جعل الله عزه ورفعته اكثر من ذلك». (٢٨٦)

ثم عقب قائلاً: «يا عبد الله افندي، لا تظن ان الشـاهنشـاه يفتخـر بمثل ذلك، وانما هذا امر يسره الله تعالى، ووفقني له، حيث كان رفع سب الصحابة

على يدي، مع ان آل عثمان منذ السلطان سليم الى يومنا هذا كم جهزوا عساكر وجنوداً، وصرموا اموالاً، وتلفوا انفساً يدفعوا السب، فلما تهيأ لهم. وانا، بحمد الله وعونه، ورفعته بسهولة، وهذه القبائح نشأت من الخبيث الشاه اسماعيل (الصفوي): أغواه اهل لاهجان ولم تزل الى يومنا هذا». (٢٨٧)

ثم قال: «كنت ارسلك، لعلمي ان احمد خان (والي بغداد) بانتظارك. لكن ارجو أن تبقى غداً، فأني امرت ان نصلي الجمعة في جامعة الكوفة، وامرت ان تذكر الصحابة على المنبر على الترتيب، ويدعى لاخي الكبير حضرة الخنكار سلطان آل عثمان قبلي، ويذكر بجميع الالقاب الحسنة... وفي الحقيقة والواقع هو اكبر واجل مني، لانه سلطان ابن سلطان، وانا جئت الى الدنيا ولا اب لي سلطان ولا جد!». (٢٨٨)

ثم خرج الشيخ عبدالله افندي السويدي من عنده، وقفى راجعاً الى بغداد في حين رحل نادرشاه عن ارض العراق بعد فشل تجربته المريرة، وموت احلامه المريضة.. «وتوجه الى ارضه وانقشعت سحابته، ويعدت عن العراق عصابته». (٢٨٩)

ـ ملاحظات ونقدات ـ

1 - Longrigg, op. cit., P. 147. (نقلاً عن المؤرخ هامر)

٢ - شرح القنصل الفرنسي في بغداد المعاصر للاحداث، وهو اسقف الكاثوليك فيها المطران (عمانوئيل سانت البرت) اوضاع بغداد الداخلية من خلال رسائله الوثائقية - الدبلوماسية التي كان يرسلها باللغة الفرنسية الى حكومة باريس . . وقد اعتمدت عليها في كتابي لموضوع موقف احمد باشا والي بغداد، نظراً لمعلوماتها الجديدة:

Archieves National, (Paris); E. de St. Albert,s"Letters from Baghdad", L. dated 14/9/1743 A.D., fol. 17.

3 - Loc. cit.; cf. also, Longrigg, op. cit., P. 147.

4 - "Letters from Baghdad", Loc. cit.

٥ - أكد هذه الصداقة، مؤرخ ايران المشهور Sykes اذ قال بأن علاقات صداقة حميمة كانت تربط نادرشاه بوالي بغداد - احمد باشا -، انظر :

(Sykes, op. cit., vol. 2, P. 343).

6 - "Letters from Baghdad", Loc. cit.

7 - Loc. cit.

٨ - هو سليمان باشا كتخداه الوالي احمد باشا . . وهو المملوك الذي كان قد ربّاه الوالي حسن باشا في قصره . . وقد حالفه القدر، لأن يتولى ولاية بغداد بعد وفاة واليها احمد باشا ابن حسن باشا. وقد عرف واشتهر باسم (ابي ليلة) نظراً لما قادت اليه حركاته الحربية ضد القبائل في اطراف بغداد. راجع عنه بالتفصيل: (سليمان فائق، تاريخ بغداد، ترجمة موسى كاظم نورس، بغداد ١٩٦٢).

9 - "Letters from Baghdad", Loc. cit.

10 - Loc. cit.

11 - Loc. cit.

12 - Loc. cit.

١٣ - انظر هذا القول الشهير الذي نقل على لسان الوزير احمد باشا في مصادر موثوقة متعددة، منها (مخطوط الدر المكنون، نسخة Paris ، ورقة 297a).

14 - Olson, op. cit., P. 154. (عن تاريخ صبحي)

١٥ - فتح الله القادري الموصلي، ملحمة الموصل، تحقيق وتعليق سعيد الديوه جي، بغداد ١٩٦٥، ص ١٦.

١٦ - المصدر نفسه، ن ص.

١٧ - المصدر نفسه، ن ص.

١٨ ـ المصدر نفسه، وقد ذكرت الوثيقة الدبلوماسية للقنصل الفرنسي بأن والي بغداد ارسل كتخداه الى العاصمة اسطنبول، ولكنها لم تذكر لنا اسمه، وقد اعلمتنا بأن حامية كبيرة كانت برفقته انظر (Letters from.. Loc. cit.)، وراجع الفقرة ١٧ من هذا الفصل، والملاحظة رقم ٢٦٣ عنه.

19 - Olson, op. cit., P. 154.

20 — Ibid. (عن تاريخ صبحي)

٢١ ـ الزبدة. . .، ص ١٠٠.

22 - Olson, op. cit., P. 122.

٢٣ ـ الدوحة. . .، ص ٥٠.

24 - Olson, op. cit., P. 122.

25 — Ibid.; see also (عباس العزاوي، المصدر السابق، جـ ٥، ص ٢٦٦)

26 - Olson, Loc. cit.

27 - cf. Olson with Lockhart, op. cit., P. 228.

28 - W. Jones, op. cit., P. 105; also

(م. ا. زكي، المصدر السابق، ص ٢٢٩) وانظر بالفارسية (سرلشكر غلامحسين مقتدر، نادرشاه، تهران ١٣٣٩ شمسي، جاب اول ص ٩٣).

29 - Olson, op. cit., P. 123.

30 - Loc. cit.

٣١ ـ تؤكد جميع المصادر التاريخية المحلية العراقية والاجنبية اجمالي هذا العدد الهائل من جيوش نادرشاه.

٣٢ ـ مخطوط الدر المكنون، نسخة (Brit. Mus.)، ورقة 117a، ويذكر المؤرخ س صايغ، بأن العدد كان ثلاثمائة الف محارب ونيف. انظر (صايغ، م س، ص ٢٨٣).

٣٣ ـ المنهل. . .، جـ ١، ص ١٥٠.

٣٤ ـ المصدر نفسه، ص ١٩٣. (عن قصيدة الشيخ عبدالله الاربلي).

٣٥ ـ ملحمة الموصل، ص ٧٢.

٣٦ ـ المصدر نفسه، ن ص.

٣٧ ـ المنهل. . .، جـ ١، ص ١٦٣، (عن القصيدة المنوه عنها).

٣٨ ـ مخطوط الدر المكنون، نفس النسخة، ن و.

39 - Olson, op. cit., P. 137. (عن تاريخ صبحي)

٤٠ ـ الدر المكنون، النسخة نفسها، ن و. ايضاً باجماع المصادر المحلية والاجنبية.

٤١ ـ سالنامة الموصل لسنة ١٣٢٥ هـ، ص ٦٩، والبالمز Paleemis هي نوع من انواع الاسلحة. انظر عنها (ع العزاوي، المصدر السابق، جـ ٥، ص ٢٠٣).

٤٢ ـ سليمان صايغ، المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٨٨.

٤٣ ـ لقد تراءت لنظر الرحالة ايفز Ives اثناء تقدمه في شمال العراق سنة ١٧٥٨ م آثار القذائف الحجرية الهائلة التي كانت جيوش نادرشاه قد تركتها بعد استعمالاتها. انظر:
Edward Ives, Journey from Persia to England by An Unusua' Route, London, MDCCLXXIII, P. 322.

٤٤ ـ هذه المعلومات التاريخية عن المخطوط التركي الذي يحكي قصة الحصار، والمحفوظ في مكتبة المتحف البريطاني، وهو خال من اسم مؤلفه، ولكنه تحت عنوان: «تاريخ وقعة نادرشاه در آمد نش برلسر كركوك واربيل وموصل»
Account of the Siege of Mosul by Nadir Shah, (MS)-(Brit. Mus. Library) Add. 7867-Old Turkish Text.

الزانبوركات نوع من الاسلحة النارية، مفردها (زنبرك)، تلفظ بالتركية Zenberek وبالفارسية Zanburak. وفي بالانكليزية A Swivel-Gun انظر
J.W. Redhouse, A Turkish and English Lexican, Constantionple 1921, P. 1015.

٤٥ ـ شيشخانه Sheak-Khane نوع من الاسلحة النارية القديمة، والمعنى الجزئي لها بالانكليزية (A rifled barrel of gun) وانظر:
(Ibid., P. 1125)

لا يزال مصطلح (شيش خوان) يستعمل الى حد الآن في العراق، وعلى الاخص عند القبائل العربية، وافرادها من اصحاب الاهتمام بالقنص والصيد والاسلحة النارية وانواعها.

46 - Olson, op. cit., P. 122.

47 - Hassan Arfa, The Kurds, London 1966, P. 65.

٤٨ ـ دخل نادرشاه اراضي العراق عن طريق المسلك الجبلي الحاد (ساوج ـ بولاق)، على حد ذكر صاحب (ملحمة الموصل، انظر ص ١٢).

49 - Olson, op. cit., P. 123.

50 - Ibid.

٥١ ـ ملحمة الموصل، ص ١٠.

٥٢ ـ المصدر نفسه.

٥٣ ـ الدر المكنون، نسخة (Paris)، ورقة 247a.

٥٤ ـ المخطوط نفسه، وانظر (المنهل. . ، جـ ١، ص ١٥٠).

٥٥ ـ تختلف المصادر التاريخية والادبية والجغرافية في عدد الايام التي حاصر خلالها نادرشاه كركوك، فعلى سبيل المثال لا الحصر اوردت المصادر المعتمدة التالية في ذكرها ان الحصار الايراني لكركوك دام ٨ ساعات فقط عند (ملحمة الموصل، ص ١٢)، يومان عند (المنهل، جـ ١، ص ١٥٠)، ويشاركه (الاسترابادي، المصدر السابق، ص ١٩١، ـ وانظر نسخته الفرنسية ـ)، ثلاثة ايام عند (الدر المكنون، نسخة باريس، ورقة

247b)، وتشاركه (الزبدة ـ لنفس المؤلف ـ ص ١٠٠)، ثلاثة اسابيع عند -Lon)
grigg, op. cit., P. 149)، ٢٤ يوماً عند (Ives, op. cit., P. 322)،
بضعة ايام عند (عماد رؤوف، م س، ص ١٠٤) ويشاركه اولسن Olson, op.)
cit., P. 165).

٥٦ ـ الدر المكنون، نسخة (Paris)، ورقة 247b، وانظر ايضاً: (ملحمة الموصل، ص ١٢).

57 - Olson, op. cit., P. 165. (انظر مقارنته للمصادر التاريخية المعتمدة)

58 — Longrigg, op. cit., P. 149.

٥٩ ـ المنهل، جـ ١، ص ١٥٠.

60 - W. Jones, op. cit., P. 144. (وقارن الإستراباذي مع سالنامة الموصل)

٦١ ـ المنهل، جـ ١، ص ١٥٠.

62 - Olson, Loc. cit.

٦٣ ـ يذكر المؤرخ المحلي ياسين العمري، بأن قلعة اربيل قد صمدت نصف يوم (الدر المكنون، ورقة 247a). اما الرحالة ايفز Ives فيذكر بان حصارها قد دام ٥ ـ ٦ يوم. ويبدو ان ايفز قد اخطأ في هذا التقدير او ان معلوماته التي حصلها كانت تشوبها المبالغة فلقد ترك نادرشاه مدينة كركوك متوجهاً نحو الموصل في ١٤ رجب، وصل يارمجة قرب الموصل في ٢٢ ـ ٢٣ رجب، فالفترة التي استغرقها في قطعه للمسافة بين كركوك ـ الموصل هي ٨ أيام. . فاذا انقصنا فترة الحصار التي ذكرها ايفز، فيتبقى لنا يومان وهي فترة غير كافية لاجتياح القوات الايرانية الجرارة مسافة كركوك ـ الموصل، علماً بأن نادرشاه بعد اجتياحه لقلعة اربيل كسب ثرواتها، وخرط رجالها اسرى في صفوف جيوشه. من هنا نعلم بأن المؤرخ العمري هو الاصدق في روايته. راجع مقارناً: (Ives, op. cit., P. 322); also (cf. Hammer and Olson). ومن الجدير بالتنويه ان ايفز قد ذكر في رحلته بأن حملة نادرشاه على الموصل قد حدثت وقائعها قبيل رحلته بخمسة عشر سنة. انظر (Ives, Loc. cit). ولقد اخطأ المترجم جعفر خياط في ترجمته لذلك، فلقد ذكر ان الحملة قد وقعت قبل خمسين سنة من رحلة ايفز. راجع مقالة جعفر خياط تحت عنوان (مشاهدات الدكتور ايفز بين بغداد وكركوك والموصل) في مجلة الاقلام العراقية، جـ ١٢، السنة ٢، آب ١٩٦٦، ص ٤١.

٦٤ ـ انظر د. صديق الجليلي في تحقيقه لديوان حسن عبدالباقي الموصلي، ملحق رقم (١)، الموصل ١٩٦٩، ص ١١٢. وراجع للاستزادة: الدر المكنون، نسخة (Paris)، ورقة 247a، وانظر المنهل، جـ ١، ص ١٥٠.

٦٥ ـ ملحمة الموصل، ص ١٢. معنى (ساوج بولاك) هو الربيع البارد، تفاصيلها الطبوكرافية عند:

(JAOS), op. cit., 2ed vol., P. 114.

٦٦ ـ ملحمة الموصل، ص ١٢، وانظر (ص الجليلي، المصدر السابق، ملحق رقم (١)، ص ١١٢).

67 - Olson, op. cit., P. 165.

68 - Ibid. (ملحمة الموصل، ص ١٥)

٦٩ ـ ملحمة الموصل، ص ١٥. وانظر ملاحظة رقم ٣٥ فيها. ايضاً (المنهل.. ص ٨٤).

٧٠ ـ عماد رؤوف، المصدر السابق، ص ١١٠، (نقلاً عن ذخيرة الاذهان). وراجع عن تدمير الفرس لدير مار ايليا ايضاً قرب الموصل في كتاب (الموصل في الجيل الثامن عشر حسب مذكرات دومنيكو لنزا، ترجمة د. روفائيل بيداويد، الموصل ١٩٥١، ص ٢٨).

٧١ ـ انظر عنها: ملحمة الموصل، ص ١٩، س صايغ، المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٨٥.. ايضاً راجع (R. Olson, op. cit., P. 170). اما وصفها الجغرافي والمكاني الدقيق بعد تلك الاحداث المريرة فتجدها عند:

C. Niebuhr, Reisbeschribung nach Arabian und andern Umliegende, Landern 1908, vol. 2, PP. 369-70.

72 - Olson, op. cit., P. 170.

٧٣ ـ ملحمة الموصل، ص ١٩.

٧٤ ـ المصدر نفسه، ن ص.

٧٥ ـ المصدر نفسه، ن ص.

٧٦ ـ المصدر نفسه، ن ص. وانظر (Olson, op. cit., P. 170)

٧٧ ـ الدر المكنون، نسخة (Brit. Mus.)، ورقة 117b.

٧٨ ـ المخطوط نفسه، وايضاً (ملحمة الموصل، ص ١٩).

٧٩ ـ التفاصيل في التقرير الوثائقي الرسمي الذي ارسله الوزير حسين باشا القازوقجي والي حلب ومحافظ الموصل الى البلاط العثماني. ويعد من اهم وثائق الحصار، وقد كتبه بالتركية (بارعي افندي)، ونشره بالعربية سعيد الديوه جي في ملاحق تحقيقه لكتاب (المنهل..) المذكور سلفاً. انظر (المنهل، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨)، وانظر اصله بالتركية في (سالنامة الموصل لسنة ١٣٠٨ هـ، وايضاً في عدد سنة ١٣١٠ هـ). وقد اعتمدت عليه اعتماداً وثيقاً، لأنه اقرب نص رسمي اطلع العاصمة العثمانية عن الاحداث.

٨٠ ـ ملحمة الموصل، ص ١٥، التي تذكر بأن حكومة الموصل قد ارسلت اليهم احدى دورياتها وجلبتهم في (طرّادة) مائية، وذلك من الجانب الايسر لنهر دجلة نحو غربه.

٨١ ـ راجع نص كتاب الانذار الايراني الذي وجهه المستشار الديني لنادرشاه ملا باشي علي اكبر والمنشور في ملاحق الجزء الاول من كتاب (المنهل.. ملحق رقم ٢ ص ٣٢٥ ـ ٢٦). وكان اصله موجوداً في حاشية «المنهل». كما نشر الوثيقة المذكورة (د. عماد رؤوف، المصدر السابق، ملحق رقم ٥، ص ٥١١ ـ ١٢)؛ وانظر ملحقنا رقم (٣).

٨٢ ـ راجع تقرير القازوقجي الوثائقي، المصدر السابق، ص ٢٧٨. من المعلوم ان هذا المجلس الاستشاري قد عقد بحضور الوفد المرسل من قبل نادرشاه. وقد اعترض والي

الموصل الوزير الجليلي دبلوماسياً على الصيغة التي تصرف بها الجانب الايراني، اذ تقضي الاصول الدبلوماسية ان يخاطب الوالي نفسه، وليس مفتي الولاية الذي وجه اليه الانذار باللغة العربية. وقد حل ذلك والي الموصل لأن يرد جوابه على ذلك بتوقيع المفتي المذكور (المصدر نفسه، ص ٢٧٨).

٨٣ ـ الجامع الاحمر أو (المجاهدي) أو (جامع الخضر) من جوامع الموصل العريقة ويقع خارجها جنوباً آنذاك. انظر (سعيد الديوه جي، جوامع الموصل في مختلف العصور، الموصل ١٩٦٣، ص ٥٧ ـ ٧٢).

٨٤ ـ المصدر نفسه، ص ٢٧٨ ـ ٧٩. وانظر (ملحمة الموصل، ص ١٣). ايضاً (المنهل، جـ ١، ص ١٥١). (لنزا، ص ٢٩). وراجع: (صايغ، المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٨٢) و (Olson, op. cit., P. 172).

٨٥ ـ لنزا، المصدر السابق، ص ٣٠. وقد ذكر هذا القول ايضاً الرحالة (ايفز)، وهو اقرب الرحالة الاجانب الى عصر الاحداث. انظر:

(Ives, op. cit., PP. 322-23).

86 - Olson, op, cit., P. 172.

٨٧ ـ انظر نص وثيقة جواب حكومة الموصل على الانذار الايراني الاول في ملاحق (المنهل، ص ٣٢٦ ـ ٢٧). وانظر نصه ايضاً عند (د. عماد رؤوف، المصدر السابق، ملحق رقم ٦، ص ٥١٤ ـ ١٥)، وقد نقل هذا النص عن نسخة خطية محفوظة في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد، رقم (٤٤)، ملحق رقم (٤).

٨٨ ـ ملحمة الموصل، ص ١٥.

٨٩ ـ اعتمدت في كتابي لموقف البلاط العثماني اعتماداً اساسياً على الوثائق السياسية ـ الدبلوماسية لنائب السفير البريطاني في العاصمة العثمانية اسطنبول Aspinwall، والمحفوظة في دائرة الوثائق الخارجية بوزارة الخارجية البريطانية ـ لندن. وتحوي هذه الرسائل على معلومات تاريخية جديدة لاحداث منطقة الشرق الادنى آنذاك، انظر:

(Public Records Office, London-State papers 97-TURKEY vol. 24—32. Letters from Mr. Stanhope Aspinwall).

٩٠ ـ هذه المعلومات عن الحصار وموقف البلاط العثماني منه هي معلومات جديدة لم تذكرها المحليات.

91 - Aspinwall, SP 97, Loc. cit.

92 - Loc. cit.

93 - Loc. cit.

٩٤ ـ المنهل، جـ ١، ص ١٥٠. وانظر (الدر المكنون، النسخة السابقة، ورقة 297a)

95 - Aspinwall, SP 97, Loc. cit.

96 - Loc. cit.
97 - Loc. cit.
98 - Loc. cit.
99 — Loc. cit.
100 - Loc. cit.
101 — Loc. cit.

١٠٢ ـ انظر فقرة (٩) (شروط نادرشاه) الفصل الثاني من الكتاب

١٠٣ ـ لنزا، المصدر السابق، ص ١٢ ـ ١٥.

١٠٤ ـ الدر المكنون، النسخة السابقة، ورقة 296b.

105 - Olson, op. cit., P. 134.
106 - Ibid., PP. 134—35. (نقلاً عن Otter)

١٠٧ ـ الدر المكنون، النسخة السابقة، ورقة 297a.

108 - W. Jones, op. cit., P. 105.
109 - Hammer, op. cit., 7/474; 8/62.
110 - Jean Otter, Voyage en Turquie et en Perse avec une relation des expeditions de Tahmas Kouli-Khan, vol. 2, Paris 1748, P. 149.

111 - "Letters from Baghdad", Loc. cit.

١١٢ ـ المنهل، جـ ١، ص ١٥٢.

113 - Longrigg, op. cit., P. 150.

١١٤ ـ الدر المكنون، النسخة السابقة، ورقة 118a.

115 - Longrigg, op. cit., P. 150; also (ملحمة الموصل ص ٩)

١١٦ ـ يورد المؤرخ ياسين العمري هذه المعلومات في اخبار سنة ١١٥٥ هـ، أي قبيل سنة من الحصار الايراني للموصل. انظر (الزبدة، ص ٩٩ ـ ١٠٠).

١١٧ ـ المنهل، جـ ١، ص ١٥١، ايضاً (الدر المكنون، نسخة Brit. Mus.، ورقة 117b).

١١٨ ـ المنهل، جـ ١، ص ١٥٢، وانظر ترجمة ذلك في اطروحة كيمب، وانظر ايضاً: رحلة اوتيه Otter بالفرنسية، الجزء الثاني، ص ٢٥٧.

١١٩ ـ لنزا، المصدر السابق، ص ٢٩. وانظر (عماد رؤوف، المرجع السابق، ص ١٠٥)، ايضاً مخطوط (الدر المكنون، نسخة (Brit. Mus.)، ورقة 118a).

١٢٠ ـ المصادر نفسها.

١٢١ ـ الدر المكنون، النسخة السابقة، ورقة 118a.

١٢٢ ـ ع رؤوف، المرجع السابق، ص ١٠٥.

١٢٣ ـ المنهل، جـ ١، ص ١٥١.
١٢٤ ـ وثيقة القازوقجي المذكورة سابقاً، المصدر السابق، ص ٢٨٢.
١٢٥ ـ الزبدة، ص ١٠٢.
١٢٦ ـ قلعة باش طابية: هي القلعة العظيمة المطلة على نهر دجلة والمنابع الكبريتية والواقعة في منطقة عالية وهامة من شمال مدينة الموصل.. وكان قد جدد عمارتها عماد الدين زنكي امير الموصل في القرن السادس الهجري.. ولم يبق من القلعة سوى بناء شاهق متميز بعلوه البرج العالي الذي تتوزعه امكنة منيعة كانت متخصصة لوضع المدافع، وتحتها الزندان الذي كان مخزناً للعتاد والذخيرة في عمليات الدفاع العسكرية خلال الحصار الايراني. (المعلومات عن مصادر محلية.. ومسح طبوكرافي للمكان).
127 - Account of the Seige of Mosul, (MS), op. cit., fol. 16a.
وانظر: (الزبدة، ص ١٠١ ـ ١٠٢، ملاحظة محققها رقم ٩).
128 - Ibid., fol. 16a-b.
129 — Loc. cit., للاستزادة انظر المصادر المحلية.
١٣٠ ـ ملحمة الموصل، ص ٩ ـ ١٠.
١٣١ ـ سالنامة الموصل لسنة ١٣٢٥ هـ، وانظر (ملحمة الموصل، ص ١١).
١٣٢ ـ ايچ قلعة: هي القلعة العسكرية الداخلية في الموصل، والتي بناها الاتراك بعد احتلالهم للموصل. انظر مقالة من الديوه جي عنها في (مجلة سومر، بغداد، عدد ١٠، ص ١٠٧ ـ ١١١). تقع هذه القلعة عند باب الجسر القديم للموصل والمسمى بالميدان، وفي المكان الذي كانت تقوم عنده بناية بلدية الموصل القديمة، وامتدادها العميق شمالاً حتى حمام القلعة التي ينحدر الطريق منها الى مجرى النهر. وكان يفصل هذه القلعة عن المدينة خندق أو قناة، وقد اجرى الماء فيها اثناء الحصار الايراني، اما المدينة نفسها فتعالى منطقتها المطلة على هذه القلعة، وقد زالت ـ اليوم ـ جميع آثار (ايچ قلعة) ومعناها ـ القلعة الداخلية ـ، كما زالت آثار القناة المذكورة، ولم يبق لها أي اثر يمكن ان يقف عليه الدارسون. (استطعت ان اوفر هذه المعلومات الطبوكرافية من المسح المكاني الذي قمت به في خريف عام ١٩٧٨ م للمكان، مستنداً على كل من خريطتي ـ نيبور وفيلكس جونز ـ القديمتين للموصل، ومقايستها مع طبيعة المكان، والجغرافية المحلية للقلعة المذكورة اعلاه، ثم مقارنة ذلك مع خريطة ـ هرسفيلد ـ للموصل، وهي خريطة حديثة رسمها صاحبها عام ١٩١٧ م، والتي لم تشر للمكان المذكور، في حين يتوضح ذلك في كل من الخريطتين القديمتين المشار اليهما. للايضاح انظر منطقة Citadel قرب الجسر في خريطة فيلكس جونز المرفقة بالبحث رقم ٤).
١٣٣ ـ وصلت طلائع الجيش الايراني الموصل ٢١ رجب/ ١٠/٩/١٧٤٣ م (ص الجليلي، م س، ص ١١٢).
134 - C.J. Rich, Narrative of a Residence in Koordistan, London 1830, vol. 2, P. 349.

١٣٥ - وثيقة القازوقجي آنفة الذكر، المصدر السابق، ص ٢٨٠.

١٣٦ - سالنامة الموصل لسنة ١٣٢٥ هـ.

١٣٧ - وثيقة القازوقجي آنفة الذكر، المصدر السابق، ص ٢٨٠.

١٣٨ - المنهل، جـ ١، ص ١٥٣. علماً بـ - [illegible] - ذكرت بان مقدم الجيش كان مراد بيك ابن الوالي (ملحمة الموصل، ص ١٦)، وقد شاركت - الزبدة - في تقديم اسمه على اسم عمه فتاح بيك قائد العملية. قارن (الزبدة، ص ١٠١).

١٣٩ - الزبدة، ص ١٠١، ملاحظة رقم ٥.

١٤٠ - المصدر نفسه، ن ص، ملاحظة رقم ٤.

١٤١ - ملحمة الموصل، ص ١٦.

١٤٢ - المنهل، جـ ١، ص ١٥٢.

١٤٣ - ملحمة الموصل، ص ١٦.

١٤٤ - المنهل، جـ ١، ص ١٥٣. للاستزادة انظر (سالنامة الموصل لسنة ١٣٢٥ هـ).

١٤٥ - ملحمة الموصل، ص ١٧.

١٤٦ - المنهل، جـ ١، ص ١٥٣.

١٤٧ - ملحمة الموصل، ص ١٧.

١٤٨ - وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨١. وانظر (سالنامة الموصل لسنة ١٣٢٥ هـ).

١٤٩ - ملحمة الموصل، ص ١٧. ويذكر المؤرخ ياسين العمري بأن بعضهم غرق في نهر دجلة اثناء عملية عبورهم السريع راجعين للموصل (الدر المكنون، النسخة السابقة، ورقة 248). ايضاً (صايغ، م س، ص ٢٨٣).

١٥٠ - وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨١.

١٥١ - المصدر نفسه، ن ص. (الدلو واللواند من القبائل الكردية. اما الاندرون فهم فصائل انكشارية).

١٥٢ - الدر المكنون، النسخة السابقة، ن و.

153 - Olson, op. cit., P. 172;

يذكر صايغ بأن هذه القرية لا تزال تسمى بقرية جيلوخان (صايغ، م س، جـ ١، ص ٢٨٣).

١٥٤ - سالنامة الموصل لسنة ١٣٢٥ هـ، ص ٢٧٤.

١٥٥ - من نصوص وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٠.

١٥٦ - تمتد هذه المنطقة الحيوية اليوم على امتداد شرق نهر دجلة المقابل لشمال مدينة الموصل، وقد استفادت من احراشها بلدية الموصل في خمسينات هذا القرن، لتقيم عليها غابات نموذجية، اشتهرت قبل سنوات كمتنزهات طبيعية باسم (غابة الحدباء النموذجية) والتي ساعدت لأن تكون رئة خضراء لمدينة الموصل الحديثة. ويخترقها شارع [illegible] المحوري، والمطل في اجزاء منه على النهر مباشرة، وقد زاد من اهمية المنطقة [illegible] الموصل الجديد بها (= الجسر الثالث).

١٥٧ ـ انظر فقرة (٤) موضوع (استعدادات الموصل) الفصل الثاني من هذا البحث.

158 - S. Runciman, The Fall of Constantinople 1453, Cambridge 1965, (cf. Chap. X) (غير اساسي لموضوع هذا البحث)

159 - S. Shaw, op. cit., vol. 1, PP. 56-57.

160 - E. Bradford, The Great Siege (MALTA 1565), Penguin-1979 Chapters 5-18. (غير اساسي لموضوع هذا البحث)

161 - V.J. Parry, A History of the Ottoman Empire.., Cambridge 1976, P. 144.

162 — Olson, op. cit., P. 165.

also; (الدر المكنون، النسخة السابقة، ورقة 118a)

١٦٣ ـ علماً بأن صاحب ملحمة الموصل يذكر بأن الوصول قد جاء في اليوم الثالث الذي انقضى على معركة الكوماندوز (الملحمة، ص ١٧)؛ وتذكر سالنامة الموصل من طرف آخر ان نادرشاه وصل بارجة بعد مضي عشرة ايام على المعركة المذكورة (قارن السالنامة، ص ٢٥٢). اما المصادر الايرانية فتذكر بأن وصول نادرشاه بارجة كان في يوم ٢٥ رجب. انظر: (الاستراباذي، المصدر السابق، ص ١٠٥). اما المؤرخ النمساوي فون هامر فيذكر بأن وصول نادرشاه كان يوم ٢٤ رجب. انظر (Hammer, vol. 8, P. 63). وتقول الوثيقة الايطالية الملحقة بالبحث بيوم ٢٥ رجب. (وقد اعتمدت على ملحق ص الجليلي، م س).

١٦٤ ـ عن تقرير القازوقجي آنف الذكر، المصدر السابق، ص ٢٧٩.

١٦٥ ـ المصدر نفسه، ص ٢٨٠.

١٦٦ ـ ملحمة الموصل، ص ١٨.

١٦٧ ـ المنهل، جـ ١، ص ١٥٤. ايضاً (ملحمة الموصل، ص ١٩).

١٦٨ ـ تقرير القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨١.

169 - W. Jones, op. cit., P. 105.

١٧٠ ـ ملحمة الموصل، ص ٢١.

١٧١ ـ د. صديق الجليلي، المصدر السابق، ملحق رقم (١)، ص ١١٤.

١٧٢ ـ بلغت بروج الموصل الدفاعية الداخلية اثنا عشر برجاً (المنهل، جـ ١، ص ١٥٤). وانظر: (تقرير القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨١)، ايضاً (الوثيقة الايطالية المرفقة بهذا البحث).

١٧٣ ـ ملحمة الموصل، ص ١٩.

١٧٤ ـ عماد رؤوف نقلاً عن ص صايغ. وانظر (المنهل، جـ ١، ملاحظة رقم ٣، هامش ص ١٥٤). ويذكر فون هامر ان عدد مدافع نادرشاه قد بلغ ٣٦٠ مدفعاً كبيراً وصغيراً مع مدافع الورنرس. انظر (Hammer, op. cit., vol. 8, P. 63-4).

١٧٥ ـ ملحمة الموصل، ص ١٩.

١٧٦ ـ المصدر نفسه، ص ١٨ . وانظر (Olson, op. cit., P. 173).
١٧٧ ـ عن قصيدة يونس الموصلي بالتركية، ضمن مجموعة خطية في مكتبة يعقوب سركيس ببغداد.
١٧٨ ـ المنهل، جـ ١، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ ؛ وراجع تحليلات المؤرخ اولسن بهذا الخصوص.
١٧٩ ـ الدر المكنون، نسخة Paris، ورقة 247b.
١٨٠ ـ المخطوط نفسه، ن و. وقارن ذلك مع (ملحمة الموصل ووثيقة القازوقجي). وانظر (الزبدة، ص ١٠٢ ـ ١٠٣).
١٨١ ـ الدر المكنون، ن و. ايضاً (المنهل، جـ ١، ص ١٥٥)، وتشاركهما (سالنامة الموصل، ص ٢٦٧) والمؤرخ (صايغ، المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٨٤). اما الرحالة الشهير نيبور فيذكر بأن مجموعة عدد القنابل الساقطة كان ٤٠ الف قنبلة (Niebuhr, op. cit., P. 369). اما دومينيكو لنزا فيذكر بأن اعدادها كانت نيفا واربعين الف قنبلة (لنزا، المصدر السابق، ص ٣٠) اضافة الى سقوط مائة الف قذيفة هاون على الموصل (الدر المكنون، النسخة السابقة، ورقة 247b).
١٨٢ ـ اجمال المصادر الاساسية، كما ضبط ذلك بدقة د. صديق الجليلي، المصدر السابق، ص ١١٣.
١٨٣ ـ وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٢. وقارن ذلك مع (سالنامة الموصل).
١٨٤ ـ الوثيقة نفسها، ن ص. وانظر (ملحمة الموصل، ص ٢٧).
١٨٥ ـ الوثيقة نفسها، ن ص. وراجع (Olson, op. cit., P. 174).
١٨٦ ـ الوثيقة نفسها، ن ص.
١٨٧ ـ تفاصيل موضوع الثغرة الخطيرة عند (المنهل، جـ ١، ص ١٥٦ ـ ١٥٧)، وترجمة برسي كيمب لذلك في اطروحته ـ بالانكليزية ـ (Kemp, op. cit., P. 310-317)
١٨٨ ـ المصدران نفسهما، ن ص.
١٨٩ ـ المصدران نفسهما، ن ص.
١٩٠ ـ المصدران نفسهما، ن ص.
١٩١ ـ المصدران نفسهما، ن ص.
١٩٢ ـ المصدران نفسهما، ن ص. ايضاً (صايغ، المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٨٥). وراجع تحليل اولسن عن الثغرة (Olson, op. cit., P. 174-5).
193 - Longrigg, op. cit., P. 152.
١٩٤ ـ حددت وثيقة القازوقجي الرسمية واجبات كل من والي الموصل ومحافظها ومسؤولياتها المباشرة اثناء حدة الازمة العاصفة لساعات وايام الحصار (الوثيقة، م س، ص ٢٨٣ ـ ٤).
١٩٥ ـ الوثيقة نفسها، ن ص.
196 - Hammer, op. cit., 8/56-7.
١٩٧ ـ ملحمة الموصل، ص ٢٢، وانظر (وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٥).

١٩٨ ـ قره سراي (القصر الاسود) انظر (رحلة المنشئ البغدادي، ترجمة العزاوي، بغداد ١٩٤٨، ص ٨٣). اجمعت اغلب المصادر التاريخية في ذكرها لهذا الحدث، ويشير صاحب الملحمة بأن عملية قطع مياه دجلة عن الموصل قد جرى في بداية شهر شعبان. انظر: (ملحمة الموصل، ص ١٩).

١٩٩ ـ المنية، ملاحظة المحقق، رقم ٢، ص ٢٨٣.

٢٠٠ ـ تقع قرية بعويرة: على الضفة اليسرى من نهر دجلة مقابلة لدير مار ميخائيل الواقع غرب النهر، اما على الجانب الشرقي من النهر والقرية فيقع دير مار كوركيس على رابية عالية.. وقد دخلت القرية ـ اليوم ـ ضمن امتدادات الموصل الحديثة.

٢٠١ ـ استنتاجات طبوكرافية عن المسح الجغرافي لهذه الامكنة.

٢٠٢ ـ انظر (وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٣، وانظر ملحمة الموصل، ص ١٩).

٢٠٣ ـ الملحمة نفسها، ن ص.

٢٠٤ ـ الملحمة نفسها، ص.

٢٠٥ ـ سالنامة الموصل، لسنة ١٣٢٥ هـ.

٢٠٦ ـ السور الشرقي للموصل: يعتقد العديد من الآثاريين والمؤرخين المحليين ـ الذين التقيت بهم ـ بأن لا وجود هناك لسور شرقي للموصل خلال تلك الفترة.. اذ ان سورها كان يحيطها شمالاً وغرباً وجنوباً فقط، ويمر نهر دجلة في شرقها. ولقد ثبت لدي خلال المسح الاثاري لطبوكرافية شرق الموصل القديمة، والذي قمت به اثناء زيارتي العلمية للموصل خريف ١٩٧٨ م، بأن هناك آثاراً وعروقاً لسور كان يقوم في منطقة محدودة من شرق الموصل كان يمتد بين قلعة قره سراي حتى الجرف الواقع عند منحدر منطقة القليعات شرق الموصل القديمة، لمسافة متباعدة من حمام القلعة، والقلعة الداخلية للموصل (ايج قلعة). ولقد ثبت صحة ذلك عندي، نظراً لاستنادي على الرسم الذي وضحه رسم السور المعني في خريطة (نيبور) القديمة للموصل خلال القرن الثامن عشر. كما استفدت في ذلك من حدث تاريخي.. اذ ان المواصلة لم يستطيعوا اثناء قطع نادرشاه لمياه الشعبة الرئيسية لنهر دجلة عنهم ان يسحبوا المياه من اي مكان على طول خط النهر المحاذي (ملحمة الموصل، ص ١٩). ونستنتج ان المدافعين كان لديهم ان يستقوا الماء اما من منطقة قرب قلعة قره سراي، او من منطقة اخرى قرب قلعة ايج قلعة. ويعتبر سور الموصل من القدم واعظم اسوار مدن الشرق (لاحظ دراسة الديوه جي عنه في (مجلة سومر، السنة ٣، ١٩٤٧). اما بخصوص السور الشرقي النهري للموصل الذي وضحنا حوله. انظر خارطة (Niebuhr,, Tab. XLVI) ولاحظ الابراج الدفاعية الستة عليه.

207 — C.J. Rich, op. cit., vol. 2, P. 46.

208 — Longrigg, op. cit., P. 152.

٢٠٩ ـ المنهل، جـ١، ص ١٥٧ . وانظر (ملحمة الموصل، ص ٢٢)، ايضاً (عماد رؤوف، المرجع السابق، ص ١١٠) ـ والتفاصيل التاريخية في الدر المكنون.

٢١٠ ـ المصادر نفسها، اعلاه، ن ص.

211 - Olson, op. cit., P. 174.

٢١٢ ـ وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٤ .

٢١٣ ـ يذكر (اسبينول) بأن عدد السلالم الايرانية كان يبلغ ١٧٠٠ سلماً. انظر: (الوثيقة الايطالية الملحقة بهذا البحث، ملحق رقم ١).

٢١٤ ـ وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٤ .

٢١٥ ـ يبدو جلياً، انه خلال اليومين السابقين للهجوم الايراني، استطاع نادرشاه ان ينصب جسره الحربي الثاني على نهر دجلة. راجع (ملحمة الموصل، ص ٢١).

٢١٦ ـ وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٤ .

٢١٧ ـ الوثيقة نفسها، ن ص.

٢١٨ ـ ملحمة الموصل، ص ٢٢ .

٢١٩ ـ وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٤ .

٢٢٠ ـ المنهل، جـ١، ص ١٥٨ .

٢٢١ ـ المصدر نفسه، ن ج، ن ص. وانظر (Olson, op. cit., P. 174-5).

٢٢٢ ـ الدر المكنون، النسخة السابقة، ورقة 248a.

٢٢٣ ـ ملحمة الموصل، ص ٢٣ .

٢٢٤ ـ المصدر نفسه، ن ص.

٢٢٥ ـ وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٥، وقد اخطأ المؤرخ اولسن في تسميته الباب العمادي بالموصل بـ (باب المهدي)، قارن (Olson, op. cit., P. 173).

٢٢٦ ـ ملحمة الموصل، ص ٢٢، وانظر (وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٥).

٢٢٧ ـ المصدر نفسه، ص ٢٣ . وانظر (المنهل، جـ١، ص ١٥٨ ـ ٥٩).

228 - Olson, op. cit., P. 174.

٢٢٩ ـ وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٥ .

٢٣٠ ـ الوثيقة نفسها، ن ص.

٢٣١ ـ عماد رؤوف، المرجع السابق، ملاحظة رقم ٣، ص ١١٠. والكوى او المزاغل في الانكليزية (Porthole).

232 - Aspinwell, SP (20/11/1743) (الوثيقة الايطالية الملحقة بالبحث)

٢٣٣ ـ الدر المكنون، النسخة السابقة، ورقة 248a.

٢٣٤ ـ المخطوط نفسه، ن و.

٢٣٥ ـ المخطوط نفسه، ن و.

٢٥٧ ـ ملحمة الموصل، ص ٢٤.

258 - Sykes, op. cit., vol. 2, P. 339;

نقل هذا الوصف الشهير المؤرخ (لونكريك) في كتابه عن تاريخ العراق انظر:
(Longrigg, op. cit., P. 135).

٢٥٩ ـ المنهل، جـ ١، ص ١٥٩.

٢٦٠ ـ الدر المكنون، نسخة باريس، ورقة 247a.

٢٦١ ـ المنهل، جـ ١، ص ١٦٠.

٢٦٢ ـ وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

٢٦٣ ـ الوثيقة نفسها، ن ص.

٢٦٤ ـ الوثيقة نفسها، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

٢٦٥ ـ المنهل، جـ ١، ص ١٦٠.

٢٦٦ ـ المنهل نفسه، ص ١٦٠ ـ ١٦١.

٢٦٧ ـ المنهل نفسه، ص ١٦١.

٢٦٨ ـ وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٩٠.

٢٦٩ ـ الوثيقة نفسها، ن ص.

٢٧٠ ـ المنهل، جـ ١، ص ١٦١.

٢٧١ ـ انظر: سالنامة الموصل وقارنها مع الملحمة ص ٢٥. ويذكر س صائغ بأن تبادل الاسرى قد جرى من قبل كل من الطرفين (صايغ، م س، جـ ١، ص ٢٨٧).

٢٧٢ ـ وثيقة القازوقجي، م س، ص ٢٩٠.

٢٧٣ ـ المنهل والمصادر المحلية الاخرى.

274 - Hammer, op. cit., 8/73.

275 - Olson, op. cit., P. 185.

276 - Ibid., PP. 185-6.

277 - Ibid.; see also, Longrigg, op. cit., P. 153 n. 1.

٢٧٨ ـ الدر المكنون، نسخة باريس، ورقة 247b.

279 - Hanway, op. cit., vol. 4, P. 235; Lockhart, op. cit., P. 232, 234.

280 - Longrigg, op. cit., PP. 160-1.

٢٨١ ـ راجع المعلومات التاريخية الهامة للمؤرخ عبدالرحمن السويدي، والتي سجلها باسمه محمد بهجة الاثري في كتابه: ذرائع العصبيات العنصرية في اثارة الحروب وحملات نادرشاه على العراق في رواية شاهد عيان، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨١، ص ٨٦.

٢٨٢ ـ المصدر نفسه، ص ٨٧.

٢٨٣ ـ المصدر نفسه، ص ٨٩ ـ ٩٠.

٢٣٦ ـ ملحمة الموصل، ص ٢٣.
٢٣٧ ـ المصدر نفسه، ن ص. وانظر (المنهل، جـ ١، ص ١٥٩). كذلك راجع: (وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٧).
٢٣٨ ـ الوثيقة نفسها، ص ٢٨٦.
٢٣٩ ـ ملحمة الموصل، ص ٢٣.
٢٤٠ ـ وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٧.
٢٤١ ـ الوثيقة نفسها، ن ص.
٢٤٢ ـ الوثيقة نفسها، ن ص.
٢٤٣ ـ الوثيقة نفسها، ن ص.
٢٤٤ ـ الوثيقة نفسها، ص ٢٨٨.
٢٤٥ ـ ص الجليلي، المصدر السابق، ملحق رقم (١)، ص ١١٥.
٢٤٦ ـ (الوثيقة الايطالية الملحقة بالبحث).
٢٤٧ ـ انظر المصادر المحلية واهمها (المنهل والدر المكنون وملحمة الموصل ووثيقة القازوقجي والسالنامة . .) وانظر اوصاف الرحالة الجغرافيين من الاجانب واهمها اوصاف كل من (ايفز ونيبور)، وراجع حديث (دومينيكوا لنزا) المختصر ثم التحليلات التاريخية للمؤرخ (اولسن) بهذا الخصوص.
٢٤٨ ـ وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٧.
٢٤٩ ـ الوثيقة نفسها، ن ص.
٢٥٠ ـ ان اهم من يعزز هذا الاستنتاج المؤكد حول خسائر نادرشاه البشرية ما ذكره صاحب (ملحمة الموصل) ذلك ان ربع جيش نادرشاه قد فقد، وربعه الآخر قد جرح. انظر (الملحمة، ص ٢٤)، علماً ان جيوش نادرشاه كانت تقدر اعدادها ثلاثمائة الف مقاتل ـ كما رأينا ـ.
٢٥١ ـ وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٨.
٢٥٢ ـ سالنامة الموصل، ص ٢٦١.
٢٥٣ ـ انظر الملاحظات المرقمة (١٥٧)، (١٥٨)، (١٥٩)، (١٦٠) في هذا الفصل.
٢٥٤ ـ وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٣٨٧، وانظر (ملحمة الموصل، ص ٢٤).
٢٥٥ ـ ملحمة الموصل، ص ٢٤.
٢٥٦ ـ انظر سليمان صايغ، المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٨٧. ايضاً، سعيد الديوه جي، في حديثه عن (الموصل ام الربيعين)، بغداد ١٩٦٥، ثم ما كتبه صديق الجليلي، المصدر السابق، ص ١١٥.. اضافة الى اوصاف الشعراء في قصائدهم وارجوزاتهم ومنهم (فتح الله القادري وخليل البصيري وعبدالله افندي الفخري والشيخ عبدالرحمن السويدي ويونس الموصلي) عن ملاحق (المنية، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣)، ايضاً ما تدخره مكتبة الاوقاف العامة بالموصل من المقاطع المخطوطة النادرة للآثار المذكورة اعلاه ومعلومات عديدة اخرى، وآثار كتابية تحتويها مكتبة يعقوب سركيس ببغداد.

٧٨٤ ـ المصدر نفسه، ص ٩٠.
٧٨٥ ـ المصدر نفسه، ص ٩١.
٧٨٦ ـ المصدر نفسه، ص ٩١ ـ ٩٢.
٧٨٧ ـ المصدر نفسه، ص ٩٢ ـ ٩٣.
٧٨٨ ـ المصدر نفسه، ص ٩٤ ـ ٩٥.
٧٨٩ ـ المصدر نفسه، ص ٩٥.

الفصل الرابع

نتائج الحصار وآثاره: الدروس التاريخية

اصداء الانتصار:

في صباح يوم الثلاثاء ٤ رمضان ١١٥٦ هـ/ ٢٢ تشرين الاول ١٧٤٣ م •، فتحت الموصل ابوابها جيعاً، واخذ الناس بجموعهم وعوائلهم وافرادهم يهنئ بعضهم الآخر وهم في نشوة النصر الكبير. شاكرين الله الذي انجاهم من الكارثة العظمى التي كادت تعصف بهم وبمستقبلهم ووطنهم. واقيمت صلوات الشكر والتضرع في الجوامع التي ابتهلت منائرها، وفي الكنائس التي ترنمت اجراسها، ثم اقيمت الاحتفالات الكبيرة ابتهاجاً بذلك في البيوت والساحات والدوائر والاسواق... وتبارى الشعراء والادباء في اناشيدهم وقصائدهم ومقاطيعهم وارجوزاتهم تخليداً لهذا الحدث التاريخي العظيم، الذي كان له اثره الكبير في الهاب المشاعر النفسية، والقرائح الادبية. [1]

ثم ارسل الوزير الحاج حسين باشا الجليلي والي الموصل ولده محمد امين باشا الذي ترأس وفداً الى العاصمة استانبول، [2] وكان عمره آنذاك ٢٤ عاماً، [3] وحمل معه بشائر النصر والظفر الذي حققته الموصل ضد الفرس وذلك في تقارير رسمية تحكي تفاصيلها قصة الاحداث بصورة كاملة، [4] وكان البلاط مترقباً لها بمنتهى القلق - كما تحدثنا احدى وثائق اسبينول -. [5] وقد استقبل السلطان محمود الاول الامير محمد امين باشا والوفد المرافق له، واطلع على الاخبار، وما تحقق من انتصارات [6].. فاحتفلت بذلك العاصمة استانبول رسمياً، واطلقت المدافع اطلاقاتها ابتهاجاً بذلك في يوم ١٠ تشرين الثاني، - كما تخبرنا الوثيقة المؤرخة في ٢٠ نوفمبر ١٧٤٣ م لاسبينول -، [7] أي ان احتفالات استانبول قد جرت بعد ١٩ يوماً من فتح الموصل ابوابها. وقد اثنى السلطان على الخدمات التي اداها الوالي الجليلي وقواده وارسل للوزير الوالي هدية خاصة كانت عبارة عن سيف مجوهر، وروب عثماني مفرى والمسمى بـ «الخلعة السنية» كما ملكه قرية «قره قوش» القريبة من الموصل. اضافة الى ذلك فلقد منح

• ورد في الصفحة الاخيرة من الوثيقة المخطوطة الموجودة في مكتبة المتحف البريطاني والموسومة: «تاريخ وقعة نادرشاه در امد نش برلسر كركوك واربيل وموصل»، انه في يوم الاربعاء المصادف ٢٤ من شهر شعبان الموافق ٩/١٠/١٧٤٣، سافر القاضي ومفتي الشافعية في الموصل الى مركز السلطنة اسطنبول لعرض ما وقع من امور المحاصرة والحرب والصلح على رجال الدولة هناك. ويبدو لنا ان ايفاد القاضي ومفتي الشافعية من قبل حكومة الموصل، كان الغرض منه بيان المناقشة التي جرت مع نادرشاه وعلمائه في الامور الدينية.

السلطان لابن الوالي الجليلي محمد امين باشا رتبة «الميرميرانية» [8] مع هدايا الى مراد باشا وقواد الموصل. وارسل السلطان محمود الاول فرمانه السلطاني المعروف بـ «خطي همايون» الى الوزير الحاج حسين باشا يقدم فيه شكره اليه، ويثني على شجاعته، وشجاعة اهل الموصل [9] . . وقد وصف الفرمان ذلك النصر المحقق بـ «انتصارات الجيش الاسلامي للامبراطورية العثمانية»، ويخلص المؤرخ اولسن في معالجته وتحليله التاريخي لموضوع الحصار بقوله «انها اعمال وانتصارات ذلك الوالي البطل وشعب الموصل الباسل وليست انتصارات الجيش الاسلامي الامبراطورية العثمانية». [10] ومن اهم النقاط التي تسترعي انتباه المؤرخ في دراسته لقوى الدفاع الداخلية والمحاصرة داخل اسوار الموصل هي:

١ - تلاحم سكان المدينة بصورة قوية وفعالة مع واليها واركان قيادته الادارية والعسكرية، ومبعث ذلك مشاركته هو نفسه مع جميع الافراد والفئات والعناصر، ومرونته السياسية الصعبة.
٢ - تلاحم جميع العناصر من السكان بعضهم مع البعض الآخر، وتفاعل المدينة بمسلميها ومسيحييها كافة مع من دخل داخل اسوارها من العناصر الخارجية المتنوعة مثل المحتمين واللائذين بها من سكان القرى والتوابع، ثم قوات القازوقجي الحلبية، وقوات فوج باشا الكردية. ويؤكد الرحالة «نيبور» ان نصارى الموصل قد عملوا جنباً الى جنب مع اخوانهم المسلمين خلال ايام الحصار. [11] ويتوضح ان الجميع قد ارتبطوا بأرضهم وسمائهم دون اية حواجز.
٣ - شاركت المرأة الى جانب الرجل بحماس منقطع النظير في الدفاع عن وطنها وشرفها خلال ايام الاستعدادات الكبرى ثم خلال ايام الحصار العنيف، كما تخبرنا بعض المصادر. [12]

وقفة عند بطل الحصار:

هو الوزير الحاج حسين باشا بن اسماعيل باشا الجليلي. ولد بالموصل سنة ١١٠٨ هـ/١٦٩٦ م، وتوفي فيها سنة ١١٧١ هـ/ ١٧٥٨ م. [13] ويعد من اشهر وزراء الامبراطورية العثمانية خلال القرن الثاني عشر الهجري. وينتسب الحاج حسين باشا الى البيت العربي الذي اسسه جده الاعلى عبدالجليل، والمنحدر الى الموصل من ديار بكر في حدود سنة ١٠٣٠ هـ/١٦٢١ م، نظراً لارتباطات كل

من المدينتين تجارياً . . وتصاعدت سمعة هذه الاسرة لما تحلت به من صفات في التجارة والاعمال، [١٤] وساعدها ذلك لأن تتبوأ مجالها في السياسة، وكسبت مواقفها تلك كي تنجح بصورة كبيرة في الادارة المحلية.

تولى الحاج حسين باشا ولاية الموصل بعد ابيه اسماعيل باشا، وكان برتبة «بكلر بكي» أي رئيس بيكات باشا ذو طوغين، وذلك سنة ١١٤٣ هـ/ ١٧٣٠ م، [١٥] ثم انتقل منها ليتولى أماسيه ثم عاد ليتولى الموصل سنة ١١٤٤ هـ، حتى سنة ١١٤٨ هـ. [١٦] وفي عهد السلطان محمود الاول منحه البلاط العثماني رتبة الوزارة سنة ١١٤٧ هـ، وقد قدمت اليه من قبل الوزير الكبير عبدالله باشا الكوبرلى سردار جيوش الشرق في الامبراطورية اثناء مروره بالموصل ضمن بروتوكول خاص، وكانت من طراز الثلاثة اطواغ.[١٧]

تولى الحاج حسين باشا ولاية الموصل ثماني مرات في حكم متقطع غير متواصل خلال ٢٨ سنة بين ١١٤٣ هـ - ١١٧١ هـ. وفترة سني حكمه للموصل من هذا الاجمالي ١٣ سنة، اما خلال الخمسة عشر سنة الاخرى فقد تولى الحاج حسين باشا كلا من الولايات العثمانية الشرقية التالية: اماسيه - وان - ارضروم - قارص - ادنه - سيواس - كوتاهيه . . . كما تولى ولاية البصرة ثلاث مرات، وولاية حلب. [١٨] واسندت اليه ادارة بغداد في سنة ١٧٣٤ - ١٧٣٥. [١٩]

لقد تصاعدت سمعة الحاج حسين باشا لدى السلطة المركزية في اسطنبول من خلال مساعداته الكبرى التي قدمها للعثمانيين ضد الفرس، ويعتبر دفاعه الشهير عن الموصل سنة ١١٥٦ هـ/ ١٧٤٣ م ضد نادرشاه، من ابرز الاعمال التاريخية التي سجلت لهذا الرجل العظيم مكانته في التاريخ الحديث، وحفظ له البلاط العثماني مآثره في الحروب التي خاضها ضد الايرانيين بأن ثبتوا كيان اسرته المحلية في حكم ولاية الموصل العربية حقبة طويلة في التاريخ تزيد على قرن كامل. [٢٠] ولقد استطاعت هذه الاسرة ان تبز غيرها من الاسر المحلية في شرق الامبراطورية، [٢١] وذلك من خلال بسط نفوذها الاقليمي طوال حكمها على الموصل، كما استفادت السلطة المركزية من بعض ابناء هذه الاسرة المشهورين لكي توليهم على اقاليم اخرى، او ان تسند لهم مناصب قيادية في الجيش العثماني الامبراطوري كما حدث للوزير محمد امين باشا ابن الحاج حسين باشا الجليلي

والذي نال من البلاط العثماني لقب «الغازي»، نظراً للخدمات الحربية القيادية التي قدمها خارج حدود الامبراطورية في حروبها مع روسيا.[٢٢]

ونستطيع ان نجمل الاعمال الحربية التي خاضها الحاج حسين باشا الجليلي ضد الفرس على النحو التالي:

١ ـ قيادة الحاج حسين باشا لقوات عسكرية شاركت مع والي بغداد احمد باشا بن حسن باشا في احتلال همدان سنة ١١٣٦ هـ/ ١٧٢٤ م.[٢٣]

٢ ـ مشاركة الحاج حسين باشا لوالي بغداد المذكور اعلاه في الحرب ضد الشاه طهماسب سنة ١١٤٤ هـ/ ١٧٣١ م، وقد اشاد الفرمان السلطاني بجهوده الكبيرة.[٢٤]

٣ ـ انتصار الحاج حسين باشا الجليلي وقواته الاهلية على قوات نركز خان الايرانية التي كان نادرشاه قد ارسلها لاحتلال الموصل، والمؤلفة من ٨٠٠٠ مقاتل ايراني، وذلك سنة ١١٤٥ هـ/ ١٧٣٢ م، وقد قتل في المعركة نركز خان وتبعثرت قواته بعد معركة حامية قرب الموصل.[٢٥]

٤ ـ مشاركة الحاج حسين باشا الجليلي للوزير العثماني الكبير طوبال عثمان باشا في حربه وانتصاره على نادرشاه سنة ١١٤٦ هـ/ ١٧٣٣ م. وقد جعلت الموصل مركزاً للمراقبة والتجمع والاسعاف الطبي ضد الفرس.[٢٦]

٥ ـ مشاركة الحاج حسين باشا الجليلي في معركة كركوك القاتلة ضد نادرشاه، اذ كان الحاج حسين باشا مشاركاً الوزير طوبال باشا والذي صرع في المعركة المذكورة بعد ارتداد العثمانيين وانتكاستهم، وذلك لعدم تكافؤ قوى الصراع، وقد حدثت المعركة في شهر تموز من العام المذكور اعلاه. وقد عاد الحاج حسين باشا بأعجوبة الى الموصل.[٢٧]

٦ ـ قيادة الحاج حسين باشا الجليلي الكبرى لقوات الدفاع المشتركة، وتخطيطه وسياسة حربه وانتصاره على الايرانيين الذين قادهم نادرشاه في حصاره الشهير للموصل سنة ١١٥٦ هـ/ ١٧٤٣ م، (موضوع البحث).

٧ ـ مغادرة الوزير الحاج حسين باشا الجليلي الموصل مع قواته نحو الحدود الايرانية حيث عسكر بالقرب من دشت للمشاركة مع القيادات العثمانية لكل من ديار بكر واردلان وتقدمهم لمطاردة جيوش نادرشاه سنة ١١٥٨ هـ/ ٧٤٥ م، حتى اجبر نادرشاه على عقد الصلح مع العثمانيين.[٢٨]

اضافة الى كل هذه الاعمال الحربية، فلقد كان البلاط العثماني يعتمد عليه في الادارة وفض الازمات الداخلية في الاقاليم سواء كان ذلك في المدن أو على المسالك الخارجية. فقد نجح الوزير المذكور في اخماد فتن محلية أو اعمال شغب أو اعمال السلب والنهب في اماكن عديدة منها نجاحه بصورة فائقة لأن يعيد الامن والاستقرار في ولاية طرابزون العاصية من قبل بعض المنشقين. كما وجهت اليه ولاية كوتاهيه الشاسعة ومنحه البلاط لقب «الوزير الكبير» سنة ١١٧٠ هـ. ثم احتاجه البلاط العثماني لأن يضع حداً للاضطرابات التي تسود ولاية حلب، واعمال الشغب التي كانت تعج بها المدينة، اضافة الى اعمال السلب والنهب على المسالك التجارية.. فاستطاع ان يعيد الامن الى نصابه في المنطقة سنة ١١٧١ هـ. (٢٩) ثم نقل الى ولاية الموصل التي كانت مدينتها هي الاخرى تعاني من الانقسامات الشديدة بين الادارة والاهالي ورؤساء الجيش الانكشاري، فاستطاع ان يحسم ذلك خلال فترة قصيرة (٣٠).. ولم يمض على قدومه الى وطنه الموصل التي استقبلته بحفاوة كبرى الا أيام قلائل حتى وافاه اجله بعد حياة متمرسة ومضيئة وحافلة بالانتصارات والاعمال الكبرى.

يعتبر الوزير الحاج حسين باشا الجليلي اكفأ واقدر الولاة الجليليين الذين حكموا الموصل على وجه الاطلاق، نظراً للصفات والقدرات التي امتاز بها، والاعمال الكبرى التي قام بها خلال حياته السياسية والادارية.. وقد وصفته «الانسكلوبيديا التركية» بـ «المدافع القوى». (٣١) كما ولقبه المؤرخ لونكريك بـ «بطل الدفاع» (٣٢) وكثرت فيه اوصاف الادباء وكتاباتهم، وقصائد الشعراء واحاديث المؤرخين.. ومعالجات وتحليلات المحدثين منهم مؤخراً عنه. (٣٣)

مقارنات ودروس:

ان اهم نقطة تستدعي الاعجاب والاهتمام معاً هي مقارنة عدد السكان من المحاصرين باجمالي قوى نادرشاه الضخمة التي فرضت الحصار والهجوم معاً والبالغ عددها كما رأينا مسبقاً ٣٠٠ الف مقاتل عدا جحافل الاسرى والشغيلة والخدم والقيادات ـ لما اجمعت عليه كافة المصادر ـ. (٣٤) اما المحاصرون، فقد كان يبلغ عدد سكان الموصل ٧٥ الف نسمة، او على الاكثر ١٠٠ الف نسمة، (٣٥) وبطبيعة الحال فان هذا العدد يشمل الشباب والكهول اضافة لما

تشكله نسبة النساء والاطفال ضمن هذا العدد . . ومن ضمنه ايضاً، فقد بلغ عدد افراد جيش الموصل ٣٠ الف مقاتل، [٣٦] وهو الجيش التابع لقوى الولاية العسكرية ويضمنه قوات الوالي الخاصة والامراء والقواد والضباط . ويدعم هذا العدد ٢٠٠٠ مقاتل كانوا يتبعون والي حلب الوزير حسين باشا القازوقجي . [٣٧] ثم قوات قوج باشا حاكم كوى سنجق والبالغ عددهم ٥٠٠ مقاتل وهم من الاكراد. [٣٨] وتبلغ حصيلة المجموع الكامل لقوى المدافعين العسكرية ـ المشتركة ٤٥ الف وخمسمائة مقاتل، قادها جميعاً والي الموصل ضد الفرس وبمقارنة عدد المدافعين بعدد المهاجين الايرانيين، فان النسبة التي نحصل عليها لقوى الطرفين هي ١ مدافع موصلي ضد ٦ مهاجم ايراني.

اما من ناحية الخسائر بين طرفي الصراع منذ عمليات بدء الحصار حتى آخر يوم من هجوم الايرانيين على الموصل فقد بلغت خسائر نادرشاه حوالي عشرة آلاف قتيل يتوزعون على النحو التالي : ١٥٠ قتيل خلال معركة الكوماندوز البطلة، [٣٩] ثم ٤٠٠٠ قتيل [٤٠] طمتهم الارض في احشائها بعد انفجار الالغام عليهم وقلبت الارض التي يقفون فوقها رأساً على عقب، ثم ٥٤٠٠ قتيل طحنتهم المعركة النهائية الضارية [٤١] . . هذا اضافة الى عشرات القتلى والجرحى الذين ذهبوا متساقطين في الخنادق اثناء معارك السلالم والاسوار العنيفة بفعل السلاح الابيض وانفجارات القنابل اليدوية، وبفعل القاء المدافعين فوق الاسوار للزيوت المحرقة والمياه الحارة فوق رؤوسهم واجسادهم . [٤٢] اما الموصليون فقد خسروا منذ بدء الحصار وحتى انتهاء آخر معاركه مائة من المقاتلين أو اقل ـ كما حقق ذلك المؤرخ اولسن ـ، [٤٣] وبضمنهم طبعاً شهداء معركة الكوماندوز البطلة والبالغ عددهم ٢٠ شهيداً . وتذكر «السالنامة» ـ وهي من اوثق المصادر ـ بأن الموصل لم تخسر اياً من جند الاسلام، [٤٤] أي من قوى جيش الدفاع. ويتضح ـ هنا ـ ان اغلب ضحايا الموصل كانوا من تأثير القصف المدفعي الايراني على المدينة الآهلة، أو ان البعض الآخر راح شهيداً حينما كان يؤدي واجبه اثناء فتح الثغرة، أو كان على الاسوار، وجميعهم من الاهالي . .

من ناحية اخرى، فقد كان خانات الشاه قد عقدوا اجتماعاً بهم اثناء المفاوضات احصوا فيه عدد ما القوه من القنابل والقذائف فبلغت ٤٥ الف قنبلة ـ مدفع ثقيل ـ ثم ٢٠٠ الف قذيفة ـ مدفع هاون ـ. اضافة الى ٥٠ الف حجرة

كبيرة، وعدا مـا رماه الفـرس على المـدافعين من آلاف الـطلقات من البنـادق والزانبوركات.[٤٥]

ولقد تأثرت بعض مرافق الموصل وبناياتها نتيجة القصف المدفعي عليها، وخصوصاً ما اصاب السور من اضرار بالغة، كما تهاوت جوانب عديدة من قلعة باش طابية الشامخة وتهدمت ايضاً بعض كنائس الموصل التي يشرح عنها المؤرخ المحلي سليمان صايغ ويتابع قوله عنها ان الوالي الجليلي قد جدد واصلح احداها، واستحصل الموافقة من السلطنة في تعمير الكنائس الاخرى،[٤٦] كما جدد حصن القلعة، ورمم غرفها.. ثم عمّر سور الموصل الذي لم يكمله نظراً لنقله الى ولاية اخرى.

يتضح من مجمع الخسائر انها كانت جسيمة للغاية بالنسبة للايرانيين وعلى الاخص الخسائر البشرية، وتبلغ نسبة ذلك لكل من الطرفين ١٠٠ شهيد من المدافعين الى ١٠٠٠٠ قتيل ايراني. اي ١٠٠٪ من خسائر نادرشاه البشرية الى خسائر الموصل.

لقد علمنا هذا الحصار الشهير دروساً عديدة بالغة الاثر من خلال الوقوف عنده ملياً، والبحث عما دار خلال ساعاته وايامه العصيبة في داخل تلك الاسوار العالية التي احاطت الموصل، وخصوصاً بمقارنته مع احداث دامية مشابهة له في التاريخ.

١ ـ يظهر من دراسة تاريخ أي حصار قوي لأية مدينة أو قلعة أو حصن جبلي أو جزيرة بحرية كانت أم نهرية انه قلما يظفر المحاصَرون (بفتح الصاد) بنصر اكيد، ومن النادر العجيب ان يتم ذلك خلال فترة محددة منه، لا سيما اذا كان العدو يصب حممه وناره بشكل مكثف وعلى نحو رهيب كالذي جرى خلال الاسبوع الاول من حصار نادرشاه للموصل ليلاً ونهاراً، ورغم كل ذلك فان الموصل لم تستسلم لنادرشاه ايران.

٢ ـ يظهر من مقارنة النصر الذي حققه المدافعون انهم فكّوا عنوة بأنفسهم اغلال الحصار العاتي، واستماتوا في تحقيق ذلك، ومواجهتهم للاعداء من الداخل دون ان تسعفهم اية قوة عسكرية اقليمية كانت أم امبراطورية من الخارج،

كما حدث في فشل حصار بغداد المؤلم من قبل الايرانيين سنة ١١٤٦ هـ/ ١٧٣٣ م (انظر موضوع رقم (٤) - حصار بغداد ونتائجه المحزنة - الفصل الثاني من هذا البحث). . وكما نتج عن الامدادات الاوربية في افشال حصار فينا الثاني سنة ١٦٨٣ م من قبل العثمانيين. (٤٧)

٣ - ان النصر الذي حققه المدافعون على الجيش الايراني قد اتى من داخل الاسوار، في صد القصف المدفعي الايراني بقصف مضاد، ثم افشال خطط نادرشاه في الهجوم الكاسح من خلال تحصينات الموصل الداخلية، علماً بأن العدو كان يتمتع بساحة أوسع وحركة اكبر مما يجعله اكثر قدرة على الالتفاف والمناورة والتقدم السريع، واختيار اصلح الامكنة لبناء الترسانات والبروج ونقل المدفعية. اما حركة وساحة اصحاب الدفاع فقد كانت ضيقة ومحدودة وغير قابلة للاتساع على نحو مطلوب لا سيما وان الموصل المحاصرة كانت قد اكتظت بالبشر من الاهالي والنازحين. . وعلى نحو شديد.

٤ - يظهر ان استراتيجية نادرشاه في البداية قد كانت موفقة في ضرب السور الشمالي للموصل، وفتح الثغرة فيه، وذلك لقرب السور من برج غرفة عمليات قيادة دفاع الموصل وكاد نادرشاه ان ينجح في عمليته الخطيرة هذه، لولا مجيُ الوالي الحاج حسين باشا على وجه السرعة، ومعالجته لأمرها من خلال نزوله بنفسه اليها ومشاركته واشادته في قواته وبني قومه للصمود بوجه الاعداء، واصلاح الخلل الناتج بحركة خاطفة دون ان تتوسع الثغرة ويتهاوى السور امام نادرشاه.

٥ - استطاع المدافعون ان يتوثبوا بحركة شجاعة وعنيفة الى خارج الاسوار بعد ان فشلت عملية الايرانيين في اكتساح اسوار المدينة وبعد فشلهم في معارك السلالم والاسوار، فقابل ذلك هجوم قوي مضاد من قبل المدافعين ليردوا بعد عدة ساعات من القتال الضاري القوات الايرانية على اعقابها خاسرة منهزمة، وكان بين تلك القوات الشاه نفسه، والعديد من قواده وخاناته. . ولكنه لم يستطع ان يعالج الموقف لصالحه والسبب الاساسي في ذلك الخسائر البشرية الفادحة التي فقدها طوال ذلك اليوم، وفشله في جميع خططه التي كان يزمع نجاحها، وحسم الحصار لصالحه ودخوله واستباحته الموصل. في حين نعلم ان النصر الحاسم الذي حققه المدافعون في المعركة الفاصلة الاخيرة قد جاء في

الايام الاخيرة من امد الحصار . . واذا علمنا بأن المدافعين لم تغمض لهم عين، ولم يهجع لهم بال وهم يتلقون آلاف القنابل والقذائف . . ويدرأون مخاطر هجوم الأعداء لاكثر من اربعين يوماً تمثل امد الحصار والذي تمثلت فيه اخطر الهجمات العسكرية ورافقتها حرب اقتصادية قاسية، وحرب نفسية رهيبة . . ادركنا ما تحلى به المدافعون من القيم والصفات . . وما تميزت به قيادة الدفاع الحكيمة من الميزات العالية التي جعلتها تنجح في جميع خططها وسبلها .

الآثار الداخلية :

لقد كان لحصار الموصل آثار داخلية بالنسبة لولاية الموصل في كل من مركزها المحلي ولواحقها . . بدت واضحة خلال فترة تاريخية طويلة بعد الحصار، ونستطيع ان نجمل اهم مواصفات تلك الآثار العميقة وظواهرها في تاريخ الولاية المحلي : فمن الناحية السياسية :

١ ـ ساعد كل من حصار وانتصار الموصل على الايرانيين لكي تقوى سمعة الجليليين لدى البلاط العثماني، نتيجة ما ادوه من خدمات في خلاص الموصل من وقوعها في القبضة الايرانية. فاناطت الدولة مسؤولية الموصل لهذه العائلة العربية الاصل كما يذكر المؤرخ البرت حوراني، وذلك على امتداد معظم سني القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر. [٤٨] وبقيت الاستانة تنظر اليهم كعيون لها على باشوات بغداد [٤٩] المماليك غريبي الاصل والصفات عن كل من المجتمع العراقي والمجتمع التركي. [٥٠] ورغم هذا فان بطل الدفاع الوزير الجليلي لم تمنحه اسطنبول امتيازات كبرى أو منصباً خاصاً لديها وقد يكون السبب في ذلك انه كان ادارياً قديراً بالنسبة لولايات الشرق ومحارباً لدوداً ضد ايران بدل ان يكون سياسياً تركياً اذ لم يعش في كنف البلاط العثماني ويجابه اسراره، أو أن يعمل في الجناح الغربي للامبراطورية العثمانية الذي يضم ولاياتها في شرق اوربا . . فقد ولد وتولى في الموصل التي كانت بحاجة اليه ، فترسخت من خلال اسرته ادارتها المحلية لها وللاقاليم في الشرق الادنى وتعزز ذلك من خلال دفاع الموصل لفترة طويلة ، اذ كانت الموصل تنتفض أو تثور في وجه أي وال تركي غريب عنها فيكون مصيره القتل أو العزل أو الهروب .

٢ ـ من الناحية الادارية فقد اعتبرت فترة حكم الوزير الحاج حسين باشا الجليلي للموصل ازهى فتراتها في التاريخ الحديث، فقد خبت الفتن المحلية، والقلاقل في لواحقها ودساكرها، واعمال السلب والنهب على المسالك. . ولقد وحّد الدفاع فصائلها وقطاعاتها وشهدت ذلك بعد انتصارها الذي حققته على نادرشاه، وما ان اغترب هذا الوالي عنها حتى بدأت الاضطرابات والقلاقل تظهر من جديد، وقد سببتها الانشقاقات الداخلية في المدينة، وانقسم الاهالي على انفسهم بعد الانقسامات التي حدثت بين الادارة والجيش من طرف، وبين الاسرة الحاكمة نفسها. . ثم انقسامات اورطات الجيش وقوادهم على انفسهم ايضاً [٥١] وقد ازدادت اعمال العنف والشغب بصورة كبيرة بعد وفاة الحاج حسين باشا الجليلي، وبقيت احداثها تمتد من عهد الى آخر، وقد جرت الى نتائج سياسية كان من اهمها ضعف مركز حكومة الموصل، وتدخل الحكام المماليك بصورة مباشرة في امورها [٥٢] وخصوصاً بعد اغتراب ووفاة الوزير الغازي محمد امين باشا الجليلي سنة ١٧٧٥ م/ ١١٨٩ هـ، والذي عاد الى العراق بعد الاعمال الكبرى التي اداها في بسارابيا ضد الروس بحكم منصبه «سردار الجيوش العثمانية»، وقد عينه السلطان عبدالحميد الاول بعد استقباله له بحفاوة لمهمة «تعديل نظام بلاد الشرق والعراق»، وولاه العراق [٥٣] . . ولكنه توفي قبيل الشروع بمهمته فتلاشى هذا المشروع الكبير بوفاته. وهكذا بدت الموصل وبغداد بعد حصار الموصل تعالجان الانقسامات الادارية، والقلاقل القبلية التي ازدادت انتشاراً، وملاحقة اعمال السلب والنهب واحلال واصلاح الامور الداخلية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، بعد ان كانتا مركزي دفاع قويتين ضد الفرس خلال النصف الاول منه، كما رأينا من خلال تطور تاريخ العراق وعلاقاته السياسية. . ولو قدر للوزير الحاج حسين باشا الجليلي ان يحكم بغداد، او ان يجد دعماً سياسياً كبيراً من الوزير احمد باشا والي بغداد، لكان انتصار الموصل على نادرشاه وقواه الامبراطورية قد وحّد العراق سياسياً في ظل نظام عراقي وحكومة واحدة كان من السهل عليها الانفصال عن العثمانيين والتأثير في توحيد الشرق العربي باجمعه.

٣ ـ اما من الناحية السيسيولوجية فلقد اثر الحصار الايراني داخلياً على البنية الاجتماعية وتركيبها الطبقي، ورغم تجدد النزاعات المحلية بين فترة واخرى بين مختلف الاطراف.. الا ان دفاع الموصل ضد الايرانيين واستماتتها في صده وقهره قد حفظ لها روابطها الاسرية القوية، وحفظ مجتمعها من الانهيار والفناء أو التشرذم والتشتت على ايدي الايرانيين. ومن ناحية اخرى فقد حفظ دفاعها لها عاداتها وتقاليدها الاصيلة التي تشترك فيها كافة صنوفها وطبقاتها وسكانها في مركزها بالذات. وترك الدفاع بصمات روحية في المجتمع من خلال ضرب الامثلة التاريخية عنه والاشادة بعظمته وكانت الحكايات عنه ينقلها جيل بعد آخر لأكثر من قرنين من الزمن.

٤ ـ اما من الناحية الاقتصادية، فلقد كان لدفاع الموصل الاثر الكبير في حفظ علاقات الموصل الاقتصادية بغيرها من الاقاليم والسناجق والدساكر والتخوم المجاورة لها أو المرتبطة بها من خلال المسالك البرية والنهرية، سواء كانت في اعالي الجبال أو في البراري الغربية وبقيت الموصل مسيطرة على جميع تلك المسالك واهمها مسلك اسطنبول ـ بغداد الاستراتيجي [٥٤] عبر الموصل... وبقيت خاناتها الكثيرة والكبيرة تعج بالقوافل والنازلين والراحلين، وبقيت اسواقها عامرة بالبضائع والمواد، اذ استمرت فيها حركة التجارة العالمية التي يمثلها التجار للكبار عبر الشرق واوربا، وبقيت حركة التجارة المحلية سارية المفعول والتي يمثلها التجار الصغار عبر اتصالاتهم بالاقاليم والتوابع المجاورة. وقد وصف الرحالة «ايفز» اسواق الموصل بعد مروره فيها عقب حصار نادرشاه لها بسنوات قليلة، وذكر بأنها اسواق عامرة تعج بالمنتوجات. [٥٥] وبقيت الصناعات والحرف بالموصل على حيويتها في المركز والتوابع ولقد وصف الرحالة «جاكسون» الوضع الصناعي المتطور في الموصل سنة ١٧٦٧ م/ ١١٨١ هـ وذكر بأن بعض المصنوعات الموصلية تتفوق على المصنوعات الاوربية مثل صناعة السروج والاحزمة والسجاد الحريري المطرز بالازهار.. ثم مصانع الحديد والنحاس لمختلف المواد التي يتم شحنها الى الخارج عبر دجلة نحو البصرة. [٥٦] هذا اضافة الى وصف صناعات الموصل للمنسوجات الم(بلفة)، وصناعة الموصلين الذي تصدره الموصل الى اوربا.. وقد اشاد بذلك كل من الرحالة «ايفز» [٥٧] سنة ١٧٥٨ م/ ١١٧٢ هـ، والرحالة «نيبور» [٥٨] سنة ١٧٦٦ م/ ١١٨١ هـ. اضافة الى

تطور التنظيمات الحرفية، والعلاقات الانتاجية بين الاصناف المختلفة. . وتطور المبادئ النقابية والعمل من خلالها. . وبدون شك، فان دفاع الموصل الذي اشتركت فيه كافة الفصائل الاجتماعية ومن ضمنهم الحرفيين والصناع قد زاد من روح العمل النقابي وتطور تكويناته. (٥٩)

ولقد بقي النظام الضرائبي يُعمل به، (٦٠) وتطور مع نمو الحياة الاقتصادية، وتحولت الموصل من مركز دفاعي عسكري الى مركز مدني وثقافي وتجاري. . ورغم هذا كله الا ان الموصل بقيت اسيرة للظروف الطبيعية والاقتصادية نسبة الى حركة ازدهار أو دمار المنتوجات والمحاصيل الزراعية والآفات الطبيعية. وتحولت الموصل بعد ان كانت تحكمها العلاقات الاقطاعية الى مركز يتصرف في حياته الاقتصادية اصحاب رؤوس الاموال والتجار مما زاد في تعقد احواله عمّا كان عليه في السابق.

• ـ اما من الناحية العمرانية والثقافية، فقد شهدت الموصل بعد حصارها حركة عمرانية متطورة (٦١) بدأها الحاج حسين باشا الجليلي بأصلاحه مرافق عديدة بعد حصوله على موافقة السلطان العثماني فجدد قلعة باشطابية وسور الموصل والعديد من المساجد والكنائس. ولقد فتحت ابواب جديدة في الموصل بعد قيام الوالي بسد باب العمادي شمال المدينة اثناء الحصار (٦٢) . . اضافة الى تجديد وتعمير العديد من دور الحكومة والقصور والبيوت والشوارع والجوامع والاسواق والمدارس، (٦٣) ولقد أعجب الرحالة «ايفز» بالموصل بعد حصارها بسنوات وذكر بأنها احسن مدينة شاهدها في الامبراطورية العثمانية. (٦٤) وشهدت الموصل حركة ثقافية وعلمية وادبية مزدهرة، وارتقت بمدارسها ومكتباتها وعلمائها وشعرائها ومؤرخيها واطبائها وعدّت مركزاً للثقافة العربية ابان القرن الثامن عشر. (٦٥)

الآثار الخارجية:

١ ـ أثر حصار الموصل وفشله على تاريخية كيان العراق:

كان لفشل نادرشاه في حصاره للموصل نتائج وآثار عديدة بالنسبة الى احوال العراق ومستقبله. ولو قدر لنادرشاه ان ينجح في سيطرته على الموصل لكان قد تغير تاريخ العراق وجغرافيته ومجتمعه وتركيبه السكاني بصورة غريبة ومجهولة. .

وعلى الدارس ان يتحسس قيمة ذلك من خلال نظرته الواسعة لتاريخ العراق وبنيته الانثروبولوجية وطاقاته الاقتصادية. واهم النتائج بهذا الخصوص هو فشل السيطرة الايرانية على شمال العراق التي تتميز باستراتيجيتها الاقتصادية والجغرافية ومسالكها التجارية ومراكز مدنها المتصلة بممرات جبلية وقنوات نهرية، كما انها غنية بثرواتها الحيوانية ومحاصيلها الزراعية [٦٦] . . .

اثناء الحصار الايراني للموصل، ارتفعت اسعار المواد الغذائية في بغداد، وذلك بسبب سيطرة نادرشاه القوية على نهر دجلة ومركز اتصالاته عند الموصل، وقطع شحن الحبوب جنوباً، ولم تنته الازمة الاقتصادية في بغداد حتى انتصار الموصل وفشل نادرشاه امامها. [٦٧] وعلى الدارس ان يتساءل ماذا لو طال امد الحصار لعدة اشهر؟ وماذا لو استطاع نادرشاه ان يقتحم الموصل ويسيطر عليها؟؟ ان كارثة اقتصادية كانت ستحل بالعراق، وعلى الاخص مدنه الكبرى، مما يجعله فريسة سهلة لكي يلتهمها نادرشاه، وان تكون حياة العراق تحت بطش ودهومة ايران.

من جانب آخر، حافظ فشل الحصار الايراني على الموصل في ابقاء البنية الاجتماعية العراقية راسخة وسليمة من عناصر الاختلاط، وما تتميز به طبيعة المجتمع العراقي من الصفات التي تجتمع بالعادات والتقاليد الاصيلة. . اذ لابد للمرء ان يتصور ماذا سيحل بحالة المجتمع العراقي في المدن ولواحقها من القرى والارياف لو استقر فيه اكثر من ربع مليون نسمة سحبت من ايران واصقاع الشرق البعيد وهي متعددة الاجناس والاخلاق والعادات بالنسبة الى عدد سكان العراق ابان تلك الحقبة التاريخية؟؟ وماذا سيكون الحال عليه لو بقي العراق تحت حكم ايراني طويل الامد؟؟ وماذا سيحل بـاماكنـه وعتباتـه المقدسـة العراقيـة العريقة؟؟ وماذا سيحل باحوال القوميات والاقليات السكانية المتآخية التي ارتبط مصيرها مع كيان بلاد وادي الرافدين منذ عهود تاريخية طويلة؟؟ لقد نكّل نادرشاه اثناء زحفه في اراضي العراق الشمالية بالعرب والاكراد والتركمان والاقليات الاخرى تنكيلاً مفجعاً وظالماً، ويذكر محمد امين زكي في تاريخه عن كردستان قائلاً وكان الاكراد يكرهون ـ نـادرشاه ـ اشـد الكراهيـة، حتى انهم الّفوا القصـائد باللهجة الكورانية الكردية في هجوه ونعته بالقسوة والغدر. [٦٨]

نستفيد بعد هذا كله الدروس التاريخية التالية بما يخص المحافظة على كيان العراق:

١ ـ فشل نادرشاه في السيطرة على العراق، مراكز ولواحق واطرافاً.
٢ ـ فشل نادرشاه في السيطرة على المسالك العمودية برية كانت أم نهرية من شماله حتى جنوبه وهي التي تربط اناضوليا بالبحر العربي والمحيط الهندي عبر العراق والخليج العربي.
٣ ـ فشل نادرشاه في السيطرة على منافذ العراق الشرقية ومسالكه الافقية التي تربط الشرق بأوربا.
٤ ـ فشل نادرشاه في الحصول على أية مكاسب اقليمية عراقية سواء بطريق العدوان أو باسلوب المفاوضات.
٥ ـ مثل دفاع الموصل انتصاراً للعراق في الحفاظ على رقعته الجغرافية الموحدة وحدوده الشرقية القديمة.
٦ ـ حفظ هذا الانتصار على موارد العراق الاقتصادية من استغلال السيطرة الايرانية.
٧ ـ حافظ هذا الانتصار على وحدة المجتمع العراقي ومستقبله من التبعثر والتشرذم أو التغير والانقسام.
٨ ـ كان دفاع الموصل درساً قاسياً لايران، فكانت حملة نادرشاه الثانية عليه خاتمة الحملات الايرانية الكبرى على العراق، وقد اعقبها فترة سلام طويلة ارتاح فيها العراق ضمن حلقة الصراع.

٢ ـ عروبة دفاع الموصل وأثر فشل الحصار الايراني على الشرق العربي:

تميز دفاع الموصل ضد نادرشاه سنة ١١٥٦ هـ/ ١٧٤٣ م بعروبته الخالصة، سياسة وادارة وجيشاً ومجتمعاً واقتصاداً.. وما ترتب عليه من آثار داخلية وخارجية. وقد توضح ذلك بصورة تلفت النظر من خلال سياسة الولاية نفسها وادارتها الذاتية، ومن مجرى الاحداث، وصنع القرارات، والتكاتف الاجتماعي المتماسك في داخل المدينة مع كافة الفصائل من الاقليات السكانية التي نزحت لها من لواحقها واطرافها، ومع القوات العسكرية المشتركة في صد نادرشاه. اضافة الى الطابع العربي الذي تميزت به لغة المراسلات الدوبلوماسية.

ليس خافياً قبل كل شيء بأن الموصل تعتبر من أعرق حصون العرب ومعاقلهم في الشرق منذ فترات تاريخية سحيقة وحتى اليوم، ولقد استطاعت بامكانياتها المحلية والذاتية - كما رأينا - ان تصد من خلال دفاعها اكبر خطر رهيب كان يهدد الشرق العربي بصورة كاملة، ووحدة اراضيه وسكانه ومستقبله.. ولم يكن دفاع الموصل دفاعاً اقليمياً فحسب، انما كان انتصاراً للشرق العربي في صدّها الخطر الايراني عنه، وانها ومن خلال ما حققته من مكاسب قد انهت وبصورة نهائية، التهديد الايراني المزمن في السيطرة على المسالك الاستراتيجية التجارية التي تربط منافذ الموصل الشرقية بالبحر المتوسط [69] عبر حلب، فأنهت بذلك احلام نادرشاه في سيطرته عليها، ففشل في مد نفوذ ايران الى البحر المتوسط، وانتفت بذلك مصالحه الاقتصادية مع اوربا وعلاقاته التجارية مع موانئها الكبرى. ويشبه المؤرخ «اولسن» الامبراطور نادرشاه بالشاه الايراني عباس الاول، كون الاثنين لم يستطيعا الوصول الى موانئ البحر المتوسط، [70] وتحقيق هدف ايران الاستراتيجي في السيطرة على المشرق العربي، وذلك من خلال حملاتها الحربية الكبرى ضد العراق. ونفهم من هذا كله، ان الموصل في دفاعها عن الشرق العربي كانت سدّاً منيعاً امام الايرانيين، ولو سقطت بأيديهم فلم يكن لولايات بلاد الشام المتاخمة لها غرباً وهي كل من ولاية الرقه وولاية حلب وولاية طرابلس الشام بقادرة على ايقاف وصد الزحف الايراني العاتي وذلك لاسباب ثلاثة هي:

١ - ضعف حجمها العسكري والاداري والذاتي، واستعداداتها الحربية.
٢ - المشاكل الداخلية التي كانت تعيشها سواء في المدن أو على المسالك.
٣ - لم تخض أي تجربة حربية واحدة في الصراع طويل الامد مع ايران.

ورغم كل ذلك، فان مشاركة والي حلب الوزير حسين باشا القازوقجي في دفاع الموصل ضد ايران لم يخطط لها، وانما جاء بحكم منصبه كمحافظ للموصل بايعاز من السلطان العثماني وكانت مشاركته بقوات رمزية قياساً الى حجم الهجوم وقوات الاعداء. ونتساءل بعد هذا كله: هل كان البلاط العثماني مقدراً للاوضاع التي كانت عليها ممتلكاته الشرقية في الاقاليم العربية، ليقف معتمداً على قدرات الموصل الذاتية وحدها ضد اعتى حملة ايرانية زاحفة على الشرق العربي، دون ان يشاركها بقوات كبرى؟؟

من ناحية اخرى، فقد اتصفت الجبهة الداخلية في الموصل بطابعها العربي المحلي وهذا ما ميّز الولاية عن غيرها من الولايات العثمانية في المشرق العربي ابان الحقبة الجليلية. وكانت الموصل، هي مسقط رأس واليها الحاج حسين باشا وفيها نشأ وتعلم.. فلا غبار اذا علمنا ان ادارة الولاية ودواوينها كانت تعمل بالعربية، [٧١] اذ كانت هي اللغة الام لهذا الوالي. وقد أخطأ اولسن عندما ذكر بأنه كان يرافقه «الترجمان» في حملاته ومؤتمراته لأنه لم يكن يجيد اللغة التركية اجادته للعربية، كما يذكر المؤرخ «اولسن» [٧٢] اذ فهم الاخير كلمة «المترجّم» فظنها «المترجِم» ومن الجدير بالذكر ان المراسلات الدبلوماسية التي تبودلت بين الطرفين نادرشاه - حسين باشا الجليلي قبيل الحصار واثنائه كانت قد كتبت جميعها باللغة العربية، [٧٣] اذ لم تكتب باللغة التركية، اللغة الرسمية للدولة العثمانية، كما انها لم تكتب باللغة الفارسية وهي اللغة الرسمية لنادرشاه ايران، ويعزى السبب اولاً واخيراً ان اللغة العربية كانت هي اللغة الرسمية لولاية الموصل، مما اضطر نادرشاه ان يتنازل عن تقليده الرسمي امامها. من طرف آخر نعلم بأن التقرير الرسمي الذي ارسله والي الموصل الى العاصمة اسطنبول بعد فشل الحصار، كان قد كتبه المحافظ الوزير حسين باشا القازوقجي بالتركية، [٧٤] ورفع الى السلطان العثماني باسم الاثنين الوالي والمحافظ معاً.

ولم يتوقف الامر على الناحية الادارية فقط، فقد انبثقت عن المجتمع اغلب فصائل الدفاع منذ بداية استعدادات الموصل الكبرى وتحضيراتها لصد نادرشاه وحتى رحيله وتقهقر الايرانيين، وبمشاركتها ابان الحصار العديد من الاقليات والفئات والقوات وقد ضمهم جميعاً هذا المعقل، فكانوا خلية واحدة، وتكفينا اشارة المؤرخ ياسين الخطيب العمري الذي ذكر بأن قنبلة قد اسقطها العدو الايراني وانفجرت بعد ان ركض نحوها وحملها احد اكراد قوج باشا فمزقته تمزيقاً وذلك في فناء احد الجوامع الواقع في قلب الموصل. [٧٥]

من ناحية اخرى، فقد تميزت الآثار الادبية والنفسية التي ولدها كل من الحصار والانتصار بعروبتها ونزعتها القومية، وتبارت الشعراء في قصائدهم والمتصوفة في اناشيدهم، والادباء في كتاباتهم.. وكثرت الاوصاف والالقاب والتناجات والاعمال. [٧٦]

ومن الآثار الاخرى التي سببها الانتصار داخلياً هو الاعتزاز بعروبة الولاية لفترة طويلة، اذ كانت الموصل رغم الانقسامات التي توالدت فيها سياسياً واجتماعياً الا ان ذلك لم يمنعها من ان تنتفض أو تثور في وجه أي وال تركي غريب عنها فيكون مصيره القتل أو العزل أو الهروب. (٧٧)

والخلاصة فان دفاع الموصل ضد نادرشاه تميز بعروبته ووطنيته، وانه صد اكبر زحف ايراني على الشرق العربي وحافظ على وحدة اراضيه ومجتمعه واقتصاده ومستقبله.

٣ ـ اثر فشل الحصار الايراني للموصل على الامبراطورية العثمانية:
لقد قدم دفاع الموصل ضد نادرشاه مكاسب عديدة للامبراطورية العثمانية والى بلاطها في استنبول. . فعندما كانت قوات نادرشاه الضخمة تحاصر الموصل، كانت قد ارسلت قوات ايرانية اخرى عن طريق زاخو الى جزيرة ابن عمر شمال الموصل وسيطرت على منافذ اناضوليا في اقليم الجزيرة (٧٨) بعد ان ارتكبت مذابح دموية مفجعة، (٧٩) وقد مهدت السبيل امام نادرشاه لكي يخترقها نحو الاناضول بعد سيطرته على الموصل. . وعليه فقد حسم فشله امام الموصل الامور التالية بما يخص بلاد الاناضول، وفشله في تحقيقها:
١ ـ تهديده لاقاليم الاناضول الشرقية واهمها ديار بكر وقارص وارضروم واطماعه المستميتة لها.
٢ ـ تهديده للمصالح العثمانية في البحر الاسود ومرافئه الاستراتيجية.
٣ ـ فشله في السيطرة على مسالك اناضوليا التجارية، واهمها الخط الاستراتيجي ارضروم ـ ديار بكر ـ الموصل ـ حلب ـ البحر المتوسط.
٤ ـ فشله للوصول الى اراضي ارمينيا عن طريق الموصل ـ ارارات.
٥ ـ فشله في كبح جماح العلاقات بين الامبراطورية العثمانية وكرميا (بلاد القرم) من خلال سيطرته على منافذ اناضوليا الشرقية.
٦ ـ تهديده للمجتمعات السكانية والقبائل ومراكز المدن الاناضولية، ودور الموصل في دفاعها عن المزيد من الكوارث والمذابح التي كانت تنتظرهم.

اما من ناحية اخرى لقد حافظت الموصل في دفاعها عن حياة العاصمة العثمانية اسطنبول من خطر محقق تتمثله اكبر قوة امبراطورية لايران. ويذكر

المؤرخ اولسن في هذا الصدد وبأن فشل نادرشاه في السيطرة على الموصل قد أنهى امله في ان يمد حكمه من اندوس الى البسفور». [٨٠] في حين نعلم ان البلاط العثماني لم يوازن قواه العسكرية بالنسبة الى الطرف الايراني حتى ايام الحصار.. ولم تقف امام زحف ايران الا قوات عثمانية متفرقة على التخوم، وحاميات عسكرية صغيرة متركزة في مدن الاقاليم كان من السهل جداً على نادرشاه ان يمزقها ويبعثرها بعد ان يسيطر على الموصل ويمهد طريقه مفتوحاً نحو العاصمة اسطنبول. [٨١] وعليه فقد حسم فشله امام الموصل الامور التالية بما يخص البلاط العثماني:

١ ـ فشل نادرشاه في السيطرة على الممتلكات العثمانية الشرقية.
٢ ـ فشل نادرشاه في السيطرة على الحدود الطبيعية بين الاناضول والاقاليم العربية والتي تمثلها سلاسل جبال زاكروس ـ حكاري ـ طوروس.
٣ ـ فشل نادرشاه في تقدمه الى العاصمة اسطنبول، كما كان قد قرره بعد اسقاطه للموصل وسيطرته على خط الموصل ـ ماردين ـ آمد الاستراتيجي الذي يصل اسطنبول. [٨٢]
٤ ـ فشل نادرشاه في ضربه المصالح العثمانية عبر البحار، وقطع علاقاتها التجارية مع الموانئ الهندية والافريقية من خلال سيطرته على العراق والخليج العربي.
٥ ـ فشل نادرشاه في ضرب استراتيجية العثمانيين في اوربا والبحر المتوسط من خلال سيطرته على المشرق العربي وبلاد الشام.
٦ ـ فشل نادرشاه في فرض سيطرته على خطوط سير الحجيج والمتمثلة بكل من الركبين العربيين للحج الى بيت الله الحرام وهما ركب الحاج الشامي وركب الحاج المصري... وكانت الدولة العثمانية توليهما اهتماماً خاصاً منذ بدايات القرن السادس عشر. [٨٣] وبذلك خلص الحجاز من شرور نادرشاه، اذ كانت اهم مطاليبه هو السيطرة على خطوط سير الحجيج.

ويخلص المؤرخ اولسن في كتابه الى نتائج اخرى نترجم بعضها اضافة الى نتائجنا اعلاه، يقول: «ان خطر نادرشاه كان يواجه شعب الموصل بصورة واضحة في عام ١٧٤٣ م، وفي الحقيقة فان الباب العالي لم يكن قادراً على ارسال اي نوع من المساعدة لهم، بل واجهوه بجبهتهم الملتحمة... وقد اهزمت قوى مدينة الموصل جيش اعظم امبراطورية منافسة». [٨٤] ويتابع قوله «لقد كانت احوال سنة ١٧٤٣ م مهددة بصورة اكبر بكثير من احوال سنة ١٧٣٠ م». [٨٥] وينقل

اولسن عن مصدر تركي قوله «ان انتصار الموصل عام ١٧٤٣ م قد حال دون المجابهات الرئيسية المحتملة الوقوع بين العناصر المتنوعة للاصناف والانكشارية والعلماء». [٨٦]

هذا وتعتبر احداث الموصل من ابرز احداث تاريخ الامبراطورية العثمانية خلال القرن الثامن عشر، لأن الموصل خلّصت العثمانيين وعاصمتهم ودولتهم من خطر امبراطوري محقق.

٤ ـ اثر فشل الحصار الايراني للموصل وانتصارها على اوضاع ايران:

يصف المؤرخ ستانفورد شو هذه الحرب الايرانية، بالحرب الدموية المتشنجة.. ويقول «بأن نادرشاه اخفق في غاياته ورجع مندحراً وقد فقد خسائر جسيمة». [٨٧] لقد انهى انتصار الموصل احلام نادرشاه في السيطرة والتوسع، وامات بشكل نهائي كافة مطاليبه الدينية والسياسية التي كان قد فرضها في شروطه التعجيزية امام البلاط العثماني، واهمها ما يخص العراق واراضيه ومدنه وموارده.. ولم تغامر ايران مرة اخرى استراتيجياً ضد العراق على المستوى السياسي أو الحربي أو الاقتصادي.

كان للهزيمة التي مني بها نادرشاه آثار واضحة في الافكار المتزمتة التي كان يحملها والتخلي عنها ـ كما يذكر المؤرخ ياسين الخطيب العمري[٨٨] ـ، ورغم ذلك فانني لا أجد ادلة تاريخية تطبيقية عن تخلي نادرشاه عن افكاره الدينية في حين نرى ان افكاره السياسية والحربية في السيطرة والتوسع ضد العراق قد انتهت معه في قبره.

يرى المؤرخ التركي «علي اميري» ان نادرشاه لم يستطع البته من العودة الى الموصل بعد فشله امامها للانتقام منها، أو الاخذ بثأره، وانه لم يكرر بعد ذلك هجومه على العراق. [٨٩] ولنا ان نستنتج بعد هذا، ان انتصار الموصل واندحار نادرشاه كان له التأثير الواضح في اخماد سياسة ايران العدوانية المزمنة ضد العراق لمرحلة طويلة، ويقف المؤرخ اولسن محللاً في هذا المجال نوازع ايديولوجية الدولة، [٩٠] دون ان يقف ملياً في استنتاجاته عند خبو تحركات ايران للسيطرة على العراق جغرافياً واقتصادياً.

من ناحية اخرى، فقد سببت هزيمة نادرشاه من العراق آثاراً خطيرة في الكيان الايراني وبنيته السكانية، فقد حدث العصيان في اماكن متعددة من دولته ضد حكمه، وبدأت القلاقل تسري من مدينة الى اخرى بعد ان اشعل فتيلها كل من التركمان والقاجاريين الذين وجدوا في تقهقره، ورجوعه على نحو غريب بداية لنهاية العصر النادرشاهي كما يرى المؤرخ «سايكس». [٩١] واستطاع نادرشاه ان يخمد تلك الاضطرابات المنتشرة في اقاليم دولته، وبدأ يوجه انظاره نحو الشمال عندما سمع باستعدادات العثمانيين وتحركاتهم العسكرية وذلك بعد ان مضى على حصار الموصل اكثر من سنتين ليلتحم كل من الطرفين في معارك متفرقة على اراضي ارمينية واذربيجان [٩٢] . . ولم يفد انتصار او انتكاس اي من الجانبين في تحقيق اي نصر حاسم كالذي بلغه دفاع الموصل في العراق . . وقد خفتت الدائرة المفرغة التي كان يدور فيها نادرشاه بمطاليبه، واعترف بحدود كل من الدولتين وتبادل الطرفان السفراء والتمثيل الدبلوماسي.

اما من الناحية الاقتصادية فقد سبب فشل نادرشاه امام الموصل، الفشل الذريع في احتلال ايران للمسالك التجارية التي تصل هذه المدينة ببحر قزوين، اذ ركز هذا الشاه جهوده وطاقاته في تطوير منافذ بحر قزوين. [٩٣] ويخبرنا «اولسن» عن النشاطات التي اداها الكابتن جون التن John Elton الذي بدأ عمله لنادرشاه في تموز ١٧٤٢ م وبعد فشل نادرشاه امام الموصل بدت اعمالها في منافذ قزوين اكبر كثافة، وذلك نتيجة للاسباب التي خلقها الفشل المذكور، فقد سدّ البحر المتوسط بوجه ايران بصورة كاملة، من ناحية اخرى فقد سيطرت البصرة على سيادتها، واثرت القبائل العربية المحيطة بالخليج العربي على جانبيه في حركته. [٩٤] وسبب حصار المنافذ بوجه ايران لكي تطور تجارتها عبر بحر قزوين والتعامل مع الشركات الروسية والتي ازدادت ضرورتها الاقتصادية [٩٥] . . في حين سبب فشل نادرشاه وانسحابه من العراق الى ان يعيد العراق تجارته . . واستعاد العراق مدخولاته الاقتصادية وبدأ يحقق رسومه الكمركية [٩٦] بعد ان كانت تذهب الى جيوب ايران.

لقد كان نادرشاه طامعاً في السيطرة على الخليج العربي كسيطرته المفروضة على بحر قزوين، ولكنه انتهى فاشلاً . . وعادت البصرة لتسيطر على استراتيجها البحري، وعادت الموصل بعد ان فتحت ابوابها لتسيطر على مسالكها التجارية الكبرى، ولم تحقق ايران نادرشاه اي نجاح في السيطرة على المنافذ والمسالك

العراقية، او اي مكاسب اقتصادية من حملتها الكبرى على العراق، وسبب الفشل ضرب المصالح الايرانية مع اوربا.

ومن الاهمية بمكان ان نقارن ضمن هذه النتائج في سياسة ايران الاستراتيجية ضد العراق، فلقد كانت الاطماع الايرانية تنصب في عهد الصفويين على قلب العراق وجبهته الشمالية، ويعد عصر نادرشاه امتداداً طبيعياً لذلك العهد الذي استمات في السيطرة على شمال العراق ومنافذه ليمتد نحو البحر المتوسط. ولقد تغيرت هذه السياسة عقب انتهاء المرحلة النادرية، اذ توجهت اطماع كل من السلالتين اللتين حكمتا ايران بعد نادرشاه: العائلة الزندية [٩٧] (١٧٤٧ - ١٧٩٤)، والعائلة القاجارية [٩٨] (١٧٩٤ - ١٩٢٥) للسيطرة على المنافذ الجنوبية للعراق في كل من شط العرب والخليج العربي. ونستنتج بعد هذا كله ان ايران لم تستطع تحقيق مكاسبها العدوانية في العراق الا في حالة ضعفه وتفككه، وعدا ذلك فانها ملزمة على احترام سيادته ومنافذه وحدوده.

اما من ناحية نادرشاه نفسه، فكما يذكر احد المصادر الايرانية بأن فشله في العراق ورجوعه منه خائباً قد سبب اعتلالاً في صحته، وبدا على غير ما كان عليه بالمقارنة اثر رجوعه من الهند [٩٩].. وبعد رجوعه انهكته قضايا بلاده الداخلية وانتهى عصره المضمخ بالدماء، وانتهت صفحته التاريخية المزعجة عندما اغتيل في ٢٠ حزيران ١٧٤٧ م/ ١١ جمادي الثاني ١١٦٠ هـ [١٠٠] اثناء انشغاله بتهدئة اضطرابات الاقليم الذي ولد ونشأ فيه وهو اقليم خراسان الذي عصى عليه وثار ضد سياسته الحرقاء. [١٠١] وبذا لاقت بربريته المتعطشة الى الدماء والتي بدلت طاعة شعبه له نفوراً منه وفزعاً حتفها الذي سلمت منه منذ مدة طويلة. [١٠٢] وتشرح احدى وثائق ع سانت البرت الفرنسية، وهي رسالة محررة في قصبة من مدينة اصبهان عن الفوضى الداخلية التي كانت تعيشها ايران في سنة ١٧٤٤ م، أي في السنة التالية على حصار الموصل، وعن سوء الاحوال الاقتصادية، واشتعال الانتفاضات في الاقاليم ووقوع الاصطدامات المسلحة. تقول الوثيقة ما نصه: «ان الانتفاضات تشتد دوماً داخل مملكة فارس.. ان الفرس كلهم يرتعبون من رجل قاس كنادرشاه، ولا احد في جانبه ما خلا العسكر، بينما جميع سكان هذه الامبراطورية الواسعة هم في حالة فقر مدقع، والمدن خربة ومقفرة، والاراضي غير مزروعة..».

استنتاجات واجتهادات في بحث تاريخ الحصار

١ ـ اقتصاد الحرب:

لقد توضح لنا من خلال نتائج الحصار وآثاره الداخلية والخارجية، الاهمية البالغة لفشل الحصار وانتصار الدفاع واثرهما البالغ في مستقبل تاريخ منطقة الشرق الادنى، اذ شكل ذلك الدفاع سداً منيعاً احال دون تقدم نادرشاه والغزو الايراني وكسر جبروته بل وكان بداية نهايته من طرف آخر. هذا من الناحية التاريخية.. اما من الناحية الاقتصادية، فثمة ملاحظة تتوارد امام خاطر مؤرخ الحصار، فقد عرفنا ان احوال الموصل الاقتصادية لم تكن جيدة بأي حال من الاحوال قبيل فرض نادرشاه حصاره عليها. وقد انقطعت صلات الموصل الاقتصادية بالاقاليم الاخرى منذ فترة طويلة، كما لم تصلها اية مساعدات اقتصادية من بغداد أو حلب أو ديار بكر أو من مقاطعات الجبال، وان ما وردها من العاصمة استانبول لم يكن كافياً بأي شكل من الاشكال لكي يبقيها على قيد الحياة حتى ولفترة قصيرة. ان كل هذا يوضح وبصورة اكيدة بأن اعمالاً عظمى قد انجزت بدون اجر مقابل، رغم ان المعلومات التاريخية تشير بأن حكومة الموصل كانت لها انفاقاتها الخاصة للعاملين قام بصرفها والي الموصل، ونستنتج بأن فترة تقشف اقتصادي كان قد مورس على درجة عالية من التنظيم والضبط في الانفاق الفردي في المعيشة اليومية، او انه قد مورس مرحلياً لمواجهة حصار طويل الامد قد يستمر اشهراً عديدة، كما حدث في حصار الايرانيين لبغداد سنة ١٧٣٣ م، أو توقعاً لمواجهة حرب اقتصادية ضارية.. ومن هنا نستنتج، بأن عمليات تخزين كبيرة للمواد الغذائية قد نفذت اذ لم تواجه المواصلة اية مشاكل من الناحية الغذائية سوى مشكلة المياه التي نجح نادرشاه في خطته لها وتحويله للشعبة الرئيسية من نهر دجلة عن الموصل وسكانها. ومن المؤكد ان الحصار في الاستعدادات وفي حربه ونتائج آثاره، قد خلق مجالات للعمل والمهارة وازدادت مدخولات ذوي المهن والحرف والصناع. ولم تردنا اية اشارة تاريخية عن ارتفاع الاسعار في السوق قبيل بدء تطويق المدينة وفرض الحصار، ولو استثنينا فترة الحصار نفسها باعتبارها قد كانت فترة حرب عنيفة فاننا لم نجد اي اثر لظاهرة الغلاء بعد الحصار وانتهائه التام. اذ كانت مثل هذه الظاهرة قابلة للحدوث خلال الفترة المعنية نظراً لانقطاع حركة التنقل والتجارة بواسطة نهر دجلة عبر الاكلاك والسفن الصغيرة مع ديار بكر شمالاً وبغداد جنوباً.

٧ ـ الخسائر البشرية :

ثمة ملاحظات اخرى حول خسائر كل من الطرفين المتحاربين بشرياً، اذ ربما يندهش القارئ عندما يعلم النسبة غير المطردة لذلك في كثرتها عند الايرانيين وقلتها عند المدافعين والتي تحققت حسابياً بنسبة شهيد عراقي واحد الى مائة قتيل ايراني من الاعداء. تعتبر الخسائر البشرية التي لحقت بجيش نادرشاه سبباً اساسياً في انسحاب نادرشاه نفسه الى الجانب الشرقي من النهر، ومسارعته بطلب عقد الصلح بعد توقف اطلاق النار بين الجانبين اثر الهزيمة الكبرى التي لحقته في المعركة النهائية الفاصلة، وان يرحل بعد ذلك عن الموصل بعد الحصار الدامي. اما في الجانب الآخر، فان المدافعين ورغم ان المصادر الموثوقة قد اكدت بأن خسائرهم البشرية لم تتعد المائة شهيد.. فان حرباً كالتي رأينا احداثها الدامية ومشاهدها العنيفة لابد وان تعطي المؤرخ فرصة للاجتهاد من مجمل خسائر المدافعين البشرية كونها اكثر بقليل مما ذكرته المصادر، وخصوصاً من ضحايا الهجوم الايراني المدفعي المركز عند الثغرة في شمال المدينة فقد احكمت السيطرة على الموقف ورأب صدع الثغرة في السور ببنائها من الحجارة واشلاء اجساد الضحايا ودمائهم. وهناك ضحايا القصف المدفعي الايراني على المدينة المحاصرة ولايام طويلة ليل نهار.. ومن الاهمية ان نورد في هذا المجال نصاً تاريخياً من رواية المؤرخ محمد امين الخطيب العمري لتعزيز وجهة النظر هذه والاجتهاد من ناحية الخسائر، فقد قال: «وتوالى الضرب من الطرفين ثمانية أيام ولياليها، واما القنابل فانها اشتبكت في الجو مثل النجوم الزاهرات، منقضات في جو السماء، حوالي البلد.. والقنابل التي القاها ـ جيش نادرشاه ـ على البلد بتلك المدة بلغت خمسين الف قنبلة، فكم هدمت من دور، وكم دثرت بيوتاً لا يحصى لها عدد واهلكت انفساً كثيرة، ومع ذلك ما هابت قلوب الناس الغازين ـ المدافعين ـ بل كلما زاد عليهم شديد ضرب المدافع والقنابل ازدادوا شجاعة وثباتاً». (١٠٣)

وربما كان العدد الذي ذكرته الوثائق الرسمية خاص بمن استشهد في المعارك التي كان يدور رحاها وجهاً لوجه مع الاعداء. او ان يكون المجمل الرسمي لخسائر المدافعين البشرية مائة بالمائة اذا ما علمنا بأن تأثيرات القصف على الموصل بخمسين الف قنبلة لم تكن قاتلة نظراً لما تميزت به بيوت الموصل ومرافقها من ظواهر خدمت اهلها في تلك الايام الحرجة من تاريخهم ويمكننا استخلاص تلك الظواهر كالآتي:

١ ـ ان بيوت الموصل القديمة ومرافقها وبناياتها وجوامعها . . كانت وحتى لعهد متأخر تشيّد من حجر الصخر الثقيل أو المرمر الازرق الصلد، ويمتاز البناء بقوته وصلابته ومهارة من يختص فيه.

٢ ـ يكاد لا يخلو بيت من بيوت الموصل القديمة من وجود سرداب أو اكثر فيه . . ويتميز بعمقه وقوة البناء الذي يتعالى فوقه. ويستعمل السرداب الموصلي لقضاء فترة القيلولة في الاصياف القائضة وتخزين المواد . . وبدون شك فقد استعملت هذه السراديب بمثابة ملاجئ للعوائل والشيوخ والنساء والاطفال، والتي حتهم في احشائها من نيران تصف آلاف القنابل والقذائف والبارود المشتعل.

٣ ـ تميزت الموصل القديمة ببيوتها المتراصة التي تتواصل مع محلاتها العامة واسواقها وجوامعها ومدارسها ومرافق الحكومة الرسمية . . ـ لاحظ الخريطة المرفقة عن المدينة لفيلكس جونز رقم ٤ ـ والتي تجتمع بزخمها السكاني القوي الى الجانب الشرقي والجنوبي من المدينة. ومن خلال دراستنا للحصار، وجدنا ان هجمة الاعداء الكبرى قد كانت خارج اسوار غرب وشمال المدينة، وكانت الارض الخالية من الابنية والمنحصرة بين بيوت وابنية المدينة وسورها الشمالي، هي ساحة عمليات الدفاع والمقاومة والتصدي . . ومن هنا ندرك، بأن الابنية القليلة المتفرقة التي تواجدت على مقربة من السور الشمالي بصورة خاصة هي التي تعرضت لأسوأ الاضرار ومن ضمنها قلعة باش طابية مركز قيادة عمليات قوى الدفاع، ثم الكنائس التي كانت تقع في ذلك الجانب.

٤ ـ من المؤكد بأن الناس قد كانت على جانب كبير من الوعي في تنظيم استعداداتهم وشعورهم بأخطار القصف المدفعي، مما جعلهم يأخذون الحيطة والحذر، كما واستطاعوا ان يضموا معهم آلاف النازحين الذين تقاطروا على المدينة ودخولها للاحتماء بها خشية من اخطار الموج الايراني العاتي الذي كان يزحف نحو الموصل.

ملاحظـات ونقـدات

١ - ص الجليلي، المصدر السابق، ص ١١٥، المنهل، جـ ١، ص ١٩٢، وانظر:
(Longrigg, op. cit., P. 152).

٢ - المنهل، جـ ١، ص ١٦٥. وانظر: (Olson, op. cit., P. 177)

٣ - ولد الغازي محمد امين باشا سنة ١١٣٢ هـ، وقد اخطأ سليمان صايغ بقوله: ان محمد امين باشا تسلم رتبة الميرميرانية وعمره ٢٣ عاماً. (كتابه م س، جـ ١، ص ٢٩١).

٤ - المنهل، جـ ١، ص ١٦٥. ايضاً راجع: (Olson, op. cit., P. 177) ومن الجدير بالتنويه ان عماد رؤوف قد كتب سهواً ان السلطان محمود الثاني استقبل الوفد الذي ارسلته الموصل برئاسة محمد امين باشا. والصحيح ان السلطان محمود الاول كان الذي استقبل الوفد، فمن المعلوم ان السلطان محمود الاول حكم للفترة ١٧٣٠ - ١٧٥٤ م، اما السلطان محمود الثاني فقد حكم للفترة ١٨٠٨ - ١٨٣٩ م. قارن (كتاب عماد رؤوف، المرجع السابق، ص ١١٢).

5 - Aspinwell, SP, Letter dated 20/11/1743.

6 - Olson, op. cit., P. 177; and f.n. 83.

7 - Aspinwell, Loc. cit.

٨ - انظر الملاحظة رقم (٣) اعلاه. وراجع: (Olson, op. cit., P. 177) وانظر ما كتبه كيمب في اطروحته: (Kemp, op. cit., P. 313) اما نص فرمان تمليك قرية (قره قوش)، فقد نشر ترجمته العربية: عماد رؤوف في اطروحته انظر: ملحق رقم (٧)، ص ٥١٨ - ٥٢٢.

٩ - سالنامة الموصل، ص ٢٤. وراجع ملحق رقم (١١) في المنية، ص ٢٧٧. ايضاً: وقفة المؤرخ (اولسن) عند (Olson, op. cit., P. 177)

10 - Olson, op. cit., P. 177.

11 - Niebuhr, op. cit., 2/362; see also (Harry Charles Luke, Mosul and its Minorities, London 1925, PP. 21-22).

١٢ - (الدر المكنون، نسخة المتحف البريطاني، ورقة 317b). وانظر:
(Ives, op. cit., P. 323).

١٣ - ص الجليلي، المصدر السابق، صفحات (١٠٣)، (١٢٠).

١٤ - المصدر نفسه، ن ص. وانظر: الشمامة، ص ٨٨، ملاحظة عقلها رقم (٢).

١٥ - ياسين الخطيب العمري، مخطوط (قرة العينين في تراجم الحسن والحسين) - نسخة شخصية - ورقة 37a.

١٦ - الشمامة، ص ٨٩، ملاحظة رقم (٢). وانظر الاصل عند: (تاريخ محمد ثريا، سجل عثماني، المجلد الثاني، استانبول ١٨٠٨ - ١٦١١، ص [illegible]).

١٧ ـ المصدر نفسه، ن ص. وانظر ص الجليلي، م س، ص ١١١.
١٨ ـ ثريا، م س، جـ ٧، ص ٢٠٩. وانظر: (Olson, op. cit., P. 169)
19 - Tarih Subhi, fol. 232; also, (Olson, op. cit., P. 169)
20 - Kemp, op. cit., P. 5-7.
21 - Longrigg, op. cit., P. 157.
22 - Kemp, op. cit., P. 135.
٢٣ ـ ع العزاوي، المصدر السابق، جـ ٥، ص ٢١٢. وانظر: (تاريخ صبحي).

24 - Tarih Subhi, fol. 178.
25 - Olson, op. cit., P. 166; see also, (Kemp, op. cit., P. 122).
وانظر (امري، المنهل، الدر المكنون، الزبدة).
26 - Tarih Subhi, fol. 55; and (Hekmat, op. cit., P. 231).
٢٧ ـ الدر المكنون، نسخة باريس، ورقة 294a.
٢٨ ـ ص الجليلي، المصدر السابق، ص ١١٥ ـ ١١٦.
٢٩ ـ المصدر نفسه، ن ص.
٣٠ ـ ص الجليلي، المصدر السابق، ص ١١٥ ـ ١٢٠.
31 - Islâm Ansiklopedisi, 9 Cilt, Istanbul 1964, P. 26.
32 - Longrigg, op. cit., P. 152.
٣٣ ـ للمزيد من التفاصيل انظر ترجمته بقلم سعيد الديوه جي، الملحق رقم (٤) في (المنهل، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩)، وراجع: (الروض النضر في ترجمة ادباء العصر لمؤلفه: عصام الدين عثمان العمري، تحقيق د. سليم النعيمي، جـ ١، بغداد ١٩٧٤ جـ ٢، جـ ٣، بغداد ١٩٧٥)، وانظر: (المنهل، الشمامة، الزبدة، الدر المكنون، قرة العينين، سالنامة الموصل، ديوان حسن عبدالباقي، ثريا، سلك الدرر، صايغ، اولسن، كمب). والمها «ترجمته» في الشمامة.
٣٤ ـ راجع الملاحظات (٣١)، (٣٢)، (٣٣) الفصل الثالث من هذا البحث.
35 - Niebuhr, op. cit., 2/357.
36 - Olson, op. cit., P. 170.
٣٧ ـ سالنامة الموصل، ص ٢٩١. وانظر: (Olson, op. cit., P. 170)
٣٨ ـ المنهل، جـ ١، ص ١٥٢. وانظر: (Kemp, op. cit., P. 316)
٣٩ ـ راجع ملاحظة رقم (١٤٨) الفصل الثالث.
٤٠ ـ راجع ملاحظة رقم (٢٤٧) الفصل الثالث، التي يؤكدها قول المؤرخ علي بن ياسين العمري في مخطوطته (روضة الاخبار في ذكر افراد الاخيار) ـ مكتبة المتحف البريطاني رقم Add. ٢٣٣١١ ـ، ورقة ١٣٦.

٤١ ـ راجع ملاحظة رقم (٢٤٩) الفصل الثالث، التي يؤكدها نص الوثيقة الايطالية الملحقة بهذا البحث، ان ٥٠٠٠٤ من افراد العدو قد قتل بعد الحصار. وانظر بقية المصـادر الأساسية (وثيقة القازوقجي، العمري، سالنامة الموصل).

42 - Olson, op. cit., P. 174.

43 - Ibid., P. 174, n. 68; see also: (صايغ، م س، جـ ١، ص ٢٨٦)

٤٤ ـ سالنامة الموصل، ص ٢٦٢. وتذكر الوثيقة الايطالية بأن الموصل فقدت ٤٠ شهيداً (ملحق ١).

٤٥ ـ ملحمة الموصل، ص ٢٤، وانظر (لتزاء المصدر السابق، ص ٣٠)، وتذكر مخطوطة روضة الأخبار بأن الايرانيين احاطوا على الموصل ٥٠ الف قنبلة، ن ر، في حين تذكر الوثيقة الايطالية ان عدد القنابل كان ٧٠ الف قنبلة (انظر الملحق ١).

٤٦ ـ انظر صايغ، المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٨٨ ـ ٨٩.

47 - John Stoye, The Siege of Vienna, London 1964, Chap, "The Siege", PP. 150-167. (غير اساسي لموضوع هذا الكتاب)

48 - Albert Hourani, The Ottoman Background of the Modern Middle East, "The third Carreras Arab Lecture of the University of Essex" 25th Nov. 1969, Longman for the University of Essex.

٤٩ ـ عبدالعزيز نوار، داود باشا والي بغداد، القاهرة ١٩٦٨، ص ١٤٢.

٥٠ ـ سليمان فائق، تاريخ المماليك الكوله مند في بغداد، ترجمه عن التركية محمد نجيب أرمنازي، بغداد ١٩٦١.

٥١ ـ انظر (صفحات من تاريخ الموصل) ـ مخطوطة ملخصة ـ بقلم د. داود الجلبي، (مكتبة الاوقاف العامة بالموصل ـ رقم المخطوط ٤٣/٩)، ورقة 26a.

٥٢ ـ علاء نورس، حكم المماليك في العراق، بغداد ١٩٧٥، ص ١٧٤ ـ ١٨٣.

٥٣ ـ انظر احمد راسم، عثمانلي تاريخي، جـ ٢، استانبول ١٣٢٨ هـ، ص ١٠٢، ايضاً، (محمد ثرياء سجل عثماني، سبق ذكره)، وراجع ـ بالعربية ـ مخطوط (الدر المكنون، نسخة باريس، ورقة 342b)، وكذلك الشمامة، ص ٤٦، ملاحظة محققها رقم (٢).

٥٤ ـ انظر ملحق رقم (٢) في هذا البحث.

55 - Ives, op. cit., P. 322.

56 - J. Jackson, Journey from India, London 1799, P. 76.

57 - Ives, op. cit., P. 324.

58 - Niebuhr, op. cit., 2/317.

٥٩ ـ العمري، جـ ١، ص ١٤٢، وانظر: (Kemp, op. cit., fol. 318)

٦٠ ـ انظر ملحق رقم (٧) عند عماد رؤوف، المرجع السابق، ص ٥١٨ ـ ٥٢٢.

٦١ ـ راجع التفصيلات المحلية في كتاب (نقولا سيوفي، مجموع الكتابات المحررة على ابنية مدينة الموصل، تحقيق سعيد الديوه جي، بغداد ١٩٥٦).

62 - Olson, op. cit., P. 173.

٦٣ ـ انظر نقولا سيوفي، المصدر السابق وتذييلاته وملاحقه بقلم محققه الديوه جي، وانظر: ما كتبه كيمب في هذا الجانب (Kemp, op. cit., sictions) اضافة الى بحث الديوه جي الموسوم «مدارس الموصل في العهد العثماني» (مجلة سومر، المجلد ١٨، بغداد ١٩٦٢، والمجلد ١٩، بغداد ١٩٦٣).

64 - Ives, op. cit., P. 324.

٦٥ ـ لقد فصّل الدكتور داود الجلبي مفهرساً ما تبقى من آثار الموصل الادبية والعلمية التي كانت متفرقة في خزانات مشهورة عديدة بالموصل في كتابه الشهير (مخطوطات الموصل، بغداد ١٩٢٧) والذي استفاد منه بصورة كبيرة فؤاد سزكين في فهرسه الذي ألفه بالالمانية. وقد جمعت خزانات الموصل المتفرقة مع آثارها النادرة والمهمة قبل سنوات وضمتها جميعها مكتبة الأوقاف العامة بالموصل، وجرد اهمها السيد سالم عبدالرزاق احمد ليرتب فهرساً ضخماً لمحتوياتها من المخطوطات، وطبعت مجلداته على مراحل تحت عنوان (فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل) واهم الخزائن هي خزائن الحجيات (الفهرس، جـ٣، بغداد ١٩٧٦)، وخزائن المدرسة الأمينية في جامع الباشا وخزائن المدرسة الرابعية والعثمانية، وخزائن مدرسة الخياط والمدرسة الاحمدية (الفهرس، جـ ٤ ـ ٦، الموصل ١٩٧٧). علماً بأن مكتبات الغرب الشهيرة تحوي على مخطوطات نادرة من الموصل تشكل نتاج النهضة التي شهدتها خلال القرن الثامن عشر واشهر المكتبات مكتبة المتحف البريطاني والمكتبة الوطنية بباريس ومكتبات برلين الالمانية، وانظر ما كتبه كل من صايغ والديوه جي ورؤوف وكيمب عن نهضة الموصل.

٦٦ ـ انظر موضوع رقم (٣)، الفصل الأول من هذا البحث.

67 - Longrigg, op. cit., P. 152.

٦٨ ـ محمد امين زكي، المصدر السابق، ص ٢٣٠.

69 - Olson, op. cit., P. 185, 187.

70 - Ibid., P. 185-86.

٧١ ـ عماد رؤوف، المرجع السابق، ص ٢٢٨ ـ ٢٣٢ ٢٦٣.

72 - Olson, op. cit., P. 180 n. 40.

٧٣ ـ راجع نصوص المراسلات الرسمية في ملاحق المنهل، جـ ١، ص ٣٢٥ ـ ٣٢٨.

٧٤ ـ هو التقرير الذي خطه بالتركية (بارعي افندي)، وقد نقلته حرفياً (سالنامة الموصل)، وقام د. داود الجلبي بترجمته الى العربية، وقام المحقق سعيد الديوه جي بنشره ضمن ملاحق كتاب (المنية، ملحق رقم (١٢) ص ٢٧٧ ـ ٢٩١)، ومن الجدير بالذكر ان هذا التقرير هو احد وثائق الحصار المهمة، ويعد من وثائق دراستنا هذه والذي اسميته بـ (وثيقة القازوقجي).

٧٥ ـ مخطوط الدر المكنون، نسخة المتحف البريطاني، ورقة 119a.

٧٦ - تصفح العديد من هذه الاعمال المحلية الذي ذكرها ضمن ملاحظات هذه الدراسة، اضافة الى العديد من الملاحظات والمجاميع التي كتبت خلال الفترة المعنية والتي تحتويها مكتبة الاوقاف العامة بالموصل والمكتبات الشهيرة في بغداد.. اضافة الى مصورات مكتبة المجمع العلمي العراقي.

٧٧ - انظر موضوع (الآثار الداخلية) من هذا الفصل.

٧٨ - انظر فقرة رقم (٢) موضوع (السيطرة الايرانية على اطراف العراق وتخومه) الفصل الثالث.

٧٩ - م. ا. زكي، المصدر السابق، ص ٢٢٩. ومن الجدير بالتصحيح ان هذا المؤرخ يذكر بان نادرشاه قد ذهب بنفسه اثناء فترة حصاره للموصل وسيطر على منطقة جزيرة ابن عمر (كتابه، ن ص)؟ ولم اجد مصدراً تاريخياً اساسياً قد ذكر ذلك، اذ ان نادرشاه بقي في مكانه اثناء الحصار، ومشدداً قبضته على الموصل بنفسه، ولكنه كان قد ارسل قوات عسكرية ايرانية للسيطرة على تلك الاطراف ضمن ارسالياته العديدة لاكثر الاماكن المهمة من العراق وذلك قبيل وصوله الموصل. ويشارك كل من سليمان صايغ وعماد رؤوف الرأي الذي ذكره محمد امين زكي. انظر مقارناً (س صايغ، المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٨٥)، ايضاً (عماد رؤوف، المرجع السابق، ص ١١٠).

80 - Olson, op. cit., P. 185.

٨١ - انظر تفاصيل جغرافية المسلك الاستراتيجي (ملحق رقم ٢ بهذه الدراسة).

٨٢ - الملاحظة نفسها اعلاه.

٨٣ - تفاصيل وافية عن كل من الركبين العربيين عند:
(H.A.R. Gibb, and H. Bowen, Islamic Society and the West, vol. 1, Oxford 1963, P. 196); also (Tarih Subhi, vol. 2, fol. 89, and Hekmat, op. cit., P. 224).

84 - Olson, op. cit., P. 187.

85 - Ibid.

86 - Ibid.

87 - Shaw, op. cit., vol. 1, P. 246.

٨٨ - مخطوط الدر المكنون، نسخة باريس، ورقة 248a.

٨٩ - اميري، المصدر السابق، ص ٢٦٥.

90 - Olson, op. cit., PP. 186-87.

91 - Sykes, op. cit., vol. 2, P. 348.

92 - Longrigg, op. cit., P. 161.

(وانظر التعليقات على بعض الأحداث التاريخية، والاخذ والرد السياسي بين كل من الدولتين خلال سنة ١٧٤٤ م، عند استانهوب اسبينول) (Aspinwell, SP, Letter dated 24th, March 1744).

93 - Olson, op. cit., P. 187. (عن هانوى)
94 - Loc. cit. (عن هانوى ايضاً)
95 - Loc. cit. (عن هانوى ايضاً)
96 - Ibid., P. 188.
97 - C.E. Bosworth, The Islamic Dynasties, "The Zands", Edinburgh 1967, PP. 177-79.
98 - Ibid., "The Qajars", PP. 179-80.

٩٩ ـ غلامحسين مقتدر، المصدر السابق، ص ١٠٧.
١٠٠ ـ يذكر محمد امين زكي في كتابه عن تاريخ الاكراد بقوله ان نادرشاه قد اغتيل بتاريخ ٢٣ أو ١٩ حزيران ١٧٤٧ راجع (كتابه المذكور سلفاً، ص ٢٣٠)، وقارن ذلك مع المصادر المعتمدة عن نادرشاه (ملاحظة رقم ٣٨ موضوع «من هو نادرشاه؟» الفصل الثاني من هذا البحث).
101 - Lockhart, op. cit., P. 176; see also (Hanway, Olson, Longrigg, and Sykes).
102 - Longrigg, op. cit., P. 154.

للاستزادة عن تاريخ العراق ونادرشاه انظر:
جعفر خياط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، جـ ١، ط ١، والمطبوع سنة ١٩٧١.
ايضاً : كتاب عبدالعزيز نوار، تاريخ العراق الحديث، القاهرة ١٩٦٨.
١٠٣ ـ المنهل، جـ ١، ص ١٥٤ ـ ١٥٥.

الخاتمة

حاولت في الفصول المتقدمة من هذه الدراسة، وما اضفيته عليها من ملاحق ان اقدم بحثاً تركيبياً في تاريخ العراق الحديث، شغل موضوعه الاساسي الحصار الذي فرضه الامبراطور الايراني نادرشاه على الموصل سنة ١١٥٦ هـ/ ١٧٤٣ م، بعد زحفه مع جيوشه الجرارة على العراق، ضمن اعتى حملة ايرانية كبرى واجهها العراق خلال عصوره التاريخية. ولقد رأينا، كيف تطورت العلاقات السياسية المحتدمة بين العثمانيين والفرس لتكون ساحة العراق الجغرافية الكبرى حقول معارك وتناحر وصراعاً طويل الامد، نظراً لما امتاز به العراق نفسه من ميزات تاريخية وجغرافية.

لقد توضح لنا، كيف نشأ تاريخ العراق الحديث لاول مرة، بعد ان طوى عصوره الوسيطة وخرج من يد الفرس ليقع بيد الاتراك العثمانيين الذين شددوا قبضتهم عليه لفترات طويلة حتى انحسار السيطرة المركزية عليه. وقد سبب ذلك توالد الحكومات المحلية، والادارات الاقليمية على ولايات المشرق العربي، وكان من ضمنها بغداد والموصل وذلك خلال بدايات القرن الثامن عشر. ان تطور العلاقات السياسية للعراق خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر، كانت مرتبطة بحكم ذلك التطور مع حركة الحلقة التاريخية للصراع الامبراطوري بين كل من العثمانيين والفرس، وما رافق ذلك من قرارات الحرب والسلم والمفاوضات، ثم الخطوط العريضة لأيدلوجية كل من البلاطين المتنافسين المتناحرين. ولكن الاهم من كل ذلك ان تطور تلك العلاقات السياسية للعراق الحديث، انما ارتبطت احداثها التاريخية المريرة بحركة الفعل التاريخي العراقي نفسه كما تراءى لنا ذلك جلياً من خلال مسببات الاحداث المباشرة وغير المباشرة على العراق نفسه، ثم من خلال رجال تلك الاحداث، والساحة الجغرافية للعراق التي كانت مسرحاً عملياً لها. وبعد ذلك كله، ما نتج عنها من آثار حافلة ونتائج كبيرة التصقت بشخصية العراق، واثرت في كيانه الاقليمي من الناحية السياسية والاقتصادية والانثروبولوجية.

لقد كان حصار الموصل - كما رأينا - خاتمة لتلك السلسلة الطويلة من الاحداث المريرة التي عاشها العراق خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر، والتي تعد من اهم الفجوات الزمنية في تاريخ العراق الحديث، نظراً لضخامة الوقائع التاريخية التي سجلت خلالها، وحفلت بها ارض العراق ومدنه ومسالكه، وعاشها اهله وجيرانه على التخوم المرتبطة به.. تلك الوقائع التي قاد اليها تعاظم الاطماع الايرانية على العراق والسيطرة على مدنه ومرافقه ومسالكه وخصوصاً ابان العصر النادري الافشاري الذي يغطي كلاً من العقدين الزمنيين الثالث والرابع من النصف الاول من القرن الثامن عشر. وليس من المغالاة في شيء اذا قلنا بأن فشل نادرشاه في حصاره للموصل، ورحيله خاسراً جولته الاخيرة على ارض العراق قد حرمه السيطرة على العراق والشرق العربي والتوجه من خلالهما ليودي بحياة العاصمة العثمانية، كما وانهى ذلك الفشل الذريع عصره الحربي والحديدي لأيران وانهى اطماعه في العراق.

لقد تجلى لنا ايضاً من خلال هذا البحث، كم دفع العراق واهله من تضحيات كبرى خلال الفترات التي مررنا بها، وما كان لتلك العلاقات السياسية والحربية من آثار جسيمة على الاقتصاد والمجتمع والثقافة، وعلى مجمل الاحداث التاريخية التي توالدت بعد ذلك، اضافة الى تأثيرات احداث العراق التاريخية على منطقة الشرق العربي في كل من بلاد الشام والحجاز، نظراً للنوازع الطبيعية والسكانية والجغرافية.. التي تربط هذه المنطقة واقاليمها العربية بعضاً بآخر، ولكن من الناحية الرسمية أو شبه الرسمية فقد ارتبطت هذه الاقاليم ارتباطاً تقليدياً بالعاصمة العثمانية اسطنبول، بحكم الفهم الديني، اذ كانت العائلة العثمانية قد استقطبت ولاء كافة الشعوب الاسلامية منذ بداية القرن السادس عشر عندما اطاح السلطان العثماني سليم الاول بآخر خليفة عباسي في القاهرة سنة ٩٢٢ - ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧ م، ونصّب نفسه مكانه.. وبانتهاء آخر ادوار الامبراطورية العباسية، انتقل الولاء الى العثمانيين اثر احتواء امبراطوريتهم لكامل منطقة الشرق العربي وشمال افريقيا عدا سلطنة المغرب. وعليه فان العراق لم يعش متقوقعاً على نفسه، وانّ الاحداث التاريخية الداخلية التي يهضمها، انما كانت لها تأثيراتها الخارجية بعيدة المدى.

لقد توضح لنا ايضاً جانب أو اكثر من طبيعة الاحداث التاريخية التي تميزت بها هذه الفترة، وقد غلبت عليها صفتان اساسيتان:

١ - التركيبة التراكمية:

التي تعني تفاقم حدة الاحداث التاريخية وجسامة تأثيراتها التي ينهيها حدث تاريخي عظيم، والذي تقفل الحقبة التاريخية باسمه.

٢ - المفارقات والمتغايرات:

والتي تعني ان سجل الحقبة التاريخية يحوي العديد من الاحداث والوقائع الكبيرة المختلفة في مسبباتها ونتائجها ثم ظروفها سواء كانت طبيعية أم اجتماعية أم سياسية أم اقتصادية..

هذا ما استطعت ان اخرج به بعد دراستي لمدونات تاريخ العراق الحديث وتعاملي مع حقائقه على الوجه الذي تقدم في تحليل ابعاد حصار الموصل ونتائجه. ان هذا الحصار، يمثل تجربة تاريخية عراقية فريدة من نوعها، نظراً للقيمة الوطنية التي تحلت بها، والفصول الدراماتيكية التي تمثلت فيها، مما يجعلها تجربة تاريخية خالدة على مدى الزمن.. وانها ستبقى في حاجة لمن يستوعبها ويتدارسها ويبحث في جوانبها، واضفاء ما هو مجهول من حقائقها التاريخية المخفية أو التي لا تزال بعيدة عن الانظار، شأنها شأن أي حقبة تاريخية من حياة العراق الحديث، غنية بالفعل وردود الفعل المؤثرة.

هذه هي فلسفة المضمون التاريخي الذي انطوت من خلاله حقائق هذا البحث. اما من ناحية التعامل مع تلك الحقائق التاريخية التي تؤلف صفحاتها اساساً لبناء الماضي المتأخر من التاريخ الطويل لهذه البلاد، فانها بحاجة الى المختص الذي باستطاعته الوقوف ملياً على صيرورتها وروابطها ومتغيراتها، ثم رجالاتها وشخوصها ومسرحها سواء كان في المدن أو اللواحق من البوادي والبطائح والجبال.. أو المسالك والتخوم. ثم ربط تلك الاحداث بمؤثراتها المختلفة سياسية كانت أم حربية، اقتصادية أم دينية، اجتماعية أم سكانية.. ويقتضي جعلها حقائق مسلم بها، الوصول لها ومحاكاتها مع مجمل ظروفها وواقعها وعدم سحبها، بل ان تجريدها يفقدها روحها وشخصيتها وفاعليتها. ان

القياس العلمي في التعامل مع تاريخ يتصف بمثل ما تقدم، بغرض حل من يشتغل فيه، فهم مسببات الاحداث المباشرة وغير المباشرة، ثم استنطاقها بموضوعية واملاء الاسئلة على افعالها، وتحليل مختلف جوانبها للوقوف على نتائجها المهمة ضمن حلقاتها الزمنية واكتساب الدروس المفيدة منها وتوظيف ذلك في خدمة الحاضر شرط الا يفقد المؤرخ في تعامله مع النصوص وفهمه لتراكيبها الاعتبارات الميثودولوجية في البحث.

اضافة الى كل ذلك، فان البحث في تاريخ غني في مصادره، كبير في احداثه وشخوصه ومؤثراته مثل تاريخ العراق الحديث يقتضي الاقتصار على فترة معينة ومحددة منه بغرض اشباع دراستها، ويستوجب الامر التفصيل في معالجة كل حدث من احداثها على طرف، وربط الاحداث جميعاً على درجة من الاتساق والكتابة الفاصلة.. والخروج بموضوع واضح في حقائقه موحد في معلوماته، مفيد في نتائجه.

من ناحية اخرى، فان دراسة اي منطقة محددة وهامة من العراق اينما وقعت، او البحث في تاريخ أي مدينة من مدنه التي اثرت في حياته لا يعني ذلك المغالاة في شيء، او الاهتمام الجزئي بطرف على حساب الطرف أو الاطراف الاخرى.. انما يعني التاريخ المحلي بحد ذاته(The Local History)،وان دراسة مثل هذا التاريخ وتطبيقاته انما يغني تجارب الحاضر، وترسيخ علاقة المجتمع العراقي بأرضه الواحدة الموحدة، اينما وقعت جغرافية تلك الارض أو النهر أو المدينة أو الاقليم أو القرية النائية أو المسلك التجاري أو الصحن الحربي... لأن ذلك يعني معرفة الشيء الكثير عن طبيعة المنطقة وجغرافيتها واقتصادها وخططها العمرانية، اضافة الى معرفة طيات تواريخها المثيرة، وما نزل فيها من حوادث مريرة ومتعبة تتمثلها عهود مختلفة اصطبغت بالانحطاط والظلمات منذ سقوط بغداد بيد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م، وان كنا نجد نزراً من النور والحركة والقوة التي بدت علاماته خلال كل من القرن الثامن عشر، او الاعمال التي اداها مدحت باشا خلال القرن التاسع عشر.

ولا اريد ان استطرد اكثر، ولكن يستوجب علي ان اقف على ناحية اخرى الا وهي استخدام المصادر والمراجع في باب البحث في فصول تاريخ العراق الحديث، اذ يقضي امر من يدخل في غمار هذا البحث ان يستوف النصيب

الكامل بل المتوفر من مصادر هذا التاريخ. ان هذه المصادر قد تنوعت مع تنوع احواله وظروفه، وهذا ما يجعل العمل من خلالها شاقاً ومتعباً، اذ لا تزال العديد من المدونات التاريخية والادبية محتجبة عن الانظار سواء كانت وثائق وارشيفات ام مخطوطات وكتباً قديمة، اضافة الى الاعمال التي كتبها الاجانب وبلغات مختلفة قد يكون اغلبها فريد الحصول في اصله المطبوع قديماً والمتواجد في مكتبات امم بعيدة. وقد تتشابه النصوص والمعلومات حيناً بين مصدر وآخر، أو قد تختلف حيناً آخر، وهذا يستدعي من الدارس ان يقارن بينها ويقايس الوقائع، ويستحصل الثابت، ويقرر الصواب ويبث نقداته، ويثبت الالتباس والمتشابه امانة لبحثه وللتاريخ الذي يكتب فيه. ان الصيغة العلمية المتبعة هو جمع مثل هذه الملاحظات الخاصة على نحو خاص وابعادها عن المضمون لكي يستفيد منها ذوو الخبرة والاختصاص في اعمالهم العلمية.

انني اذ اختتم هذا البحث التركيبي الذي يجمع ثمرة اتعاب وجهود متفرقة من الدراسة والاغتراب.. آملا ان اكون قد وفقت فيه من جميع النواحي، وقد افدت من خلاله وطني الحبيب، ورجال دولته، وعلمائه ومؤرخيه المختصين من عرب ومستشرقين اضافة الى قراء العربية من المثقفين.. كما ويقيني ان هذا البحث ما هو الا محاولة قد يكتنفها الخطأ والتقصير، وربما ستفيد المؤرخ الذي سيأتي من بعدي ليقدم بحثاً اكثر استقصاءً وافادة واستنتاجاً وصواباً.. مع تكرار شكري الخالص لكل من ساعدني في كتابتي هذا الكتاب، والى الذين ساعدوا في نشره وجعله في متناول القراء.

الملاحـــق

ملحق رقم (١)

تحقيق وترجمة وثيقة دولية باللغة الايطالية
عن حصار الموصل وانتصارها

مقدمة :

تعتبر الوثيقة الايطالية التي ادرج ادناه نصها الاصلي المدون باللغة الايطالية، ثم نصاً مترجماً لذلك النص باللغة الانكليزية، ثم نصاً معرباً لها عن النص الانكليزي المترجم من اهم وانفس وابرز المصادر التي تم اكتشافها مؤخراً، وهي ملحقة بإحدى رسائل استانهوب اسبنول نائب السفير البريطاني لدى البلاط العثماني في العاصمة اسطنبول خلال السنوات الاولى من العقد الرابع للقرن الثامن عشر.

ان هذه الوثيقة النادرة قد ارسلت من اسطنبول الى الحكومة البريطانية مرفقة بالرسالة الدبلوماسية السرية المؤرخة ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني)/ ١٧٤٣ م. [١] وعليه فان هذه الوثيقة تعد من اقرب المصادر السياسية الحية والرسمية عن حصار الموصل ونتائجه، فقد كتبت بعد انتهاء أمد الحصار مباشرة، وانها ارسلت الى الحكومة البريطانية بعد شهر واحد فقط من انتهاء امد الحصار، اذ رأينا بأن الموصل فتحت ابوابها منتصرة يوم ٢٢ تشرين الاول ١٧٤٣ م. [٢]

يقول استانهوب اسبنول في رسالته الدبلوماسية السرية والمؤرخة اعلاه في ٢٠ نوفمبر، والتي ارفقت معها هذه الوثيقة بأنه «في العاشر (من شهر نوفمبر) اطلقت المدافع نيرانها - في اسطنبول - ابتهاجاً بهذه المناسبة الكبرى» [٣] لقد ذكر اسبنول ذلك بعد قوله «ان انتصار الموصل على الايرانيين قد شفى غليل الحكومة العثمانية، وردت روحها اليها بعد ان كان المأزق شديداً والمعضلة كبيرة.. وبمجيء اخبار الانتصارات بعد انقاذ الموصل انفرجت الاشياء

والوجوه بشكل واضح في العاصمة، وساد الارتياح، وعم الرضا بعدما بلغ الاستياء والسخط على الفرس درجة كبيرة». [4] وينهي اسبينول رسالته الدبلوماسية وهو يخاطب حكومته البريطانية التي ارسلت اليها الوثيقة ممثلة بـ «توماس بلهام» دوق نيوكاسل، وهو وزير الخارجية والحربية البريطانية [5] قائلا «انني فخور ان ارسل لسموكم العالي تقدير البلاط العثماني نفسه الذي يعطيه لهذا الحدث التاريخي، والذي ارسل الي البارحة على نحو مميز من ترجمان البلاط العثماني». [6] ويبدو هنا واضحاً لنا ان هذه الوثيقة النادرة قد ارسلت باللغة الايطالية وهي معنونة الى «السكرتير» [7] وهو اسبينول نفسه نائب السفير البريطاني، وقام اسبينول بارسالها نفسها الى حكومته، علماً بأن اسبينول كان هو القائم بشؤون بريطانيا لدى الحكومة العثمانية وذلك في غياب السفير ويتوضح من رسائل اخرى لاسبينول كتبها سنة ١٧٤٧، انه كان يشعر بالغبن من قبل حكومته، نتيجة الاحوال الشخصية والمادية التي كان يعيشها. [8]

اما مسألة لغة هذه الوثيقة، ولماذا كتبت بالايطالية؟، فلم استطع ان اجد تعليلاً لذلك، ولكن من اكبر الاحتمالات ان ترجمان البلاط العثماني كان يجيد اللغة الايطالية مثلما اجادته للانكليزية، او انها ارسلت بالايطالية على نحو خاص وذلك لاعتبارات سياسية او دبلوماسية لها اسباب وظروف خاصة في التعامل الدولي.

الاهمية الدولية للوثيقة:

ان ما يزيد من اهمية هذه الوثيقة كونها لسان حال البلاط العثماني نفسه في تقريره الدولي هذا، وليست كتابة نائب السفير ممثل اعمال بريطانيا والذي اعطت رسائله العديد من التفصيلات عن مؤثرات الحصار الخارجية وعلى الاخص في العاصمة اسطنبول ثم آراؤه السياسية الشخصية التي كان يدفع بها الى حكومته على نحو متواصل بحكم مركزه الدبلوماسي.. اضافة الى كل ذلك فان اسبينول قد نقل حرفياً ورسمياً ما قد حدث، عندما ورده تقرير البلاط العثماني وهو ـ اي البلاط ـ المسؤول الاول عن مضمون هذا التقرير، والذي تمثله هذه الوثيقة التي بين ايدينا. [9] وتصدق رواية الوثيقة نظراً لما ورد فيها من ان اخبارها قد نقلت

رسميا عن التقرير الرسمي لصاحب شأن الحدث والي الموصل نفسه، حينما ارسل بتقريره الرسمي وكان يحادث فيه سيده السلطان العثماني محمود الاول عما حدث تحريرياً، لا سيما وانه مسؤول عما ورد فيه امام اكبر سلطة في الامبراطورية التي كان يمثلها السلطان العثماني نفسه.

من طرف آخر، فان الوثيقة المعنية تعتبر وثيقة دولية تبودلت بين حكومتين كبريين وليست وثيقة دبلوماسية كتبها سفير دولة الى حكومته، اذ وصلت هذه الوثيقة الدولية الى يدي نائب سفير بريطانيا على نحو مميز ـ كما يذكر هو نفسه ـ وذلك اشارة الى اهمية كل من حصار وانتصار الموصل على نادرشاه، ومدى ذلك على المستوى الدولي.. اضافة الى ان انتصار الموصل كان مبعثاً لأفتخار البلاط العثماني به، وتمجيد اعماله والازدهاء بانجازه امام الدول الكبرى كبريطانيا، والتي كانت بطبيعة الحال تصلها تباعاً بحكم اهتماماتها في المنطقة ومصالحها اخبار المجابهة الحربية، وامتدادات نادرشاه العسكرية عبر الرسائل أو الشفرات في نقل المعلومات تلك ويبدو واضحاً ان اهتمام بريطانيا بالمنطقة والاحداث التي كانت تجرى عليها كان كبيراً جداً، وهنا يتوضح لنا ان الحدث الذي مثله حصار الموصل كان على درجة من الخطورة الدولية التي لو جاءت نتائجه معاكسة، واستطاع نادرشاه من اسقاط الموصل واقتحامها، فان امراً عاصفاً كان سيحدث لا محالة في تهديد أمن العالم السياسي والاقتصادي عصر ذاك، نظراً لما كانت تنطوي عليه استراتيجية العراق العظمى والمسالك التي تربط الشرق بالغرب عبر الموصل ذاتها صاحبة القضية ومحور الصراع المتأجج والحار حرباً وحصاراً، والبارد رصداً واهتماماً دولياً.

من هنا نعلم، بأن وثيقة سياسية دولية كهذه التي نتدارسها تمثل لنا مدى الاهمية التي كانت بريطانيا نفسها توليها لاحداث المنطقة ابان تلك الفترة الزمنية من القرن الثامن عشر، وان اطلاع وزارة الخارجية والحكومة البريطانية على ما حدث في الموصل كما شرحته الوثيقة المومى اليها يلقي ضوءاً ساطعاً لما قاد اليه الحصار والانتصار من نتائج كانت لها تأثيراتها الدولية على العالم بأسره آنذاك، وخصوصاً علاقات الشرق بالغرب، والمصالح الاقتصادية للعالم.

ان هذه الوثيقة تبين مدى اهتمام بريطانيا في الشرق الادنى والعراق بشكل خاص ثم مدى رغبتها للابقاء على الحاجات الاقتصادية للعالم والاوضاع الدولية منه لما هو عليه الحال لو وقعت المنطقة في القبضة الروسية، أو مزقتها السطوة

الايرانية الثقيلة والسياسة المجحفة لنادرشاه. ويحدثنا المؤرخ البريطاني (اندرسون) بأنه خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر، كانت فرنسا هي الدولة الاوربية الوحيدة المهتمة بالشؤون السياسية لمنطقة الشرق على نحو كبير.[10] اما بريطانيا، فقد كانت تجارتها كبيرة ومزهرة عبر المنطقة حتى سنة ١٧٣٠، ولكن بعد ذلك بدأت تتوضح اهتماماتها السياسية، وبصورة كبيرة غير مباشرة وخصوصاً في شرق البحر المتوسط واستمر السفير البريطاني لدى استانبول يمارس صلاحياته ممثلاً لمعظم الاعمال لشركة الشرق عن حكومته.[11]

واود ان اوضح بأن المترجم عن النص الايطالي قد ابقى في الانكليزية مصطلح Piazza الايطالي والذي يعني المدينة المسورة، وهو (الموصل).

" la Piazza con numero infinito di Bombe, con-
" tinuando di giorno & di notte, ove gl'assediati ha-
" vevano pena di schivar le pezze avventate dal
" fracasso delle bombe, perseverando con indicibile
" corragio alla difesa, con gittar continuo fuoco
" contro gl'Aggressori, che durò il fuoco d'ambe
" le parti otto giorni & otto notti; & le bombe
" gittate contro la Piazza furono contate sin'
" a settanta milla, oltre delle continue schio-
" pettate. Doppo di che fece lui tagliare il Fiume
" Tigri nella vicinanza del luoco Carà Sarai
" nominato, & voltato nella seconda fiumara,
" & stringendo lui con forza delle truppe continua-
" mente gl'Assediati, quali niente persi di cor-
" ragio, tanto S., come anche il Governatore di
" Aleppo Sua Ecc.[za] Hussein Pascià, con assempio
" militare incoraggivano incessantemente la
" Guarnigione, & attendendo con assiduità al ri-
" paro delle parti rouinate dal Canone del Nemico,
" quale havendo formato delle Mine, & apparecchiato
" fra otto giorni ogni sorte di stromento, & princi-
" palmente 1700 Scale, che fece portare sulle Spalle
" dei suoi Soldati, per l'assalto, & tragittato con
" tutte le sue Truppe il Tigri, per applicar le
" dette Scale alla muraglia, & nel mentre diede
" fuoco alle Mine, le due delle quali, per unica

Providenza

« Providenza divina, voltate indrio sotterrono molto
« numero delle loro truppe, le restanti Mine anche
« resiute senza minima operatione; ciò non ostante,
« sforzò Lui le sue truppe all'assalto, & ad applicare
« le Scale. Ma gl'Assediati furono così benesentanti
« à ributtarli con granate, bombe, & schiopettate,
« facendo continua strage degl'impertinenti Nemici
« durando giorno di Venerdi, persistetò di 7 hore
« d'ambe le parti il combattemento; poi sull'otto
« hore, riuscì alli Nostri per gratia particolare del
« giusto Dio, d'esser superiori & vincitori, havendo pas-
« sati a filo di Spada 5400 Nemici; & le restanti Truppe
« senza più esser capaci di contrastar più all'heroico Cor-
« ragio delli valorosi Nostri Alleati, furono sforzate, &
« fugate, à ricorrarsi al loro Campo, senza esser
« morti più delli nostri che quaranta persone in
« tutto, nell'intiero tempo di quest'Assedio & comba-
« timento. In sostanza ogni trama che fece dal
« principio il perfido Nemico, in tutto riuscirono
« vane le sue tentative, si che divenuto disperato
« finalmente con gran confusione & dissipatione delle
« sue Truppe, non essendo capace di sostenere più in
« questi Contorni, ripassato frettolosamente il Fiume
« Dezzle, si ricovrò verso il suo Clima. Il che,
« dovendosi attribuir alla gratia Speciale di Dio, &
« all'Augusta Fortuna del Nostro Invincibile Monarcha
« siamo obligati alle continue preghieri, acciò si degni la
Divina Maestà, accrescer li suoi Simpli Triomphi.»

(نص الوثيقة المترجم الى الانكليزية عن الأصل)

The Sig. Secretary

In charge of British Affairs in La Porta (Istanbul).

As I am wholly convinced of the satisfaction you will feel in hearing that ambitious Nadir's impious, fraudulent deeds, intrigues, and plots, have been avenged, I have the honour to forward to you the translation of the (report) lately sent to the Sublime Porta (Albab'al-ali) by Hussein Pasha, son of Abdul Jalil, the present governor of Mosul, who writes: "On Saturday the 25th of last month (Rijab) the above-mentioned Nadir Shah arrived at Mosul with a big army and camped near the Piazza near the place known as Prophet Jona's Village. After staying there for some days, on the second of last month (Sh'ban) he himself went all round the Piazza in order to examine its location, and he installed his batteries and dug trenches to lay siege to the Piazza, once his troops had moved closer. On the 4th of the same month he began to shell the Piazza from twelve sides using heavy cannons, and on Friday the 8th, at 10 o'clock he ordered the bombardment of the Piazza from twelve sides with an infinite number of shells, continuing day and night, so that the besieged could hardly avoid the shrapnel from the shells, yet persevering in the defence with inexpressible courage, they kept firing at the attackers. The firing continued from both sides for eight days and eight nights, and up to seventy thousandshells were fired against the Piazza, not to mention the continuous rifle fire. After that he had the river Tigris dammed near a place named Qara Sarai and he manoeuvered under the favourable conditions of the flood. He pressed upon the besieged more and more closely with his troops, but they were not disheartened. The governor of Aleppo, Sir Hussein Pasha, and all the other leaders of the besieged, proving to be brave soldiers, kept encouraging the garrison, and they took assiduous care that the damages caused by the enemy's cannon were re-

paired. For eight days the attackers had been laying mines, and preparing other weapons, and also 1700 ladders suitable for the attack, which were carried by the soldiers. The enemy troops crossed the Tigris, in order to scale the walls usung the ladders, and in meantime they set light to the mines, two of which, by God's will, exploded ing the wrong direction, killing many of their own soldiers: the rest of the mines had a minimal effect. nevertheless he roused his troops to attack and to begin the assault on the walls. But the besieged were very skilful in repelling them with grenades, bombs and shots, and they slaughtered many of their haughty enemies. Throughout Friday, for seven whole hours, the two sides were locked in battle, when, by the special grace of the just God, our troops were victorious, having put to the sword 5400 enemies. The surviving troops, unable to oppose the heroic courage of our brave soldiers were forced to flee, and withdraw to their own camp.

Only forty of our own soldiers died during the whole siege and battle. In conclusion, all the perfidious enemy's plots turned out to be a complete failure, and therefore in despair, faced with the huge confusion and losses of his troops, he was unable to remain in the neighbourhood any logner, and crossed the river Dizzle again in great haste, and turned towards the refuge of his own country. The above events are due to the special grace of God. and to the august fortune of our invincible monarch: we are bound to pray continuously, that the Divine Lord may graciously render eternal his Imperial Triumphs.

(النص المعرّب للوثيقة)

القسطنطينية ٢٠ تشرين الثاني ١٧٤٣

سيادة السكرتير [١٢] - القائم بالشؤون البريطانية لدى الباب العالي

بما انني واثق كل الثقة للارتياح الذي سيغمرك لدى سماعك بانه قد تم الثأر على الخطط والمؤامرات الماكرة والافعال الكافرة لنادرشاه الطموح. لي الشرف ان اقدم لكم ترجمة التقرير الذي ارسل مؤخراً الى الباب العالي من قبل حسين باشا [١٣] ابن [١٤] عبدالجليل الحاكم الحالي للموصل، والذي كتب يقول: في يوم السبت الموافق ٢٥ من شهر رجب الماضي، وصل نادرشاه [١٥] المذكور اعلاه على راس جيش كبير [١٦] الى الموصل، وعسكر مع جيوشه بالقرب من المدينة المسوّرة، قريباً من المكان الذي يعرف بقرية النبي يونس، [١٧] وبعد مكوثه هناك بضعة ايام، قام هو نفسه في اليوم الثاني من شهر شعبان الماضي، فطاف حول (الموصل) المدينة المسوّرة بقصد الاطلاع على موقعها، ثم نصب بطارياته، وحفر المتاريس، وبدأ حصاره لها عندما اقتربت جيوشه منها. في اليوم الرابع من الشهر نفسه، شرع نادرشاه بقصف الموصل المسوّرة من اثني عشر جانباً مستعملاً مدافعه الثقيلة، وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة الثامن من الشهر نفسه امر نادرشاه بقذف المدينة من اثني عشر جانباً [١٨] بعدد لا متناه من القنابل، وبصورة متواصلة ليلاً ونهاراً حتى لم يستطع المحاصرون تجنب الشظايا المتطايرة من فعل القنابل، وعلى الرغم من ذلك، فقد احتفظ المحاصرون في دفاعهم بشجاعة لا توصف، كما واستمروا في اطلاق النار على المهاجمين. [١٩]
لقد دام تبادل اطلاق النار من كلا الجانبين ثمانية ايام وثمان ليال وبلغ عدد القنابل التي القيت على الموصل سبعين الف قنبلة هذا باستثناء انهمار رصاص البنادق المستمر. عمل نادرشاه بعد ذلك على حجز مياه نهر دجلة [٢٠] قرب الموضع المسمى بـ (قره سراي) [٢١] مستفيداً من الاحوال المواتية التي سببها الفيضان. [٢٢] وشدد نادرشاه مع قواته الحصار اكثر فأكثر، ولكن المحاصرين لم يضبط عزمهم اما والي حلب (السير) [٢٣] حسين باشا القازوقجي [٢٤] وجميع قادة المحاصرين [٢٥] الذين اثبتوا انهم جنود بواسل، فقد استمروا يشجعون

حامية القلعة، [٢٦] كما انهم واظبوا على اصلاح الاضرار التي سببها القصف المدفعي [٢٧] للعدو. كان المهاجمون وعلى مدى ثمانية ايام يزرعون الالغام [٢٨] ويحضرون اسلحة اخرى بما في ذلك ١٧٠٠ سلم مناسبة للهجوم والتي حملها الجنود. وقد عبرت قوات العدو نهر دجلة حتى يتسلقوا الاسوار باستعمال السلالم، وبنفس الوقت اشعلوا النار في الالغام، والتي بارادة الله، [٢٩] انفجر اثنان منها في اتجاههم مما سبب قتل عدد كبير من جنودهم، اما بقية الالغام فكان تأثيرها قليلاً. [٣٠] وعلى الرغم من ذلك فقد اثار نادرشاه حماس جنوده للبدء بالهجوم واكتساح اسوار مدينة (الموصل)، ولكن المحاصرين كانوا في غاية المهارة في ردهم العدو مستعملين القنابل اليدوية، والمتفجرات والرصاص، كما انهم ذبحوا عدداً لا يحصى من اعدائهم المتغطرسين، ودامت المعركة محتدمة بين الجانبين لمدة سبع ساعات كاملة من نهار يوم الجمعة عندما احرزت قواتنا انتصاراتها وذلك بنعمة خاصة من الله العادل، بعد ان قتلوا بحد السيف ٥٤٠٠ مقاتل من الاعداء، وقد اجبرت الجيوش المتبقية على الانسحاب الى مخيماتها لعدم قدرتها على الصمود امام شجاعة جنودنا البواسل. لقد استشهد من جنودنا اربعون مقاتلاً فقط طوال مدة الحصار والمعركة. وخلاصة القول: ان جميع خطط الاعداء الكفرة قد باءت بالفشل الذريع، وبسبب خيبة امل نادرشاه ومواجهته لفوضى عظيمة وفقدانه الكثير من قواته، فلم يكن قادراً ان يبق في المنطقة المحيطة مدة اطول فعبر نهر دجلة مرة اخرى على عجل واتجه صوب بلاده متخذاً منها مأوى ان الحوادث المذكورة اعلاه تعزى الى فضل نعمة الله الخاصة، والحظ السامي لمولانا [٣١] الذي لا يقهر. ويتوجب علينا ان نقيم الصلوات المتواصلة داعين الجلالة الالهية ان تديم انتصارات السلطان خالدة على مدى الزمن.

ملاحظات ملحق رقم (١)

1 - Aspinwall, SP, Letter dated 20 November 1743.

٢ ـ انظر موضوع (اصداء الانتصار)، الفصل الرابع من هذا البحث.

3 - Aspinwall, Loc. cit.

4 - Loc. cit.

٥ ـ هو ثوماس بيلهام ـ هولس (Thomas Pelham-Holles) دوق نيوكاسل، ولد في ٢١ تموز سنة ١٦٩٣ م، وتخرج في مدرسة وست ـ منستر، وجامعة كيمبرج. وقد اعقب عمه (جون بيلهام) في دوقيته لنيوكاسل التي لعبت دوراً كبيراً في سياسة بريطانيا خلال القرن الثامن عشر وعلى الاخص، اثناء حكم الملك جورج الثاني الذي خلف العرش بعد الملكة (آن). لقد تولى ثوماس بيلهام ـ دوق نيوكاسل ـ الذي ارسلت اليه الوثيقة عدة مناصب كبرى في الامبراطورية، اذ عين وزيراً للدفاع والحربية، ثم وزيراً للخارجية، ثم وزيراً للمالية بعد ان حصل على لقب (الوزير الاول) في الدولة. ومن خلال عهده لدوقية نيوكاسل استطاعت بريطانيا ان تمد من تحالفاتها السياسية ونفوذها الاستعماري. ان بريطانيا تعتبر ثوماس بيلهام احد ابرز رجالها السياسيين خلال القرن الثامن عشر، وقد كتبت عنه العديد من الكتابات، وعن سيطرة دوقية نيوكاسل على السياسة البريطانية في عهده لها. توفي بيلهام في ١٧ تشرين الثاني ١٧٦٨. انظر عنه:

DICTIONARY of National Biography, Ed. by Sidney Lee, vol. XLIV., London 1895, PP. 257-261. See also, (Reed Browning, The Duke of Newcastle, London 1975.

6 - Aspinwall, Loc. cit.

٧ ـ انظر الوثيقة ـ النص الانكليزي والنص العربي ـ، ويبدأ ملف تركيا عن رسائل وشفرات وكتابات اسبنول الدبلوماسية في دائرة الوثائق الرسمية البريطانية برسالته الاولى المؤرخة في ١١ كانون الثاني ١٧٤٢، وينتهي بآخر رسالة مؤرخة في ٢٤ كانون الثاني ١٧٤٧ م. أي ان فترة بقاء استانهوب اسبينول نائباً لسفير بريطانيا لدى البلاط العثماني في اسطنبول كانت ست سنوات..

٨ ـ يظهر هذا من مذكرته التي رفعها الى (ثوماس بيلهام) دوق نيوكاسل يشكو له فيها قلة راتبه ويطالبه بتعويضات عما كان قد صرفه اثناء اقامته في العاصمة العثمانية. انظر:

(Aspinwall, SP, Letter dated 13 March 1747).

٩ ـ (انظر النص الانكليزي او النص العربي المترجم لاحقاً).

10 - M.S. Anderson, Europe in the Eighteenth Ceftury 1713-1783, 2nd Ed., London 1979, P. 284.

11 - Ibid., P. 284, 269n.

وانظر تفاصيل العلاقات السياسية الاوربية مع الامبراطورية العثمانية عند:
(Lavender Cassels, The Struggle for the Ottoman Empire, 1717-1740, London 1968).

١٢ - هو المستر (استانهوب اسبينول) نائب السفير البريطاني لدى الباب العالي.
١٣ - هو الوزير الحاج حسين باشا الجليلي والي الموصل. انظر موضوع (وقفتنا عند بطل الحصار) في الفصل الرابع من هذا البحث.
١٤ - (ابن) جاءت مكتوبة في الاصل الايطالي (اوغلو) التركية ومعناها الابن.
١٥ - انظر الموضوع العاشر (تطويق الموصل وبدأ الحصار العاتي) في الفصل الثالث من هذا البحث، وملاحظة رقم (١٦٣).
١٦ - بلغ عدد هذا الجيش الايراني الكبير اكثر من ثلاثمائة الف مقاتل. انظر التفاصيل في الموضوع الثاني (تركيبة الجيوش الايرانية وعدتها الاستراتيجية) في الفصل الثالث من هذا البحث.
١٧ - قرية النبي يونس هي القرية التي تحيط بجامع النبي يونس العريق الذي يقوم على رابية عالية مقابل الموصل في الجهة الشرقية من نهر دجلة، وتدعى هذه الرابية بـ (تل التوبة) والذي تقوم عنده آثار السور العظيم للعاصمة نينوى الآشورية. لقد بني هذا الجامع بعد الفتح الاسلامي للموصل سنة ٦٢٧ م/ ١٦ هـ، وكان الضريح تحويه كنيسة قديمة صغيرة. ولقد جدد بناء هذا الجامع في القرن الرابع الهجري من قبل الاميرة العربية جميلة بنت ناصر الدين الحمداني واوقفت له العديد.. وتطور في القرن السادس الهجري تطوراً كبيراً ليشمل على بيوت ومقاصير ومطاهر وسقايات.. ولقد تعرض الجامع المذكور واحيائه المجاورة لغزو نادرشاه الايراني سنة ١٧٤٣ م، اثناء حصار الموصل فنهبت محتوياته واتلفت ستائر الضريح.. فجدد والي الموصل الحاج حسين باشا آثاثه وسجاده بعد رحيل نادرشاه. ويقوم هذا الجامع منتصباً هذا اليوم في الموصل الشرقية الحديثة. انظر ما كتبه عنه (سعيد الديوه جي، جوامع الموصل، ص ٧٣ - ١٠٧)، وانظر (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ ٢، ص ٤٠٤)، وانظر ما كتبه ياسين العمري في مخطوطته (الدر المكنون، نسخة باريس، ن و)، ايضاً (JAOS, op. cit., P. 111).
١٨ - نهاية الورقة الاولى من اصل الوثيقة الايطالي.
١٩ - انظر الموضوع الحادي عشر في الفصل الثالث من هذا البحث.
٢٠ - انظر الموضوع الثاني عشر (الحرب الاقتصادية)، الفصل الثالث من هذا البحث.
٢١ - قره سراي هو قصر الامارة الاتابكية الذي بني شرقي الموصل مطلاً على نهر دجلة وذلك في القرن السادس الهجري.. ولا تزال آثار هذه القلعة العريقة باقية لحد هذا اليوم. ومعنى قره سراي التركية هو (القصر الاسود).
٢٢ - هنا توضح الوثيقة، اذ لم تحدث اية زيادة في مناسيب نهر دجلة ايام الحصار ولو حدثت اية زيادة فان نادرشاه ما كان بمقدوره من نصب جسرين على دجلة، ولم يكن باستطاعته ،اجتياز النهر مع قواته الضخمة ومدافعه وآلياته وفرضه الحرب والحصار العاتي.. من ناحية اخرى، فان المؤرخ ياسين العمري يذكر بأنه لم تحدث اية زيادة في مناسيب نهر

دجلة خلال ذلك العام. انظر (الدر المكنون، نفس النسخة والورقة). وثالثاً، فان الحصار قد وقعت احداثه في فترة ايلول ـ تشرين اول اي خريف سنة ١٧٤٣ م، وخلال هذا الفصل من السنة تنخفض فيه عادة مناسيب نهر دجلة، على عكس ما هو الحال خلال ايام فصل الربيع. هكذا نعلم ان المقصود ـ هنا ـ بالفيضان هو السابق لذلك العام بما تركه من بقايا.. وان ما قصدته الوثيقة بـ «الاحوال المواتية التي سببها الفيضان»، انه كان قليلاً، أي ان منسوب الماء كان قليلاً.

٢٣ ـ هكذا وردت كلمة (السير) في اصل الوثيقة الايطالي نفسه.

٢٤ ـ هو والي حلب الذي تم تعيينه مأموراً للموصل من قبل السلطة المركزية في استانبول، وقد شارك مع قواته المحلية وحرسه الخاص في دفاع الموصل، كما يتوضح ذلك من صفحات الفصل الثالث من هذا البحث.

٢٥ ـ يعني بقادة المحاصرين هم قادة الدفاع ويقف على رأسهم بطّل الدفاع والي الموصل ثم المحافظ الوزير القازوقجي ثم اخو الوالي عبدالفتاح بيك وولدا الوالي مراد بيك ومحمد امين بيك ورجالات الجيش الكبار وهم اغوات الانكشارية ثم قوج باشا قائد اكراد الصوران.

٢٦ ـ يقصد فصائل الدفاع التي اشتركت في العمليات.

٢٧ ـ انظر موضوع (الثغرة وعلاجها) في الفصل الثالث من هذا البحث.

٢٨ ـ استطاع العدو ان يزرع اربعة الغام طويلة داخل انفاق كما وصفها صاحب (الدر المكنون). انظر الموضوع الرابع عشر (محاولة تفجير اسوار الموصل والاقتحام الايراني) في الفصل الثالث من هذا البحث.

٢٩ ـ نهاية الورقة الثانية من اصل الوثيقة الايطالي.

٣٠ ـ انعدم مفعول اللغمين الآخرين بفعل وجود الآبار المحفورة في الخندق الملتف حول الاسوار. انظر (نفس الموضوع السابق).

٣١ ـ هو السلطان محمود الاول ابن السلطان الغازي مصطفى الثاني. ولد سنة ١٦٩٦ م/ ١١٠٨ هـ، ونصّب على عرش الامبراطورية خلال احداث العاصمة الداخلية الخطيرة بعد مقتل السلطان احمد الثالث وذلك سنة ١٧٣٠ م/ ١١٤٣ هـ، وأستطاع ان يحسم جميع الاضطرابات السياسية التي رافقت حركة عصيان بترونه السياسية وشهد عهده تفاقم حدة الصراع السياسي والحربي والايدلوجي مع ايران نادرشاه في الجبهة الشرقية التي مثلها العراق واقاليم شرق الاناضول.. وواجه تحالف الروس مع النمسا ضد دولته، وحملات الروس على كرميا، وحققت امبراطوريته انتصارات كبيرة على النمسا، واسترداد بلغراد ثم عقده لمعاهدة بلغراد، وبدء الأمبراطورية لسياستها السلمية بعد ان فرضت سيادتها الدولية واعادت هيبتها السياسية من جديد وخصوصاً مع النمسا وروسيا. اما على جناحها الشرقي فان حصار وانتصار الموصل يمثل قمة انتصار حقق لها ضد ايران خلال عهد هذا السلطان بعد انكسارات وانتكاسات عديدة مع ايران نادرشاه وعلى الاخص تلك التي انتهى فيها كل من الوزير الاعظم طوبال عثمان باشا والوزير

الكبير عبدالله باشا الكوبرلي والامر الذي يدعو اليه تساؤل المؤرخ في دراسته لـ «حصار الموصل» والحملة الايرانية الكبرى على العراق من قبل نادرشاه خلال عهد هذا السلطان هو ما الذي جعله يقف مكتوف الايدي دون ان يهب مسرعاً لدرء اخطار نادرشاه الزاحفة على العراق والشرق العربي واقاليم اناضوليا؟؟؟ ولماذا بقي حبيس بلاطه مع رجالات امبراطوريته يعاني القلق ويخشى من حدة المأزق واخبار حصار الموصل الخانق تصله يوماً بعد آخر؟؟ حتى يتنسم خبر انتصار الموصل ليحتفل بذلك احتفالاً كبيراً ويطلق المدافع اطلاقاتها... لقد دام حكم هذا السلطان حتى وفاته سنة ١٧٥٤م/ ١١٦٨هـ، ليخلفه على العرش اخوه السلطان عثمان الثالث، اذ انه لم ينجب ولداً، انظر:
(Creasy, op. cit., PP. 350-79); (Shaw, op. cit., vol. 1, PP. 240-46).
وانظر (مادة ـ محمود الاول ـ في الانسكلوبيديا التركية، وانظر الفصل الثاني من هذا البحث).
٣٢ ـ انتهاء الوثيقة في ورقتها الثالثة.

ملحق رقم (٢)

مسالك الموصل الاستراتيجية وخطوطها الاقليمية العراقية

استناداً على خرائط عديدة ومصادر جغرافية وميدانية وتاريخية، ادرج ادناه المسالك الاستراتيجية التي كانت تصل الشرق بالغرب عبر الموصل خلال العصور الحديثة في التاريخ والتي تزامنت في ديمومتها وحركتها الفاعلة والنشيطة مع تواصل الحضارات ومنذ عصور سحيقة في القدم حتى فتح قناة السويس سنة ١٨٦٩ م، اذ فتر نشاط المسالك الافقية التي تربط الشرق بالغرب، في حين بقيت المسالك العمودية على حيويتها [١]، ومحتفظة بنقاطها ومحاورها ومراكزها المدنية، وقد استخدمت هذه المسالك اقتصادياً وعسكرياً وسكانياً..

المسالك البرية:

١ ـ المسلك الاول:

تحدد نقاطه الاقليمية والخارجية على النحو التالي:

الموصل ـ حيدات ـ اسكي موصل ـ ربيعة ـ تل كوجك ـ نصيبين ـ ماردين ـ ديار بكر ـ سيفريك ـ جيرغر ـ حسن المنصور ـ مرعش ـ غازي عينتاب ـ تل حمدون ـ ادنه ـ جولك ـ اركلي ـ قره بينار ـ اسماعيل ـ قونية ـ آق شهر ـ اسكي شهر ـ ازنيق ـ ازميت ـ استانبول.

يعتبر هذا الخط الهام من الخطوط العمودية، اما استراتيجياً فقد كان ولا يزال يربط العراق بأوربا عبر استانبول، وتقع مراكزه الاقليمية العراقية على الامتدادات الغربية لنهر دجلة ثم يخترق سلاسل جبال طوروس وغرب اناضوليا. (انظر مسلك رقم ١ في الرسم التوضيحي).

٢ ـ المسلك الثاني:

تتحدد نقاطه الاقليمية والخارجية على النحو التالي:

الموصل ـ نينوى ـ بعويرة ـ فلفيل ـ سميل ـ زاخو ـ (عبور دجلة) نحو مديان ـ

حد سنكيف - ماردين - سيوه رك - ديار بكر - ارغني - خربوت - بالو - مازكرد - ارضروم وباطوم (على البحر الاسود).

يعتبر هذا الخط الهام ايضاً من الخطوط العمودية، ويربط العراق استراتيجياً بالبحر الاسود وموانئه، وتقع مراكزه الاقليمية العراقية على الامتدادات الشرقية لنهر دجلة ويخترق جزيرة ابن عمر العربية الاصل وتخومها الجبلية، والعديد من روافد و قنوات دجلة كما انه يتصل بمسالك اخرى خارج العراق نحو استانبول عبر سيواس - طوسيا - ازميت (انظر مسلك رقم ٢ في الرسم التوضيحي).

٣ - المسلك الثالث:

وهو من المسالك الاقليمية لاقليم الموصل وتتحدد نقاطه على النحو التالي:

الموصل - نينوى - بعويره - تلكيف - باطناية - تلسقف - القوش - جبل القوش - دهوك - الجبل الابيض. ويمتد منه الخط المعروف اليوم الذي يصل العمادية عبر زاويته - بامرني في ممر جبلي.

يعتبر هذا الخط من الخطوط المحلية، وهو خط عمودي لأغراض التجارة الاقليمية (انظر مسلك رقم ٣ في الرسم التوضيحي).

٤ - المسلك الرابع:

تتحدد نقاطه الاقليمية والخارجية على النحو التالي:

الموصل - نينوى - عبور وادي الخوسر - خرسبات - جروان - عين سفني - مرقد الشيخ عدي بن مسافر - (جبل باعذرا) - موسكان - زاويته - بامرني - العمادية - منفذ كاني ماسي الجبلي - جبال حكاري - وان - بايزيد - ارارات - اريفان (العاصمة الارمينية) - ذوره باغ - تفليس - ترانس قوقاسيا. ويمتد الخط منها نحو موسكو ثم بيترسبورغ.

يعتبر هذا الخط من الخطوط العمودية الهامة، والذي يربط العراق بأرمينية وقوقاسيا وترانس قوقاسيا ثم روسيا، وتقع معظم نقاطه الاقليمية في جبال العراق الشاهقة كما وانه ذو اهمية كبيرة من الناحية الاقليمية لأنه يشد الجبال بالسهول وعلى الاخص سهل الموصل، اضافة الى كونه يجتاز العديد من القنوات المائية والقرى والمراكز المتفرقة، وهو ذو تعرجات كثيرة. (انظر مسلك رقم ٤ في الرسم التوضيحي).

٥ ـ المسلك الخامس :

وهو من المسالك الاقليمية للموصل، وتتحدد نقاطه على النحو التالي :

الموصل ـ نينوى ـ اكوكجلي ـ طوبزاوه ـ جبل باعشيقا ـ عبور نهر الخازر ـ برده رش ـ عقره ـ زيبار، ويتفرق في التخوم العالية من جبال شمال العراق.

يعتبر هذا المسلك من الخطوط المحلية، وهو شبه عمودي، واستعمل لاغراض التجارة المحلية، وكان فعالاً جداً خلال القرن الثامن عشر بحكم تأثيرات امارة بهدينان العباسية التي كانت تزاول سلطاتها على المناطق الجبلية بين كل من خط المسلك الرابع والمسلك الخامس (انظر مسلك رقم ٥ في الرسم التوضيحي).

٦ ـ المسلك السادس :

تتحدد نقاطه الاقليمية والخارجية على النحو التالي :

الموصل ـ نينوى ـ برطلي (فرع نحو كرمليس) ـ الحمدانية ـ الكلك (عبور نهر الخازر) ـ عبور نهر الزاب الكبير ـ اربيل ـ قرية رشوان ـ وادي بره برووش ـ بابجيجيك ـ تخم باباك ـ (عبر سهل حرير) ـ خليفان ـ منطقة زك زاك ـ راوندوز ـ دير كالا ـ ديربند ـ رايات ـ مفصل كاليه شين الجبلي ـ (عبور نهر ليفان) ـ ساوج بولاق ـ (المسماة اليوم مدينة مهاباد) ـ مراغه ـ تبريز (عاصمة اذربيجان) ـ نحو اردبيل ومنها الى بحر قزوين.

يعتبر هذا المسلك الاستراتيجي من المسالك الافقية، ويتميز بطوله وتعرجاته ومنعنياته الجبلية، وكثرة قصباته ونقاطه وخصوصاً المراكز الاقليمية داخل كردستان العراق، ثم عبوره للعديد من الروافد والينابيع والقنوات والاخاديد، وهو المسلك الذي يرتبط بالمسلك الاستراتيجي العراقي عند نقطة اربيل (انظر مسلك رقم ٦ في الرسم التوضيحي).

٧ ـ المسلك السابع :

وهو مسلك شمال العراق الاستراتيجي الذي تتحدد نقاطه على النحو التالي :

الموصل ـ نينوى ـ برطلي ـ الحمدانية ـ الكلك وعبور كل من الخازر والزاب الكبير ـ اربيل ـ التون كوبري (عبور نهر الزاب الصغير) ـ كركوك ـ تيلل ـ طاووق ـ طوزخورماتو ـ كفرى ـ قره تبه ـ دلي عباس ـ بغداد الشرقية.

يعتبر هذا المسلك الهام من المسالك العمودية التي اثرت في تاريخ العراق، اذ كان هذا الخط شرياناً برياً للرقعة الشمالية التي تربط بغداد باوربا عبر الموصل ويسمى (طريق شهرزور القديم)، وقد بقي هذا المسلك فعالاً على امتداد آلاف السنين حتى بدايات القرن العشرين والعقود الاخيرة حيث قلت اهميته الكبرى بالاعتماد على مسلك غرب النهر، ويتميز طريق شهرزور القديم بمروره بمراكز مدنية كبيرة وفروعه الكثيرة نحو العديد من الاماكن والمنافذ الهامة واهم تلك الفروع هي :

١ ـ خط اربيل ـ كويسنجق ـ زانيه ـ سنجه سر ـ قلعة دز ـ سره دشت ـ ساقز (الايرانية) ـ نحو بيجار ـ زانجان ـ قزوين ـ طهران. . . ويتصل هذا الخط افقياً بالموصل (انظر مسلك رقم ٧ في الرسم التوضيحي).

٢ ـ خط كركوك ـ جمجمال ـ جارمو ـ السليمانية ـ اربات ـ حلبجه ـ ثم (يدخل الاراضي الايرانية) ليصل سنا (سونا ندج) ـ همدان ـ قم. . . . وهو خط شبه افقي في اتصاله بالموصل (انظر الرسم التوضيحي عن منفذ حلبجة).

٣ ـ خط ديالى ـ المقدادية ـ جلولاء ـ خانقين ـ قصر شيرين ـ زهاب ـ ساربولى زهاب ـ كرند ـ كرمنشاه. يلتقي هذا الخط مع طريق شهرزور القديم عند ديالى وهو من مسالك بغداد الشرقية (انظر الرسم التوضيحي عنه).

٤ ـ خط ديالى ـ بلدروز ـ مندلي ـ سومار ـ عيلام ـ خرم آباد ـ اصفهان. . يلتقي هذا الخط ايضاً مع المسلك الاستراتيجي عند ديالى، وهو اضعف واقل اهمية في الجغرافية التاريخية منه لما كان عليه الخط الذي سبقه والمتصل بكرمنشاه، ويعد هذا الخط ايضاً من مسالك بغداد الشرقية. (انظر الرسم التوضيحي عنه).

٨ ـ المسلك الثامن :

وهو مسلك اقليمي ذات اهمية قليلة تتحدد نقاطه على النحو التالي :

الموصل ـ نينوى ـ يارجه ـ السلامية ـ النمرود ـ دير ماربهنام (قرية الخضر والبساطليه) ـ (عبور نهر الزاب الكبير) الكوير ـ ديبكه ـ التون كوبرى (او مباشرة نحو كركوك) (انظر الرسم التوضيحي، مسلك رقم ٨)، ويعتبر من المسالك الافقية.

٩ ـ المسلك التاسع :

وهو مسلك اقليمي يربط الموصل ببغداد على امتداد شرق النهر في نقاط تتحدد على النحو التالي :

الموصل - نينوى - يارمجه - السلامية - النمرود - (عبور نهر الزاب الكبير) الكوير - مخمور - جومشين - (عبور الزاب الصغير) الحويجه (يتفرع عندها خط نحو كركوك شرقاً) - ثم يمتد الخط النازل لبغداد الى الدور - سامراء - دلتاوة - الخالص - بغداد.

يتميز هذا المسلك كونه خطاً عمودياً مباشراً، ولكنه ليست له اهمية كبيرة كونه يخترق جبال حمرين القفراء والخالية من مراكز التوطن، وعليه فان الاهمية اكبر باستعمال فرع هذا المسلك الذي يصل الحويجة - كركوك والاتصال بالمسلك الاستراتيجي للتخلص من مرتفعات حمرين (انظر مسلك رقم ٩ في الرسم التوضيحي).

١٠ - المسلك العاشر:

وهو مسلك اقليمي يربط الموصل ببغداد على امتداد غرب نهر دجلة في نقاط تتحدد على النحو التالي:

الموصل - حمام العليل (= دير القيارة) - تل حسونه - الشورة - الكياره - الهوابش - جرناف - شرقاط - تلول الباج - بيتجى - وهدة الخانوكه - تكريت - الدجيل - الكاظمية - بغداد الغربية (= الكرخ).

يتميز هذا المسلك بخطه العمودي، وهو من الخطوط الاقليمية، ويعتبر اكثر اهمية من المسلك الاقليمي التاسع المحاذي لشرق النهر، ولكنه اقل اهمية من المسلك الاستراتيجي السابع (= طريق شهرزور القديم)، وذلك خلال تضاعيف العصور الحديثة من تاريخ العراق. . وازدادت اهمية المسلك العاشر خلال هذا القرن واصبح هو الخط الاستراتيجي اليوم. واعتقد ان ازدياد اهمية هذا المسلك خلال تاريخنا المعاصر تعود اسبابه الى:

١ - انشاء سكة حديد برلين - بغداد عبر اسطنبول - طوروس - الموصل نزولاً الى بغداد غرب نهر دجلة ساعد على اقامة محطات ومراكز له.

٢ - انه كان المسلك الرئيسي الذي اخترقته قوات الاحتلال البريطاني في اكمال سيطرتها على العراق واحتلال الموصل سنة ١٩١٨ م.

٣ - ازدياد التوطن السكاني وتركز السيطرة الحكومية جعله اكثر امناً من عمليات السلب والنهب التي كانت تتعرض لها القوافل المارة فيه وخصوصاً في فلواته وخلواته.

وعليه فقد تطورت الحركة في هذا المسلك وبشكل فعّال، ويتميز بانبساط ارضه واستقامته، لذا فهو اقصر المسالك التي تربط الموصل - بغداد (انظر الرسم التوضيحي، مسلك رقم ١٠).

١١ ـ المسلك الحادي عشر:
وهو مسلك اقليمي تتحدد نقاطه على النحو التالي:
الموصل ـ تل عبطه ـ معبد الحضر ـ وادي الاحمر ـ وادي الثرثار ثم صحراء (بادية الجزيرة) الخالية من مراكز الاستيطان حتى ـ عنه.

وهو خط شبه عمودي ليست له اهمية خاصة، ولكنه يلتقي مع مسلك بغداد ـ حلب الصحراوي، كما انه حلقة وصل الموصل بنهر الفرات، وهو غير مطروق من قبل القوافل ولكنه تطرقه وتستعمله القبائل البدوية الرحل (مسلك رقم ١١ الرسم التوضيحي).

١٢ ـ المسلك الثاني عشر:
وهو خط صحراوي خال من المراكز المهمة يربط الموصل بالبعاج وتطرقه بعض القوافل الآتية من دير الزور أو الرقه وهو مسلك افقي.

١٣ ـ المسلك الثالث عشر:
وهو مسلك استراتيجي تتحدد نقاطه الاقليمية والخارجية على النحو التالي:
الموصل ـ وادي العقاب المتصل بحاوي الكنيسة (شمالي الموصل) ـ بوماريا ـ تلعفر ـ ام الشبابيط ـ كوكممك ـ سنجار ـ وردية ـ الحسكة ـ خور الخابور ـ دير الزور ـ الرقه ـ عبور نهر الفرات ـ حلب ثم البحر المتوسط.

يعتبر هذا المسلك الافقي ذا اهمية استراتيجية خارجية في ربطه العراق بالبحر المتوسط والشرق بالغرب عبر الموصل، ويتميز بانبساطه وخصوصاً بعد تركه جبل سنجار وراءه، اضافة الى ان هذا المسلك هو حلقة الوصل الطبيعية بين كل من الموصل ـ حلب وبلاد الشام من خلال العلاقات الاقتصادية والارتباطات السكانية ونزوح القبائل الرعوية على خطوط هذا المسلك الهام، اضافة الى كونه حلقة وصل بين نهر دجلة ونهر الفرات. . (انظر مسلك رقم ١٣ في الرسم التوضيحي).

المسلك النهري:
وهو شريان العراق الازلي الذي يربط اناضوليا عن طريق نهر دجلة بالخليج العربي والبحر العربي والمحيط الهندي. (راجع عنه توضيحنا له سلفاً انظر الفصل الثاني «استراتيجية المواصلات الجغرافية والاقتصادية والبشرية» موضوع «الملاحة النهرية» وانظر النقاط والوقفات في هذا المسلك النهري بين الموصل ـ بغداد).

مصادر ومراجع الملحق الثاني

اعتمدت في كتابتي للملحق اعلاه والخاص بمسالك شمال العراق الاستراتيجية على المصادر والمراجع ادناه:

١ ـ ياقوت الحموي، معجم البلدان. . ، تحقيق، وستفلد، المجلدات الستة، ليبزك ١٨٦٦.

٢ ـ اولياء جلبي، محمد ظلي بن درويش، سياحتنامه، اربع مجلدات، اسطنبول ١٣١٤.

٣ ـ ياسين الخطيب العمري، منية الادباء، سبق ذكره، موضوع (في ذكر ما للموصل من القرى والحصون)، ص ١٢٧ ـ ١٦٨.

٤ ـ محمد اشرف، مكمل ومفصل جغرافياى عمومى اطلاسى، اسطنبول ١٣٢٤.

٥ ـ احمد رشيد، خريطة لى ورسمل مكمل تاريخ عثماني، جزءان، اسطنبول ١٣٢٧.

6 - Thomas Howel, A Journal of the Passage from India by a route partly unfrequented through Armenia and Natolia or Asia Minor, London 1789.

7 - Walter B. Harris, From Batum to Baghdad, London (MDCCCXCVI).

8 - J. Buckingham, Travels in Mesopotamia, London 1827.

9 - A. Dupre, Voyage en Perse, Paris 1819.

10 - Col. Chesney, The Expedition for the Survey Rivers Euphrates and Tigris, vol. I, London 1850.

11 - Ives, A Voyage from England to India, London 1760, (MDCCLXXIII).

12 - Augustus H. Keane, Asia with Ethnological-Appendix-ed. by: Sir Richard Temple, London 1882.

13 - Lord Warkwarth, Notes from A Diary in Asiatic Turkey, London 1898.

(في الكتاب اعلاه، تفاصيل عن الممرات الجبلية والقنوات المائية للمسالك الرابع)

14 - E. Bretschneider, Medieval Researches from Eastern Asiatic Sources, vol. II, London, n.d.

15 - C. Niebuhr, op. cit., vol. 2, PP. 239-322.

16 - C. Rich, op. cit., vol. 2, PP. 301-69.

17 - Dr. M.R. Al-Feel, The Historical Geography of Iraq, between the Mongolian and Ottoman Conquests 1258-1534, vol. I, Nejef 1965.

18 - J. Otter, op. cit., vol. 2. P. 112.
19 - J. Jackson, op. cit., PP. 29-86.
20 - J.M. Kinneir, op. cit., Chap. 3,4,5, and 6.
21 - P. Kemp, op. cit., fol. 70-96.

٢٢ ـ دومينيكوا لنزا، المصدر السابق، ص ١٧ ـ ٢٩ .

23 - Pitcher, op. cit., Map No. (XXV), and Map No. (XXXII).
24 - J. Ussher, op. cit., the last Chap.
25 - R. Pococke, A Description of the East, London 1743.
26 - Sir R.K. Porter, Travels in Georgia, Persia, Armenia, Ancient Babylonia, London 1822.

ان معلومات الكتاب الجغرافية تختص بتفاصيل منافذ العراق الوسطى نحو ايران، وعلى الاخص المسلك الاستراتيجي للعراق رقم (٧)، وخط خانقين. (راجع الجزء الثاني منه).

27 - (JAOS), op. cit., vol. No. 2, 1851.
28 - Sir M. Sykes, Through five Turkish Provinces, London 1900.
29 - R. Olson, op. cit., Chap. No. 1 "The Geographical and Strategic Importance of the Eastern Provinces and Mosul..."

وانظر خارطة (اولسن) المرفقة بكتابه ضمن الفصل الاول المذكور اعلاه «الاهمية الاستراتيجية والجغرافية للاقاليم الشرقية والموصل»

30 - Binder, Au Kurdistan, en Mesopotamie et en Perse, Paris 1887.
31 - E. Herzfeld, Archaeologische Reise in Euphrat und Tigris Gebiet, vol. III, Berlin 1920.
32 - J. Bell, Travels from St. Petersburge in Russia to Diverse Parts of Asia, London 1764.

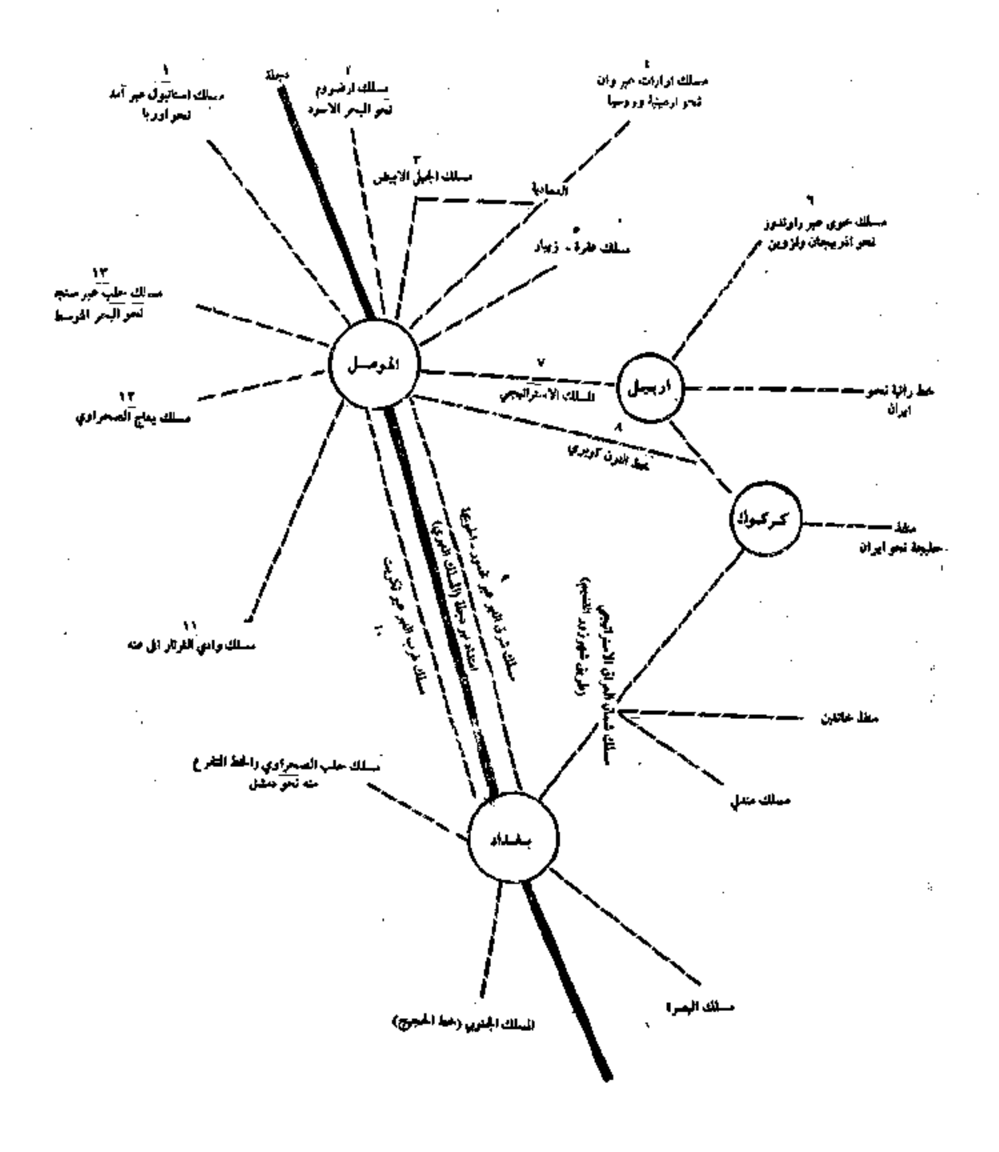
(راجع في جزئه الثاني ما يخص اتصال العراق ببطرسبورغ في روسيا عبر المسلك الرابع، الموصل ـ ارارات ـ ارمينية).

33 - The Geographical Journal, vol. 118, 1952.
34 - W.G. Moore, The Penguin Encyclopedia of PLACES, Britain 1978.
35 - Guy LeStrange, The Lands of the Eastern Caliphate, London 1905; or the new copy ——— New York 1966.

٣٦ ـ صديق الدملوجي، امارة بهدينان أو امارة العمادية، الموصل ١٩٥٢ .

37 - G.L. Bell, SYRIA The Desert The Sown, London 1919.

38 - Encyclopedia of Islam, lst. and 2nd ed.
39 - Islam Ansiklopedisi, Istanbul (in Progress).
40 - The New Encyclopedia Britannica, vol. V, London 1974.
٤١ - سيار الجميل، دراسة في السيطرة العثمانية على الموصل واقليم الجزيـرة سنة ١٥١٦ م وبدايات الصراع العثماني - الايراني. . ، مجلة (بين النهرين) عدد ٣٠، الموصل ١٩٨٠ .



دايكرام جغرافي بالمسالك الاستراتيجية للعراق

ملحق رقم (٣)
(الانذار الايراني الاول لحكومة الموصل)

ادناه نص الانذار الايراني الاول لحكومة الموصل الذي حرره الامبراطور نادرشاه الى الموصل بعد اسقاطه اربيل، وقد كتبه مستشاره الدين ملا باشي علي اكبر بأمر مولاه ووجهه الى مفتي الموصل السيد يحيى افندي الفخري سنة ١٧٤٣ م/ ١١٥٦ هـ :-

بسم الله العلي الأعلى الموصل الى مدارج العلى

هذا كتاب منا الى العالم النبيل، والنحرير الجليل، يحيى المفتي أحياه الله كما يشتهي ويتمنى، وصانه من كل طارق وبلوى، والى قاطبة قاطني الموصل، حفظهم الله من الصيب والوابل، كي أيقظهم من رقدة الغفلة، وسنة العثرة، ويزيل عنهم الوحشة والدهشة، فليستمعوا ولينصتوا استماع قبول واذعان وايقان واتقان، عسى ان ينجوا ويفرحوا. لا تلقوا وراء ظهوركم القاء تمنت وطغيان، تحزنوا وتندموا.

واعلموا اخواني المؤمنين، أنا جند الله خلقنا من رحمته وغضبه، فالبشرى ثم البشرى لمن اتبعنا وهوانا، والنذرى ثم النذرى على من خالفنا وعصانا، أو ليس لكم في آثار الماضين تبصرة ومعتبراً، الا فتذكروا اخبار الهند والسند والترك في انموذج وصل اليكم وقائعهم وملاحمهم ووقائع جيرانكم من اهل كركوك وما والاها، كيف تمتنوا فتندموا ثم أطاعوا فنجوا فهم ذوو الحظ في جلباب امن وامان وشفقة ودعة وامتنان، ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة، «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» لا تقدرون على الدفاع، فلا تعرضوا اعماركم للانقطاع بالقاء شبه من جهلة لا الخير يعرفون من الشر، ولا الخير من الاثر فكما قال عز من قائل «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان».

وورد في الحديث الشريف «ان من فرج كربة عن اخيه المؤمن فرج الله عنه سبعين كربة، ومن رأى أخاه في حفرة (فانجاه) انجاه الله من النار». وديت اليكم كتابي وصحيفتي مع السيدين النجيبين الفخيمين قاضي كركوك وحسن افندي وصحبته محمد افندي ومصطفى اغا يوصلونه اليكم ويرشدونكم الى الصواب، ويحذرونكم من العقاب، فعليكم ان تنظروا اليه بعين الانصاف، متجنبين عن التمنت والاعتساف، واستقبلوا السلطان العادل الكامل الرؤوف والخاقان الاعظم العطوف أدام الله عز جلاله على مفارق العالمين، تفرحوا وتسروا، فان

همته العلية العالية معروفة بالتشفق والاستعطاف، وما له مباغضة ولا معاندة لسلطانكم السلطان ابن السلطان والخاقان ابن الخاقان ثاني اسكندر ذي القرنين خادم الحرمين الشريفين السلطان الغازي محمود خان ادام الله ظلال جلاله طمعاً في ملكه ورعيته، بل همته العلية الشاهنشاهية مصروفة بحفظ ملكه ورعيته أكثر من اهتمامه بملك نفسه، لكن صارت بينهما شبهات دينية شرعية، وعقد ملّية يسهل الله حلها ويقي الله المسلمين شرها، فلا تعرضوا أنفسكم لنزول نيران غضبه وشدة بطشه وسخطه، انما علينا البلاغ وعليكم الحساب فعلينا اتمام الحجة الغراء، وعليكم سلوك المحجة البيضاء، وليبلغ الشاهد منكم المستمع لكتابنا الغائب.

والسلام على من اتبع الهدى.

(مصادر هذه الوثيقة)

١ ـ النص الخطي الذي كتبه المؤرخ محمد امين الخطيب العمري على حاشية مؤلفه (منهل الاولياء)، والذي نشره محققه سعيد الديوه جي في ملحق خاص. انظر (المنهل. . ، جـ ١، ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦)، وانظر نسخة مخطوطة اخرى من (المنهل. . ، في مكتبة المتحف البريطاني رقم Or. ٢٤٢٩).

٢ ـ سالنامة الموصل، الصادرة سنة ١٣٠٨ هـ/ ١٣٠٦ رومي، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

٣ ـ سليمان صائغ، تاريخ الموصل، جـ ١، ص ٢٨٠.

٤ ـ عماد رؤوف، الموصل في العهد العثماني (فترة الحكم المحلي)، ملحق رقم (٥)، ص ٥١١ ـ ٥١٣. ومن الجدير بالذكر، ان د. رؤوف اعتمد على صورة هذه الوثيقة ضمن مجموع مخطوط، محتفظ به مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب في جامعة بغداد تحت رقم (٤٤).

٥ ـ وهناك صورة اخرى من هذه الوثيقة، ضمن مجموع خطي آخر محتفظ به مكتبة يحيى باشا الجليلي في الموصل.

٦ ـ اما عن مفتي الموصل السيد يحيى افندي الفخري والذي ارسل اليه الكتاب، فراجع عنه وترجمته: (المنهل، جـ ١، ص ٣٢٥)، (المرادي، سلك الدرر، جـ ٤، ص ٢٣٣)، (مخطوط الدر المكنون)، (الشمامة، ص ١١٣ ـ ١١٤).

ملحق رقم (٤)

(جواب حكومة الموصل على الانذار الايراني الاول)

ادناه نص جواب حكومة الموصل الذي حرره والي الموصل الوزير الحاج حسين باشا الجليلي بمشاركة المحافظ الوزير حسين باشا القازوقجي . . رداً على كتاب نادرشاه، وقد ارسل الجواب السيد يحيى افندي الفخري ـ مفتي الموصل ـ الى ملا باشي علي اكبر، المستشار الديني لنادرشاه :

بسم الله وما اعتصامنا الا بالله، ومن لاذ بكهف كفايته كفاه وحماه

هذا كتاب فصلت آياته وتحدثت معجزاته وظهرت شواهد دعوته وبيناته ظهور نار القرى ليلاً على علم بل هو اشهر، كجلمود صخر حطّه السيل من عل الى ملا باشي علي اكبر، اجرى الله بذباب صمصام قهره من انف رعونته قطرات الشرور المتصاعدة الى صماخ دماغه من ابخرة النخوة والغرور، واخمد شرارات تلك النية الفاسدة بصرصر الدمدمة الالهية كما اهلكت عاد بالدبور.

وصل كتابكم المرسول الى العامة المشتمل بزعمكم على الطامة، «فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور»،مفتخرين به بانكم جند الله مخلوقون من الغضب «تبت يدى ابي لهب وتب، ما اغنى عنه ماله وما كسب»، فاجابوا حين قرئ على رؤوس الاشهاد، وشاهدوا ما انطوى عليه من الابراق والارعاد، واحاطوا بما اودعتموه من الانذار والايعاد. نعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم «وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعوننا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل فإنا عاملون» فالعياذ بالله، امن بعد ايماننا وطاعتنا لسلطاننا والمقاتلة دون اموالنا والمكافحة عن اولادنا وعيالنا يهولنا منكم شقاشق اللسان ويروعنا سحر البيان ووسوسة الشيطان وكثرة الهذيان.

قام الحمام على البازي يهدده	واستصرخت باسود البر اضبعه
يا من يسد فم الافعي باصبعه	يكفيه ما قد يلاقي منه اصبعه

فما وعيدكم عندنا إلا كصرير باب، أو كما طن في لوح الهجير ذباب، افرأيتم ان القصاب يهوله كثرة الغنم، أو الاسد الغشمشم يدهشه تراكم النعم، تذكّروننا بما فعلتم بالسند والهند مع اولئك العلوج، وما سطوتم على الترك بقية يأجوج وماجوج، وتدهشوننا بما فتحتم من قلعتي كركوك واربيل، وترعبوننا بأمثال هاتيك

الاباطيل ،كلا ستعلمون، ثم كلا سوف تعلمون». انرتاع بالقراع، ونحن الاسود الضارية، والسباع الكواسر العادية، اسيافنا صقيلة، وسطوتنا ثقيلة، وحلومنا رزينة، وقلوبنا كالحديد متينة، وبلدتنا بحمد الله حصينة.

لنـا جبـل يحتلـه مـن نجيـره منيـع يـرد الطـرف وهـو كليـل

ستر العرش مسبول علينا، وعين الله ناظرة الينا، بحول الله لا تقدرون علينا وذلك بعناية الله ووفور عددنا واعدادنا، موصود بصياتنا وامدادنا، من طرف سلطاننا باهر السطوات، عظيم الهمة والخطوات، كهف الاسلام والمسلمين، حامي حوزة الدين، حافظ بيضة الايمان والمؤمنين، سلطان البـرين وخاقـان البحرين وخادم الحرمين الشريفين، ذو السطوات الخاقانية التي لا تبـاري، والعزمات القانية التي لا تجاري، سلطان سلاطين الآفاق، والقاهر بأمـر الله لاعدائه على الاطلاق، قهرمان الماء والطين، ظل الله تعالى في الارضين، فسوف يمدنا بجنود لا قبل لكم بها، فترجعون على الاعقاب ناكصون، ويخرجكم منها اذلة وانتم صاغرون. فكيف تهددوننا وانتم لعظمة شوكة العثمانية تعرفون، وما تخوفونا وكأنكم لذلك محققون، ويما ... تشهدون «وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون». فيا لله العجب، كيف منا الطاعة تؤملون، والدخول في ربقة الخيانة تطلبون، ونحن اباً عن جد بأنعام سلطاننا المظفر متقلبون، وبفواضل احسانه متسربلون.

ورثنـاهـن عـن آبـاء صـدق ونـورثـهـا اذا متنـا البنيـن

مع انا من خاصة اهل السنة والجماعة، فلا سمعاً لكم ولا طـاعة، واهـلاً بالشهادة والسعادة هذه الساعة.

ردى حياض الردى يا نفس واتركي حيـاض غير الـردى للشاء والنعم

فما بيننا الا ما صنع الحداد، من سيوف حداد، ورماح حداد، ويفعل الله جل شانه ما اراد.

حرر عن لسان خادم اعتاب الدولة العثمانية الحاج حسين باشا الوزير الجليل والي مدينة الموصل المحروسة، وحسين الوزير والي حلب الشهباء، ومحافظ البلدة المحروسة، وكافة وجوه البلد وعوامها والسلام.

(مصادر هذه الوثيقة)

١ - النص الخطي الذي كتبه المؤرخ محمد امين الخطيب العمري في كتابه (المنهل) الـ ، ذكره، وعلى حاشيته، وقد حقق هذا الجواب ايضاً محقق المنهل الديوه جي في ملحق رقم (٢)، جـ ١، ص ٣٢٦ - ٣٢٨. ويعتبر هذا النص من اوثق النصوص لهذه الوثيقة.

٢ - وانظر (سالنامة الموصل، الصادرة في سنة ١٣٠٨ هـ/ ١٣٠٦ رومي، ص ٢٦٤ - ٢٦٦).

٣ - س صائغ، تاريخ الموصل، جـ ١، ص ٢٨٣، الذي اعتمد في تضمينه كتابه لبعض الفقرات من هذا الجواب على مخطوطة (المنهل).

٤ - عماد رؤوف، الموصل في العهد العثماني. . ، ملحق رقم (٦) في تحقيقه لهذا الجواب، معتمداً على النسخة الخطية في مجموع مكتبة الدراسات العليا التابعة لكلية الآداب في جامعة بغداد تحت رقم (٤٤). وهناك بعض الفقرات محذوفة أو ناقصة في جواب هذه الوثيقة التي حققها د. رؤوف، مقارنة لما يبدو عليه نص المنهل والسالنامة الرسمية.

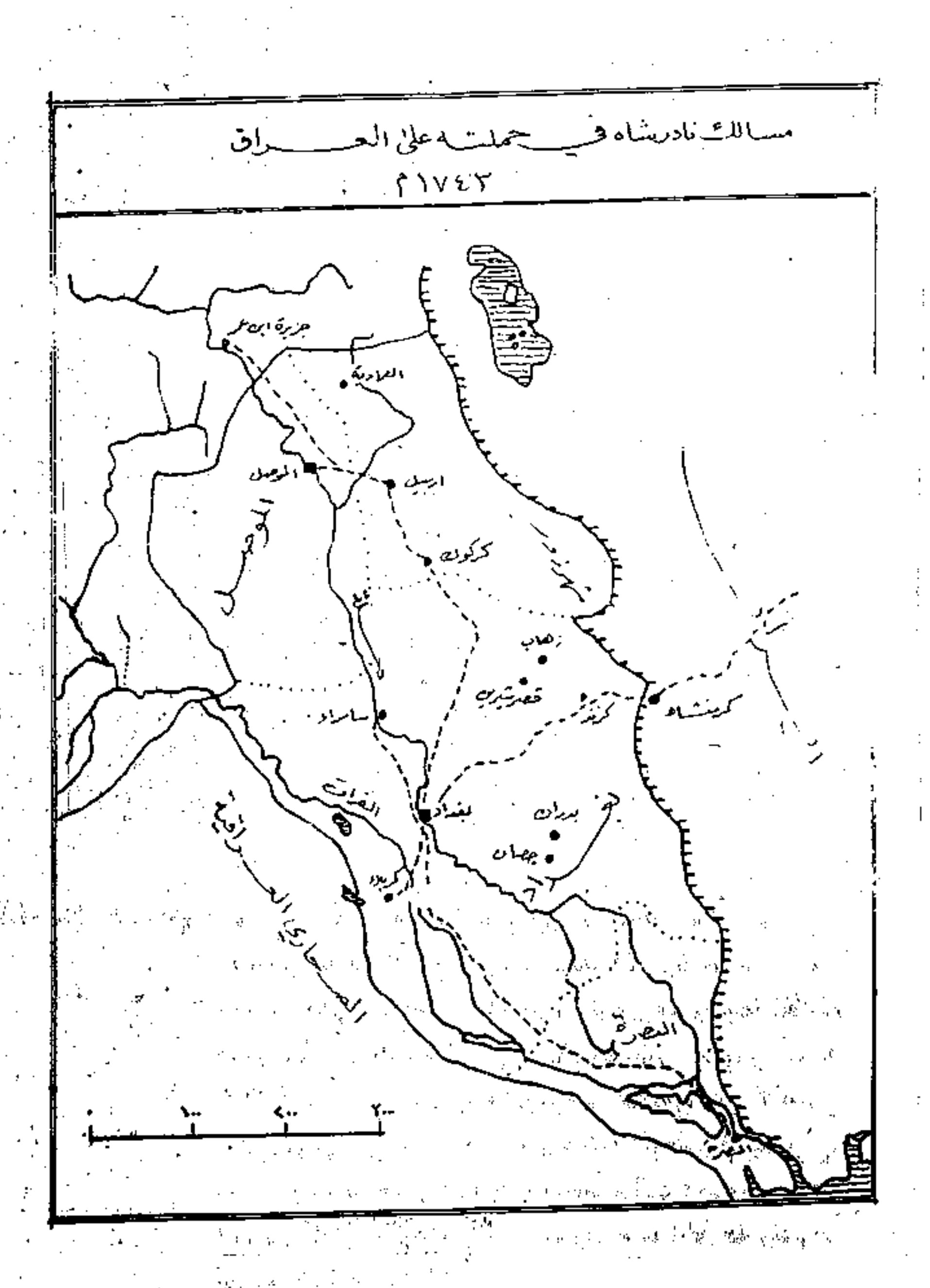
ملحق رقم (٥)
(الخرائط)

ملاحظة: حقوق نشر الخرائط ادناه محفوظة لمؤلف الكتاب فقط.

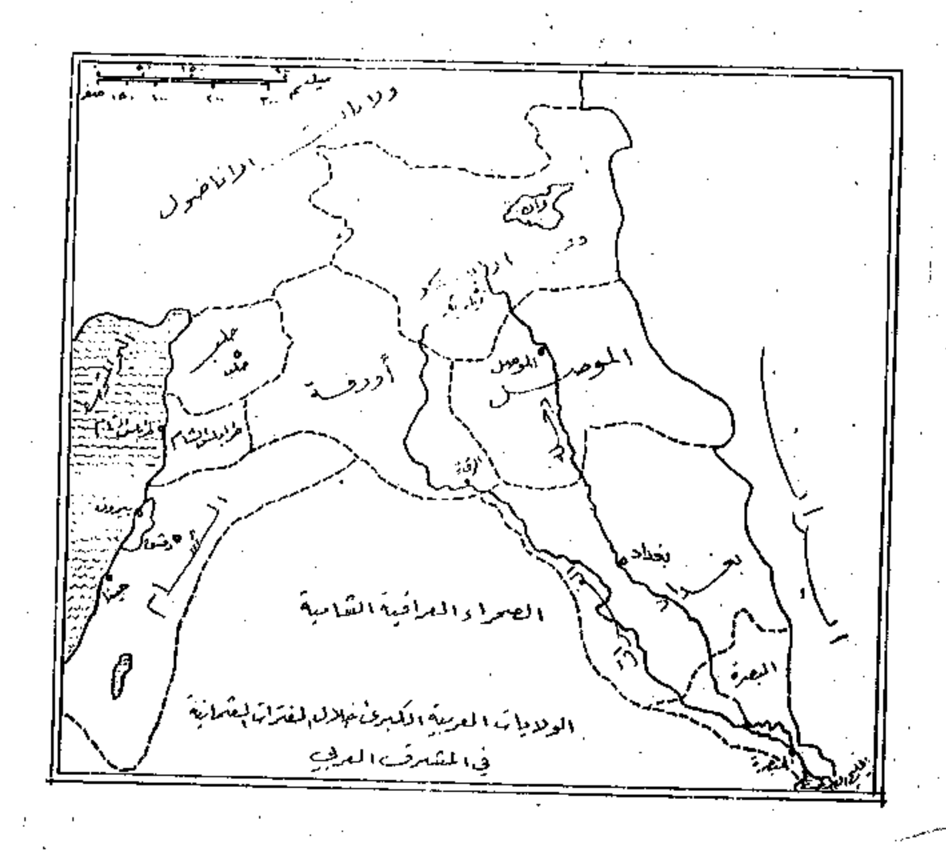
الخارطة رقم (١) : توضح هذه الخارطة حدود الولايات العثمانية في الشرق العربي (= العراق وبلاد الشام)، والاقاليم الاستراتيجية هي: ١/ الموصل ٢/ بغداد ٣/ البصرة ٤/ ديار بكر ٥/ حلب ٦/ اورفه ٧/ طرابلس الشام ٨/ الشام (= دمشق) ٩/ بيروت معتمداً في رسمها على خارطة دونالد بيتجر المرقمة: XXXII في اطروحته الموسومة:

An Historical Geography of the Ottoman Empire, Leiden Brill, 1972.

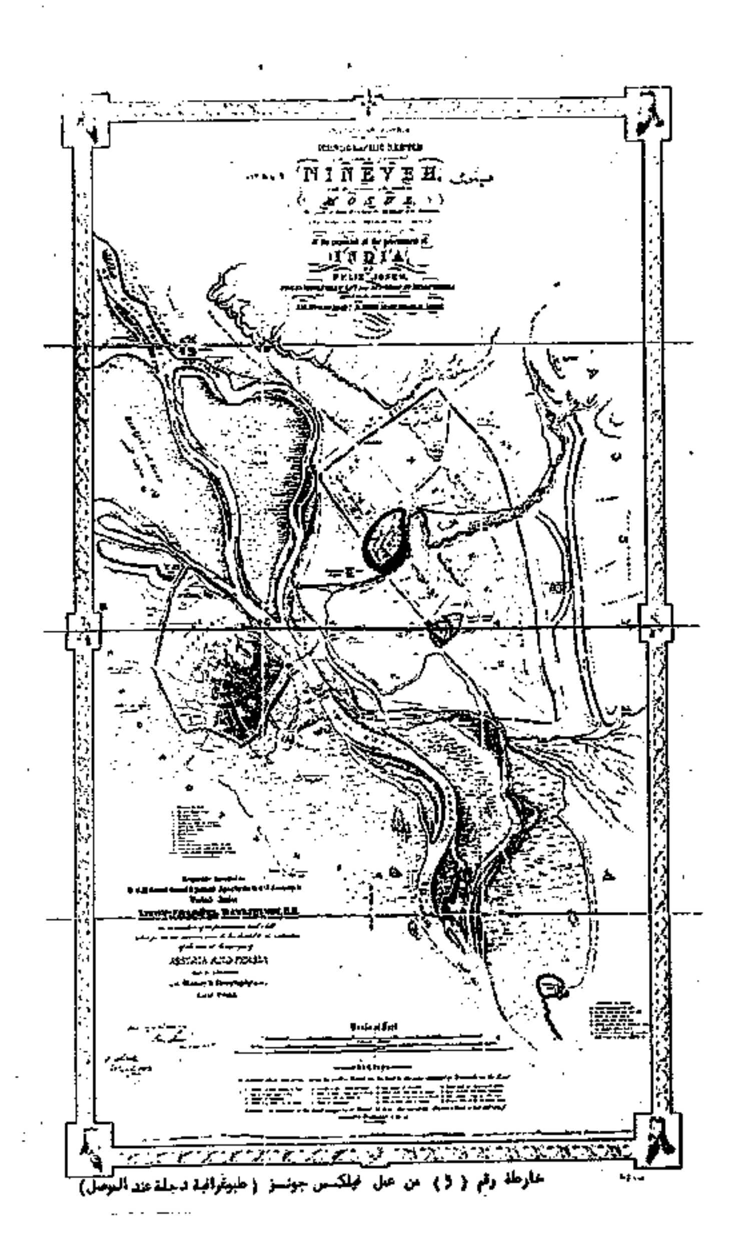
الخارطة رقم (٢): توضح هذه الخارطة مسالك نادرشاه الحربية داخل العراق اثناء الحملة الايرانية الكبرى عليه سنة ١٧٤٣ م، وهي الخطوط الاستراتيجية التي اخترقها نادرشاه بجيوشه، والتي تقوم عليها اهم المدن العراقية، ومراكز الاستيطان والتجارة. كما تتوضح ايضاً، الحدود الشرقية العراقية القديمة التي تفصل العراق عن ايران، اضافة الى وضوح الحدود الاقليمية الادارية ـ الداخلية في العراق. والخارطة من عمل المؤلف، وقد استندت في تحديدها على اطروحة (دونالد بيتجر) السابق ذكرها اعلاه. . واعتمدت في تخطيط ورسم مسالك نادرشاه الحربية على المصادر التاريخية، وقد توخيت ان اقدمها بالانكليزية لتكون الفائدة منها اعم واشمل لجميع ذوي الاختصاص والاهتمام.



مسالك نادر شاه في حملته على العراق
١٧٤٣م
جزيرة ابن عمر
العمادية
الموصل
اربيل
كركوك
زهاب
قصر شيرين
كرند
كرمنشاه
بغداد
بدران
جصان
الفرات
البصرة
١٠٠
٢٠٠
٣٠٠

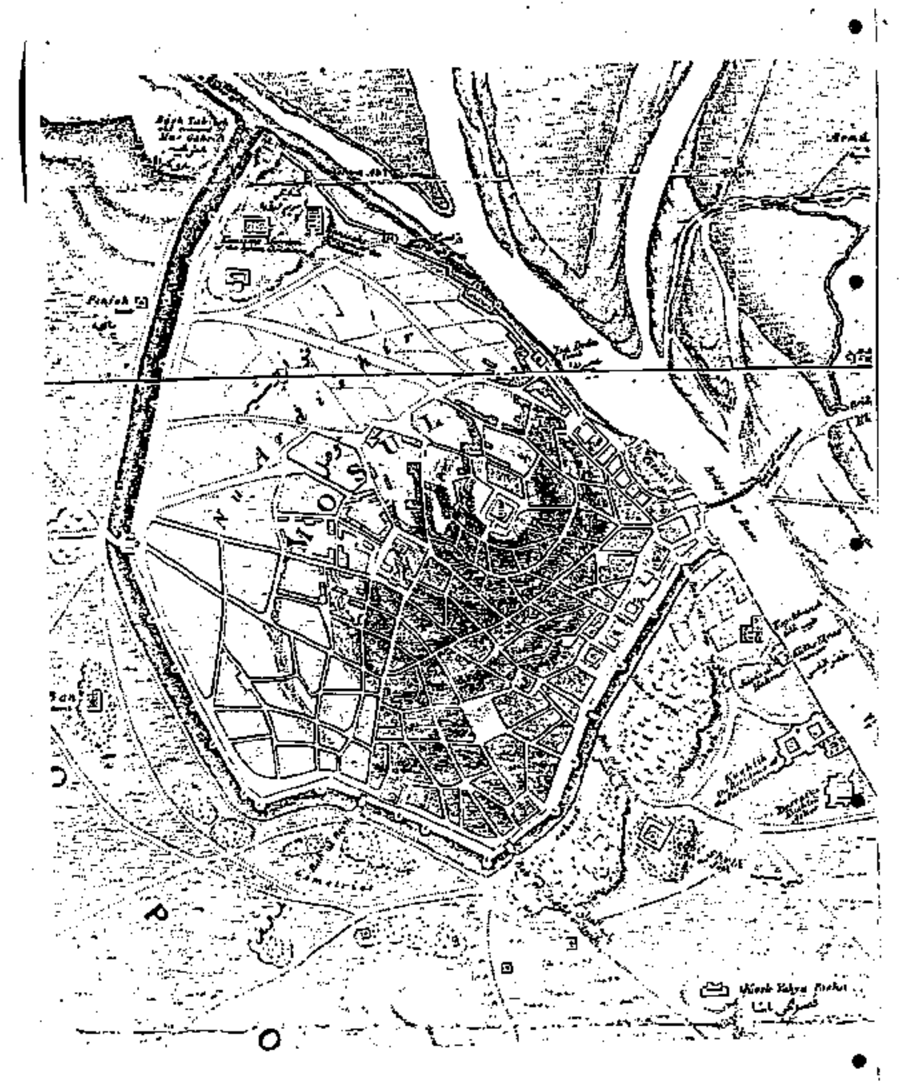


الخارطة رقم (٣): توضح هذه الخارطة جغرافية نهر دجلة عند الموصل، وطبوغرافية مدينة الموصل واراضيها المنتشرة حولها، ومن ضمنها حدود العاصمة الآشورية (نينوى)، وتلولها المقابلة للموصل. والخارطة من عمل (فيلكس جونز) سنة ١٨٥٦ م، وهي صورة فوتوغرافية مصغرة عن الاصل الكبير الذي تتواجد نسخة منه في مكتبة المتحف البريطاني في لندن، ونسخة اخرى في مكتبة جامعة سانت اندروس، وقد اعارتني المكتبة الاخيرة حقوق تصوير هذه الخارطة ونشرها بتاريخ ١٦/٤/١٩٨٠.



خارطة رقم (٤) من عمل فيلكس جونز (طبوغرافية دجلة عند الموصل)

الخارطة رقم (٤): توضح هذه الخارطة المحلية لمركز مدينة الموصل القديمة سور المدينة وابوابها، والمناطق الهامة التي تعرضنا لها في الحديث عن الحصار ومنها كل من القلعة الداخلية، وقلعة باش طابية وقلعة قره سراي، ثم جسر الموصل والمراكز السكنية، ونهر دجلة وتفرعاته. وهي صورة طبق الاصل الذي رسمه الرحالة (فيلكس جونز) عام ١٨٥٦ م، وقد منحتني اياها مكتبة المتحف البريطاني (قسم الخرائط). وتعد هذه الخارطة من اهم الخرائط المحلية لمركز مدينة الموصل القديمة، والتي رسمت خلال القرن التاسع عشر.



خارطة الموصل برسم (فيلكس جونز) سنة 1856 م , ـ عن مكتبة المتحف البريطاني ـ
خارطـة رقـم (4)

مصـادر البحـث

(الوثائـق)

1 - E. de St. Albert, "LETTERS FROM BAGHDAD", Eighteenth Century-Archieves National, (Paris).
2 - State Papers 97-TURKEY, Letters from Mr. Stanhope Aspinwall to The Duke of Newcastle, vol. 24-32 (Public Record Office in London).
٣ - الوثيقة الايطالية عن حصار الموصل والمرفقة بهذا البحث.

(المخطوطـات)

١ - البصيري، خليل وعبدالله الفخري، ارجوزة في حصار الموصل، مكتبة (استات بيبلوتك) برلين، تحت رقم ٩٨٠٢.
٢ - التركمان، اسكندر بيك منشي، عالم اراى عباسي (مخطوط بالفارسية) خصه مؤلفه للشاه عباس الاول، المكتبة الوطنية بباريس، تحت رقم ١٣٤٨ .Supp.
٣ - الجلبي، د. داؤد، صفحات من تاريخ الموصل، مخطوطة ملخصة، مكتبة الأوقاف العامة بالموصل، تحت رقم ٩/٤٣.
٤ - الجليلي، يحيى، سراج الملوك ومنهج السلوك، مكتبة المتحف البريطاني في لندن، تحت رقم Add ٢٣٣٠٦..
٥ - العمري، علي بن ياسين، روضة الاخبار في ذكر افراد الاخيار، مكتبة المتحف البريطاني في لندن، تحت رقم Add. ٢٣٣١١.
٦ - العمري، محمد امين الخطيب، منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء، مكتبة المتحف البريطاني في لندن، تحت رقم Or. ٢٤٢٩.
٧ - العمري، ياسين الخطيب، الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون، نسخة المكتبة الوطنية بباريس، تحت رقم ٤٩٤٩ عربيات.
٨ - العمري، ياسين الخطيب، الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون، نسخة مكتبة المتحف البريطاني في لندن، تحت رقم Add. ٢٣٣١٢.
٩ - العمري، ياسين الخطيب، قرة العينين في تراجم الحسن والحسين - نسخة شخصية -.
١٠ - مجموع شعري تحويه مكتبة الاوقاف العامة بالموصل تحت رقم ٥٠/٩.

١١ ـ مخطوط بالتركية عن حصار نادرشاه للموصل غير معروف اسم مؤلفه في مكتبة المتحف البريطاني

Account of the Siege of Mosul by Nadir Shah, (British Mus. Library) Add. 7867.

وعنوان هذه الوثيقة المخطوطة بالتركية:

«تاريخ وقعة نادرشاه در آمدنش برلسر كركوك واربيل وموصل».

١٢ ـ الموصلي، يونس، قصيدة ـ بالتركية ـ ضمن مجموع في مكتبة يعقوب سركيس ببغداد.

(المصـادر الموسـوعية)

١ ـ الانسـكلوبيديـات

1 - An Encyclopedia of World History, Compiled and Edited by W.L. Langer, Fifth Edition, London 1972.
2 - Enciclopedia Italiana, Di s. M. IL RE D' ITALIIA, Rome 1933.
3 - Islam Ansiklopedesi, 11 vols. in Progress. Istanbul 1941.
4 - The Encyclopaedia of Islam, Edited by Th. Houtsma, T.W. Arnold, R. Basset, and R. Hartman.. 4 vols. and supplement Leiden and London 1913-38.
5 - The Encyclopaedia of Islam, New ed. Edited by H.A.R. Gibb, J.H. Kramers, E. Levi-Provencal, J. Schact, B. Lewis, C. Pellat, and V. Menage; in Progress, Leiden and London 1954.
6 - The New Encyclopaedia Britannica, vol. V, London 1974.
7 - The Penguin Encyclopaedia of Places, Compiled by W.C. Moore, Britain 1978 (Copyright).

٢ ـ الموسـوعات التاريخيـة

1 - Cambridge History of Iran, Edited by W.B. Fisher, Cambridge 1968.
2 - Cambridge History of Islam, Edited by P.M. Holt, B. Lewis, and A.K. Lambton, Cambridge 1968.
3 - The New Cambridge Modern History, vol. VI Edited by J.S. Bromley, Camb. 1970; vol. VII Edited by J.O. Lindsay, Camb. 1957; vol. Viii Edited by A. Goodwin, Camb. 1965.
4 - Verancsics ve Katona 'don naklen Lefaivre, Les Magyars Pendant la domination Ottoman en Hongrie 1526-1722, Paris 1902.

٣ ـ التقارير والمذكرات الرسمية

1 - IRAQ, (Survey book), London 1944.

2 - The Middle East, (A Politicaland Economic Survey), 2nd ed.,, Preface by Elizabeth Monroe, Britain 1954.

٣ ـ سالنامة در موصل ولايتي، سنة ١٣١٠ هـ/ ١٣٠٨ رومي.
سالنامة در موصل ولايتي، سنة ١٣١٢ هـ/ ١٣١٠ رومي.

٤ ـ التقرير العراقي الرسمي لسنوات عديدة.

٤ ـ المعاجم والفهارس

١ ـ ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق وستنفلد، المجلدات الستة، ليبزك.

2 - W. Ahlwardt, Verzeichniss der arabischen Handschriften der Konigl, Bibliothek zu Berlin 1887-1899.

3 - DICTIONARY of National Biography, Edited by Sidney Lee, vol. XLIV., London 1895.

4 - J.W. Redhouse, A Turkish and English Lexican, Constantinople 1921.

٥ ـ د. داؤد الجلبي، مخطوطات الموصل، بغداد ١٩٢٧.

٦ ـ سالم عبدالرزاق احمد، فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل، جـ٣، بغداد ١٩٧٦، جـ ٤ ـ ٦، الموصل ١٩٧٧.

(المصادر العربية والمعرّبة)

١ - البدليسي، شرف الدين، الشرفنامه، تعريب محمد علي عوني، القاهرة ١٩٥٨.
٢ - خياط، جعفر، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، ط ١، ١٩٧١.
٣ - الدملوجي، صديق، اليزيدية، الموصل ١٩٤٩.
٤ - الدملوجي، صديق، امارة بهدينان أو امارة العمادية، الموصل ١٩٥٢.
٥ - الديوه جي، سعيد، جوامع الموصل في مختلف العصور، الموصل ١٩٦٣.
٦ - الديوه جي، سعيد، الموصل ام الربيعين، بغداد ١٩٦٥.
٧ - رؤوف، عماد عبدالسلام، الموصل في العهد العثماني (فترة الحكم المحلي)، النجف ١٩٧٥.
٨ - زكي، محمد امين، تاريخ الكرد والكردستان، ترجمة عن الكردية، محمد علي عوني، القاهرة ١٩٣٦. (اما الاصل فقط طبع بالكردية في بغداد سنة ١٩٣١).
٩ - السويدي، الشيخ عبدالرحمن، تاريخ بغداد أو حديقة الزوراء في سيرة الوزراء تحقيق د. صفاء خلوصي، بغداد ١٩٦٢. حقق القسم الآخر منه محمد بهجة الأثري: ذرائع العصبيات..، بغداد، ١٩٨١.
١٠ - سيوفي، نقولا، مجموع الكتابات المحررة على ابنية مدينة الموصل، حققه ونشره واضاف عليه، سعيد الديوه جي، بغداد ١٩٥٦.
١١ - صايغ، القس سليمان، تاريخ الموصل، الجزء الاول، القاهرة ١٩٢٧.
١٢ - عبدالباقي، حسن، ديوان حسن عبدالباقي، تحقيق ونشر، د. صديق الجليلي، الموصل ١٩٦٦، (ذيّله المحقق بملحقين مهمين).
١٣ - العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، الاجزاء الكاملة، بغداد.
١٤ - العمري، عصام الدين عثمان، الروض النضر في ترجمة ادباء العصر، تحقيق د. سليم النعيمي، جـ ١، بغداد ١٩٧٤، جـ ٢، ٣ بغداد ١٩٧٥.
١٥ - العمري، محمد امين الخطيب، منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق ونشر سعيد الديوه جي، جـ ١، الموصل ١٩٦٧.
١٦ - العمري، ياسين افندي الخطيب، منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل ١٩٥٣.
١٧ - العمري، ياسين افندي الخطيب، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، نشر دار البصري ١٩٦٧.

١٨ ـ العمري، ياسين افندي الخطيب، زبدة الآثار الجلية في الحوادث الارضية، انتخب الزبدة، د. داؤد الجلبي، وحققها عماد عبدالسلام رؤوف، النجف ١٩٧٤.
١٩ ـ الغلامي، محمد بن مصطفى، شمامة العنبر والزهر المعنبر، تحقيق د. سليم النعيمي، بغداد ١٩٧٧.
٢٠ ـ فايق، سليمان، تاريخ المماليك الكوله مند في بغداد، ترجمه عن التركية محمد نجيب أرمنازي، بغداد ١٩٦١.
٢١ ـ فائق، سليمان، (تاريخ بغداد)، عنوانه الاصلي، مرآة الزوراء في تاريخ الوزراء، ترجمه عن التركية موسى كاظم نورس، بغداد ١٩٦٢.
٢٢ ـ القادري، فتح الله، (ملحمة الموصل)، وهي ارجوزة اطلق عليها هذا العنوان محققها المؤرخ سعيد الديوه جي، الموصل ١٩٦٥.
٢٣ ـ الكركوكلي، رسول حاوي، دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء، ترجمه عن التركية موسى كاظم نورس، بيروت ـــــ.
٢٤ ـ لنزا، دومينيكوا، (الموصل في الجيل الثامن عشر حسب مذكرات دومينيكوا لنزا)، فصول ترجها واطلق عليها هذا العنوان د. روفائيل بيداويد، الموصل ١٩٥٣.
٢٥ ـ لونكريك، ستيفن هيمسلي، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، النسخة العربية التي ترجمها جعفر خياط، بغداد ١٩٦٢.
٢٦ ـ المرادي، محمد خليل، سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر، ٤ اجزاء، القاهرة ١٢٩١.
٢٧ ـ المنشي البغدادي، محمد بن احمد، رحلته التي ترجمها عن الفارسية عباس العزاوي، بغداد ١٩٤٨.
٢٨ ـ نوار، عبدالعزيز سليمان، داؤد باشا والي بغداد، القاهرة ١٩٦٨.
٢٩ ـ نوار، عبدالعزيز سليمان، تاريخ العراق الحديث، القاهرة ١٩٦٨.
٣٠ ـ نورس، علاء موسى كاظم، حكم المماليك في العراق، بغداد ١٩٧٥.

(المصادر التركية)

١ - اشرف، محمد، مكمل ومفصل جغرافياي عمومي اطلاسي، اسطنبول ١٣٢٧.
٢ - اميري، علي، تذكرة شعراء آمد، مطبعة آمدي ١٣٢٧.
٣ - بجوى، ابراهيم، تاريخ. . ، اسطنبول ١٢٨٣.
٤ - ثريا، محمد، تاريخ محمد ثريا (سجل عثماني)، استانبول ١٨٠٨ - ١٨١٦.
٥ - رشيد، احمد، خريطة لي ورسملى مكمل تاريخ عثماني، جزءان، اسطنبول ١٣٢٧.
٦ - سالنامة الموصل، استانبول ١٣٠٨ هـ/ ١٨٩١ م، كتبها حسن توفيق افندي.
٧ - خوجه، سعدالدين، تاج التواريخ، جزءان، استانبول ١٨٦٢ - ١٨٦٣ م.
٨ - راسم، احمد، عثمانلى تاريخى، الجزء الثاني، استانبول ١٣٢٨ هـ.
٩ - سلحدار، فندقلى محمد اغا، سلحدار تاريخى، تحقيق، احمد رافق، اسطنبول ١٩٢٨.
١٠ - صبحي، محمد افندي، (سامي شاكر صبحي)، تاريخ صبحي، اسطنبول ١٧٨٣ - ١٧٨٤.
١١ - فريدون باي، منشآت السلاطين، جزءان، اسطنبول ١٢٨٦ - ١٢٨٧ هـ/ ١٨٦٩ - ١٨٧٠ م.
١٢ - كاتب جلبي، فذلكه تاريخ، اسطنبول ١٢٨٦ - ١٢٨٧هـ/ ١٨٦٩ - ١٨٧٠ م.
13 - Kenan, Yusuf, Yavus Sultan Selim ve ittihad-islam siyaseti, Istanbul n.d.
١٤ - محمد ظلى بن درويش، اولياء جلبي سياحتنامه سي، ٤ اجزاء، اسطنبول ١٣١٤ هـ.
١٥ - نعيما، مصطفى، تاريخ. . ، ٦ اجزاء، اسطنبول ١٢٨٠ هـ/ ١٨٦٣ - ١٨٦٤ م.
16 - Uzuncarsili, Ismail, Osmanli Tarihi, Vol. 4, Pts. 1 and 2, Ankara 1956.

(المصادر الايرانية)

١ - الاسترابادي، ميرزا مهدي خان، جهانكشاى نادرى، باهتمام سيد عبدالله انوار، طهران ١٣٤١، جاب بهمن.
٢ - بازاركاد، د. بهاءالدين، كرنو لورى تاريخ ايران، طهران ١٣٤٥.
٣ - سردادور، ابو تراب، تاريخ نظامي وسياسي، دوران نادرشاه افشار، تهران د.ت.
٤ - شاه بابا، نامه احمد، بنام سلطان مصطفى ثالث عثماني، تعليق وتحشية، غلام جيلاني جلالي، افغانستان - كابل ١٣٤٦ ش (دولتي مطبعي).
٥ - شفق، د. رضا زاده، نادرشاه، سلسلة انتشارات انجمن اثارنل (٣٩)لا اسفندماه ١٣٣٩، جاب تابان.

٦ ـ فلسفي، نصرالله، جنك جالديران، جاب دنشكاه، طهران ١٣٣٢.
٧ ـ مقتدر، غلامحسين، نادرشاه، تهران ١٣٣٩ شمسي، جاب اول.
٨ ـ نوائي، د. عبدالحسين، شاه طهماسب صفوي، ايران ١٣٥٠.
٩ ـ نوائي، د.عبدالحسين، شاه اسمعيل صفوي، اسناد ومكتبات تاريخي هراة، باياد داشتهاى تفضيل، جاب شد، ١٣٦٧ هـ.

الدوريــات

1 - ARABICA, Special vol. 1962. Artical by Robert Mantran titled "Baghdad a epoque Ottoman".
2 - English Historical Review, vol. XXX 1915. Artical by A.H. Lybyer titled "The Ottoman Turks and the Routes of Oriental Trade".
3 - Journal of the American Oriental Society (JAOS), Second vol., New York-London 1851: also No. 87, 1967.
4 - Studies in the Economic History of the Middle East, London 1970, Artical by Halil Inalcik titled "The Ottoman Economic Mind and Aspect of the Ottoman Economy".
5 - The Geogjaphical Journal, vol. 118, Part I, March 1952.
٦ ـ مجلة سومر العراقية، ابحاث محلية عن الموصل:
العدد ٣ سنة ١٩٤٧ سعيد الديوه جي (سور الموصل).
العدد ١٠ سنة ١٩٥٤ سعيد الديوه جي (قلعة الموصل في مختلف العصور).
العدد ١٢ سنة ١٩٥٦ سعيد الديوه جي (جسر الموصل في مختلف العصور).
٧ ـ مجلة بين النهرين العراقية
سيّار الجميل، دراسة في السيطرة العثمانية على الموصل واقليم الجزيرة سنة ١٥١٢ م وبدايات الصراع العثماني ـ الايراني (الصفوي) في عهد السلطان سليم الاول، العددان (٣٠) و(٣١) سنة ١٩٨٠.
د. بطرس حداد، حملة نادرشاه على العراق سنة ١١٤٥ هـ في وثيقة سريانية، العدد ٣٣، سنة ١٩٨١.
٨ ـ جريدة «الموصل» في عددها الصادر بـ ١ نيسان ١٩١٩، مقالة رشيد الخطيب، «الواقعة المشهورة ببلدنا الموصل بواقعة طهماسب».

المراجـع المسـاعدة *

(بالعربية)

١ - اسحق، روفائيل بابو، تاريخ نصارى العراق، بغداد ١٩٤٨.
٢ - انيس، د. محمد، الدولة العثمانية والمشرق العربي، مصر د.ت.
٣ - الجليلي، د. محمد صديق، الاصطياف في حمام العليل، الموصل ١٩٦٥.
٤ - الحصري، ساطع، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت ١٩٦٥.
٥ - الخياط، احمد ابن، ترجمة الاولياء في الموصل الحدباء، تحقيق، سعيد الديوه جي، الموصل ١٩٦٦.
٦ - رافق، عبدالكريم، العرب والعثمانيون ١٥١٦ - ١٩١٦، دمشق ١٩٧٤.
٧ - زكي، محمد امين، تاريخ السليمانية، ترجمه عن الكردية، الملا جميل الروزبياني، بغداد ١٩٥١.
٨ - سركيس، يعقوب نعوم، مباحث عراقية في التاريخ والآثار.. ، بغداد ١٩٤٨ - ١٩٥٣.
٩ - العزاوي، عباس، تاريخ الادب العربي في العراق، جـ ٢، بغداد ١٩٦٢.
١٠ - عواد، كوركيس، اثر قديم في العراق (دير الربان هرمزد)، الموصل ١٩٣٤.
١١ - غرايبه، عبدالكريم، مقدمة تاريخ العرب الحديث، دمشق ١٩٦٠.
١٢ - الغلامي، رؤوف، العلم السامي في ترجمة الشيخ محمد الغلامي، الموصل ١٩٤٢.
١٣ - غنيمة، يوسف رزق الله، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، بغداد ١٩٢٢.
١٤ - فريد، محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، القاهرة ١٩١٢.
١٥ - نصري، بطرس، ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان، الموصل ١٩١٣.
١٦ - نظمي زاده، مرتضى، كلشن خلفا، ترجمة موسى نورس، بغداد ١٩٧٢.

(بالتركية والفارسية)

١٧ - تهراني، محمد شفيع، تاريخ نادرشاهي، نشر واهتمام رضا شعباني، چاپ شد ١٣٦٩. (بالفارسية).
١٨ - جودت، احمد، تاريخ جودت، اسطنبول ١٣٠٢. (بالتركية).
١٩ - عينتابلي، احمد عاصم، تاريخ عاصم، اسطنبول د. ت. (بالتركية).
٢٠ - مهدوي، عبدالرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي ايران، تهران ١٣٦٩. (بالفارسية).
٢١ - نوري باشا، مصطفى، نتائج الوقوعات، المجلد ٣، اسطنبول ١٢٩٤. (بالتركية).

22 - Ortuna, Yilmar, Resimlerle, Turkiye Tarihi, Istanbul 1970. (بالتركية الحديثة)

23 - Olivier, G.A., Voyage dans l'Empire Ottoman, l'Egypt et la Perse, Paris 1801. (بالافرنسية)

* للمؤلف ولزملائه من المؤرخين العراقيين كتابات في تاريخ العراق الحديث صدرت بعد تأليف هذا الكتاب اذلم تذكر في هذه القائمة، وعليه وجب التنويه.

(المصــادر الغربيــة)

1 - Al-Feel, M.R., The Historical Geography of Iraq, Between the Mongolian and Ottoman Conquests 1258-1534, vol. I, Nejef 1965. (Ph. D. thesis).

2 - Allen, W.E.D., Problems of Turkish Power in the sixteenth century, London 1963.

3 - Anderson, M.S., A General History of Europe, Europe in the Eighteenth Century 1713-1783,2nd Edition, London 1979.

4 - Arfa, Hassan, The Kurds, London 1966.

5 - Arrian, F.I. Xenophon, The Campaigns of Alexander, Tran. by Aubrey De Selincourt, Introduction and Notes by J.R. Hamilton, Reprinted in Britain 1978.

6 - Babinger, Franz, Mehmed The Conqueror and his Time, Ed. by W.C. Hickman, Princeton University 1978.
(مترجم عن الالمانية)

7 - Bell, Gertrude L., Syria The Desert The Sown, London 1919.

8 - Bell, J., Travels from St. Petersburge in Russia to Diverse Parts of Asia, London 1920.

9 - Binder, Au Kurdistan, en Mesopotamia et Perse, Paris 1887. (نص فرنسي)

10 - Bosworth, C.E., The Islamic Dynasties, Edinburgh 1967.

11 - Bretschneider, E., Medieval Researches from Eastern Asiatic Sources, London n.d.

12 - Buckingham, J.S., Travels in Mesopotamia, London 1827.

13 - Barbir, Karl K., Ottoman Rule in Damascus 1708-1758, Princeton University, New Jersey 1980

14 - Bradford, E., The Great Siege (MALTA 1565), Britain 1979.

15 - Brosset, Histoire de la Georgia, n.d.

16 - Browning, Reed, The Duke of Newcastle, London 1975.

17 - Cassels, Lavender, The Struggle for the Ottoman Empire 1717-1740, London 1968.

18 - Chesney, Col., The Expedition for the Survey Rivers Euphrates and Tigris, Two vols., London 1850.

19 - Creasy, E.S., History of the Ottoman Turks, Rearinted in Beirut 1961.
20 - Dupre, A., Voyage en Perse, Paris 1819. (نص فرنسي)
21 - Durand, Mortimer, Nadir Shah, London 1908.
22 - Fraser, J., The History of Nadir Shah, London 1742.
23 - Gibb, H.A.R. and Bowen, H., Islamic Society and the West, Two Parts, Oxford 1963.

24 - Hanway, J., The Revolutions of Persia Containing the History of the Celebrated Usurper Nadir Kouli, London 1753.
25 - Harris, W.B., From Batum to Baghdad, London MDCCXCVI.
26 - Hay, W.R., Two Years in Kurdistan, London 1921.
27 - Hazin, Shaik A., Ta'rikh-i-Ahwal, Ed. and Trans. by Belfour, London 1831.
28 - Herzfeld, E., Archaeologische Reise in Euphrat und Tigris Gebiet, Berlin 1920. (نص الماني)
29 - Hikmat, M.A., Essai sur l'Histoire des Relations Irano-Ottomanes de 1722-47, Paris 1937. (نص فرنسي)
30 - Hourani, A., The Ottoman Background of the Modern Middle East, University of Essex 1969.
31 - Howel, Th., A Journal of the Passage from India by a route partly unfrequented throught Armenia and Natolia or Asia Minor, London 1789.
32 - Inalcik, H., The Ottoman Empire, Conquest, Organization and Economy, (Collected Studies), London 1978.
33 - Ives, E., A Voyage from England to India, London 1760.
34 - Jackson, J., Journey from India, London 1799.
35 - Jones, W., History of the life of Nadir Shah, King of Persia, London 1773.
36 - ————————, Histoire de Nadir Chah, London 1770.
(نص فرنسي)

37 - Keane, A.H., Asia with Ethnological-Appendix-ed. by Sir R. Temple, London 1882.

38 - Kinneir, J.M., A Geographical momoir of the Persian Empire, London 1813.
40 - Kemp, P., Mosul and Mosuli Historians of The Jalili era 1726-1834,-Ph. D. thesis from Oxford University-(Oxford New Bodilian Library). (اطروحة دكتوراه غير منشورة)
41 - Kinross, Lord, The Ottoman Centurries, The Rise and Fall of the Turkish Empire, London 1977.
42 - Lach, D.F., Asia in the Making of Europe, London 1955.
43 - Lamouche, S., Histoire de la Turquie, Paris 1934.
(نص فرنسي)
44 - Layard, A.H.; Nineveh and its Remains, Ed. I, London 1849.
45 - Le Strange, G., The Lands of the Eastern Caliphate, London 1905; The new copy, New York 1966.
46 - Lockhart, L., Nadir Shah, London 1938.
47 - Longrigg, S.H., Four Centuries of Modern Iraq, Oxford 1925.
48 - Lorimar, Gazetteer of the Arab Gulf, I (Historical Part), I.B. Holand 1970.

49 - Luke, H. Ch., Mosul and its Minorities, London 1925.
50 - Mantran, R., l'Empire Ottoman et le Commerce A siatique, paris n.d. (نص فرنسي)
51 - Marsh, The Tenessean in Persia and Kurdistan, Philadelphia 1869.
52 - Merriman, R.B., Suleiman The Magnificent 1520-1566, Harvard 1944.
53 - Muir, W., The Mameluke, or Sllave Dynasty of Egypt 1260-1571, Amsterdam 1968.
54 - Niebuhr, C., Reisebeschreibung nach Arabian und andern Umliegende, Landern 1908. (وهناك نص فرنسي مترجم عن الالمانية)
55 - Olson, R.W., The Siege of Mosul and Ottoman-Persian Relations 1718-1743, Indiana University 1975.

56 - Otter, J., Voyage en Turquie et en Perse avec une relation des expeditions de Tahmas Kouli-Khan, 2 vols.., Paris 1748. (نص فرنسي)

57 - Parry, V.J. and others, A History of The Ottoman Empire To 1730, Ed. by M.A. Cook, Cambridge University 1976.

58 - Pitcher, D.E., An Historical Geography of the Ottoman Empire from earliest times to the end of the sixteenth century, Leiden E.J. Brill 1972.

59 - Pococke, R., A Description of the East, London 1743.

60 - Porter, Sir R.K., Travels in Georgia, Persia, Armenia, Ancient Babylonia, London 1822.

61 - Rich, C.J., Narrative of a Residence in Koordistan, London 1830.

62 - Runciman, S., The Fall of Constantinople 1453, Cambridge 1965.

63 - Purgstall, Von Hammer, Geschichte der Osmanischen Reiches, Wien 1828. (نص في الالمانية القديمة)

64 - Savory, R., Iran under the Safavids, Cambridge 1980.

65 - Shaw, S.J., History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, vol. I (Empire of the Gazis), Cambridge 1976.

66 - Shay, M.L., The Ottoman Empire from 1720-1734, New York 1978.

67 - Stoye, J., The Siege of Vienna, London 1964.

68 - Sykes, Sir P., A History of Persia, London 1930.

69 - Toynbee, A.J., A Study of History, vol. I, Oxford 1934.

70 - Tveritinova, Kniga Zakonov Sultana Selima I, Moskva 1969. (نص روسي)

71 - Ussher, J., London to Pesopolis, including Wanderings in Daghestan, Georgia, Arminia and Persia, London 1865.

72 - Warkwarth, Notes form A Diary in Asiatic Turkuy, London 1898.

THE SIEGE OF MOSUL BY NADIR SHAH IN 1743 A.D.

An Historical Study in Political Relations of Modern Iraq during the first half of the Eighteenth Century.

By

SAYYAR K. AL-JAMIL
DEPT OF HISTORY
COLLEGE OF ARTS, UNIV. OF MOSUL
IRAQ

ARABIC TEXT

الفهرست

الملاحـــق

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٩٧٥ لسنة ١٩٩٠